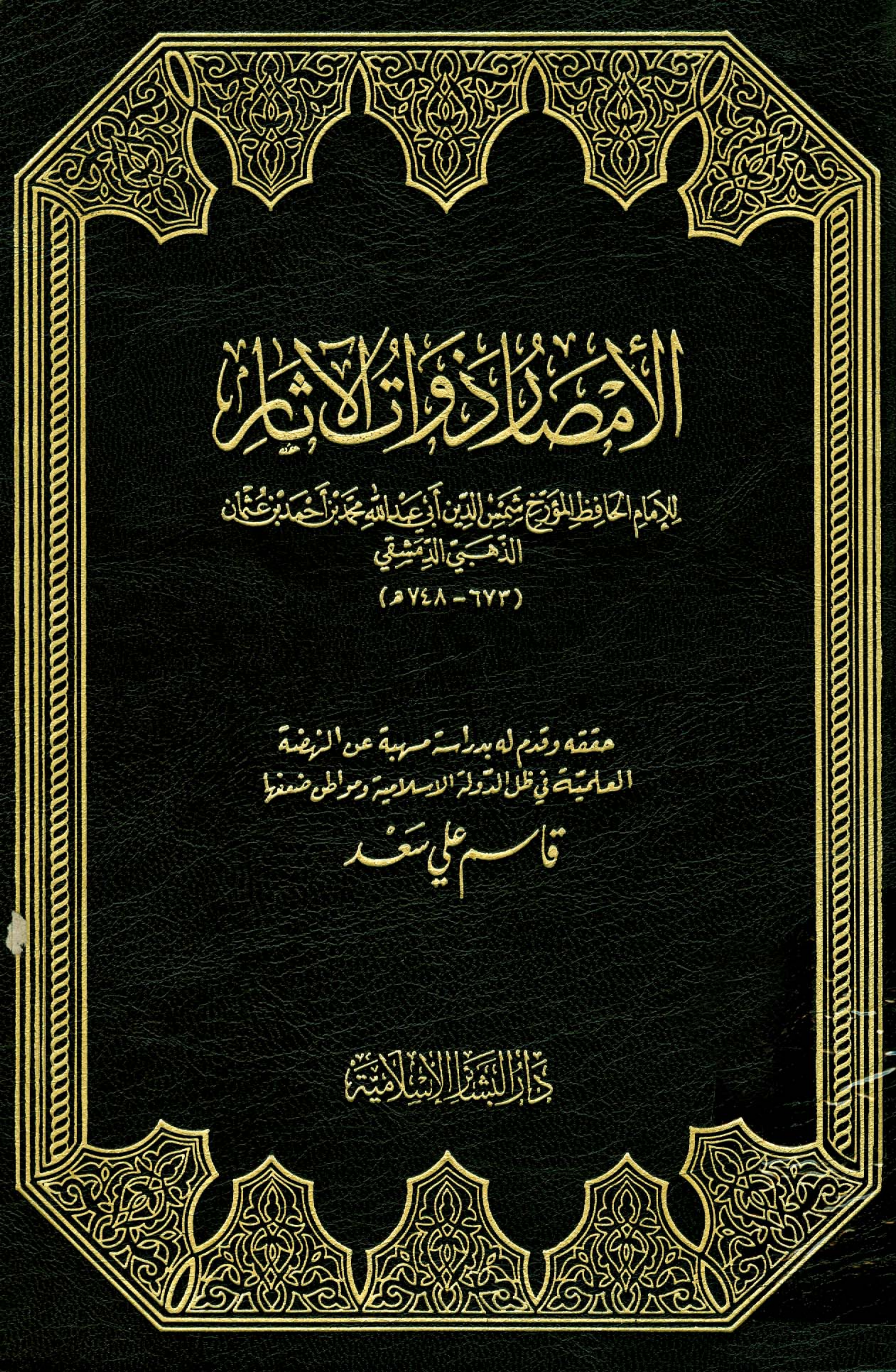

الأمصار ذوات الآثار
للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان
الذهبي الدمشقي
(٦٧٣ - ٧٤٨ هـ)
حققه وقدم له بدراسة مسهبة عن النهضة
العلمية في ظل الدولة الإسلامية ومواطن ضعفها
قاسم علي سعد
دار البشائر الإسلامية

الأمصار ذوات الآثار

للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان
الذهبي الدمشقي
(٦٧٣ - ٧٤٨ هـ)

حققه وقدم له بدراسة مسهبة عن النهضة
العلمية في ظل الدولة الإسلامية ومواطن ضعفها
قاسم علي سعد

دار البشائر الإسلامية

الأمصار ذوات الآثار

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

دار البشائر الإسلاميّة
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - ص.ب: ٥٩٥٥ - ١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

الحمد لله مُسْدي المِنَح والمواهب، ومُغْدِق النِّعم على خلقه من كل جانب، والصلاة والسلام على سيدنا المصطفى، وإمامنا المجتبى، وأُسْوَتنا المرتضى محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحابته الذين حملوا دعوة الإسلام إلى أصقاع الأرض، فآتت أُكُلَها، واستقام في النفوس عُودها، وجعلت من بلاد الإسلام صَرْح الحضارة، وقلعة التمدن، ومجمع العلوم ﴿والبلدُ الطيِّبُ يَخْرُجُ نباته بإذن ربه، والذي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلا نَكِداً، كذلك نُصَرِّفُ الآيات لقومٍ يَشْكرون﴾[1].

أما بعد فإن خَزائن الكتب الإسلامية المتبقية التي سلمت من عَوَادي الزمان، ونَجَت من مَصَارع الأيام، لتَزْخَر بنفائس الأسفار، وأمهات الكتب، ونوادر الرسائل. غير أنها تحتاج إلى من يكشف اللِّثام عنها، وينزع السِّتر دونها، ويُخْرجها إلى الناس في حُلَّة قَشِيْبة سِيَرَاء، وبُرْدَة حَبِيْرة زَهْراء.

ومن تلك النوادر الجليلة رسالة «الأمصار ذوات الآثار» للحافظ الذهبي، التي ظن الناس أن الضَّيَاع قد غَشَّاها[2] فيما غَشَّى، وكنت ممن يَزْعُم هذا المَزْعَم، إلى أن عثرت عليها ضمن أحد المجاميع في المكتبة المحمودية

(١) الأعراف ٥٨.

(٢) عدا ما أورده السخاوي منها في كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذَمّ أهل التَّوْريخ.

بالمدينة المنورة منذ أربع سنين، فَسُررت بها غاية السرور، وبادرت إلى تصويرها ونسخها أملاً في إخراجها وطبعها، لكن حالت دون ذلك عوائق وصوارف أَرْجَأَت الشروع في خدمتها إلى غُرَّة شهر ربيع الآخر من سنة ١٤٠٥ حيث بدأت في تحقيقها، والتعليق عليها، وصُنع مقدمة مُسْهَبَة لها تساعد على فهمها، حتى تمت على هذه الصورة المتواضعة التي أرجو أن تحظى بالقبول في الدنيا والآخرة، والله ولي التوفيق.

وكتبــه

قاسم علي سعد

في مدينة الرياض ١٢ ربيع الأول سنة ١٤٠٦

المقـدمـة[1]

النهضة العلمية في ظل الدولة الإسلامية ومواطن ضعفها

قصدت من عقد هذا المبحث بيانَ أسباب قوة وضعف الحركة العلمية في بلاد الإسلام، لكن لما كان الخوض في هذا الأمر يُحْوج المتصدي له إلى كثرة الاعتراض والاستطراد في ذكر تواريخ نشوء الدول وزوالها، والإشارة إلى نُبذ من أحوالها وأخبارها، اخترت الاستهلال بمدخل تاريخي يشتمل على عرض صور موجزة للدول الإسلامية المتعاقبة، مع الإسهاب في ذكر خبر التتار خاصة. ومن ثَمَّ أشرع في الموضوع الذي قصدت إليه.

المدخل التاريخي

تعد الأمة الإسلامية سيدة الأمم في مجال العلم، ورائدتها في إقامة الحضارة المتوازنة التي طالما كان يتطلع إليها عقلاء الأمم، لتنقذهم من غياهب الظُّلْم والظُّلَم، إلى نور العدل، وشريعة الحق.

والعلم الذي أقام تلك الحضارة المشرقة، هو العلم المؤسَّس على الفطرة السليمة التي فطر الله سبحانه وتعالى الناسَ عليها.

فالإسلام دعا إلى العلم، وحثّ عليه، وأرشد إليه، وليس أدلّ على هذا من أن البعثة النبوية افتتحت بتلك الآيات المباركات: ﴿اقرأ باسم ربك الذي

---

(١) اعتمدت في جمع وتصنيف هذه المقدمة على أمهات الكتب التاريخية القديمة والحديثة، ولم أتعرض فيها لعزو المعلومات إلى مصادرها إلا عند ذكر النصوص، والضرورة.

خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم. . .﴾ ولا يخفى على ذي بصيرة أن هذه الآيات فيها دعوة إلى العلم الموافق لفطرة الإنسان، المقرّة بوجود رب خالق قاهر، ومربوب مخلوق مقهور.

وهذا الارتباط بين العلم والفطرة التي غذتها الرسالة النبوية أدى إلى نجاح الحركة العلمية عند المسلمين نجاحاً باهراً لم تعهده أمة من الأمم.

فقد قامت قديماً وحديثاً حركات ومذاهب تدعو إلى العلم على غير هدى، حيث أهملت جانب الفطرة، وانطلقت من نقطة فارغة، وأخذت تتعثر بنفسها لأنها أرادت الخوض في أمور هي أوسع من دائرة العقل الإنساني، فأجهدت نفسها، وأعدمت قوتها دون طائل، ومن هنا نرى أن معظم المذاهب الفلسفية لم تُجد نفعاً، ولم تحقق غرضاً، إلا بث الجدليات العقيمة التي حالت دون تقدم العلم.

فالحضارة لا تكون سوية إلا إذا نشأت في ظل دين سماوي، لأن هذا الدين يرسم للإنسان السبيل القويم، ويسلك به إلى شاطىء النجاة واليقين، ويضعه أمام واقع يتجاوب عقل الإنسان معه.

لقد تأخر العرب قبل الإسلام عن مسايرة ركب الحضارة ــ مع شدة تقبّل نفوسهم لها ــ لتلك الغِشاوة التي أطبقت على فطرتهم، فلما بُعث سيد البشر، وخاتم الرسل محمد بن عبدالله ﷺ أزال تلك الغشاوة فانطلقوا من عِقالهم، ونشِطوا من سكرتهم، فأصابت الدعوة إلى العلم شَغَاف قلوبهم، وحركت مكامن نفوسهم، وخاصة عندما رأوا التناسب الظاهر بينها وبين صلاح طبائعهم، وصفاء أذهانهم، وجودة قرائحهم، وبُعد مداركهم، فَرَأَيْتهم ينهلون من منابع العلم، ويغرفون من عيونه، حتى كانوا بعد فترة من الزمن سادة عصرهم، ونسيج وحدهم في هذا المجال، فأقاموا حضارة عظيمة آذنت بأفول الحضارات السابقة، ومثلها كمثل الشمس إذا طلعت، لا تبقي أثراً لسائر الكواكب.

إنها الحضارة المتوازنة التي تناسب طبيعة الأبدان والأكوان، وشفافية الأرواح والأذهان.

ولما كان أتباع هذا الدين الحنيف خلفاء الله في أرضه، ومستعمرين فيها، تطلعوا إلى إنقاذ البشرية كلها من مفاسد الانحراف عن الفطرة، وهدايتها إلى الطريق السوي، فبعث النبي ﷺ رسله إلى سادة الأرض وملوكها يدعوهم إلى الحق الواضح؛ وكان في طليعة هؤلاء المدعويين كسرى ملك الفرس، وقيصر سيد الروم، وكانت دولتاهما أعظم الدول قوة، وأوسعها رقعة، وأعتاها حكماً، تقومان على إذلال الإنسان، واستعباده، وظلمه، لكن تلك الدعوة المباركة لم تجد في نفسي كسرى وقيصر أثراً صالحاً، لأنهما رأيا فيها ذهاب ملكهما، وضياع عظمتهما.

فلما لم تفلح حكمة اللسان معهما، جاءت موعظة السِّنان لتفهم هٰذين الجبارين في الأرض، أن الجبروت كله لله، يعطي ويمنع، ويرفع ويضع، ويعز ويذل، ويؤتي الملك من يشاء، وينزعه عمن يشاء.

فلم ينته عصر الراشدين المهديين إلا وبلاد الفرس والروم بأيدي المسلمين، بل اتسعت تلك الفتوحات في عهدهم، فشملت بلاد خُراسان شرقاً إلى أَطْرابُلُس الغرب، وباب الأبواب (الدَّرْبَنْد) ومناطق من آسيا الصغرى شَمالاً إلى جَنُوب جزيرة العرب؛ وبعض الجزر كقُبْرص ورُوْدِس، هذا إلى جانب غزوهم لمناطق كثيرة كجُرْجان، وطَبَرِسْتان، وأَذْرَبِيجان، وبلاد ما وراء النهر في الشرق، وبلاد النُّوبة في الجَنُوب المصري.

ولم تقف تلك الفتوحات في عهد خلفاء بني أمية، بل امتدت لتشمل كافة بلاد السِّند، وبعض بلاد الهند، وبلاد ما وراء النهر كبُخَارى وسَمَرْقَنْد والشاش والصُّغد وفَرْغَانة إلى حدود الصين، وبلاد المغربين الأوسط والأقصى، وبلاد الأندلس وجَنوب فَرَنْسَة ــ فَرَنْجَة ــ كما قاموا بحصار حاضرة البيزنطيين «القُسْطَنْطِيْنِيَة».

ثم أَفَل نجم بني أمية، وبَزَغ فجر بني العباس، فكان الخلفاء في هذا العهد يعملون على تثبيت ملك الإسلام للبلاد المفتوحة قبلهم، وعلى ضبط النظام في الداخل، وقمع الخارجين، كما قاموا بفتح بعض البلاد، وبغزو بلاد الهند والنُّوبة باستمرار.

لكن حدث في هذا العهد ـ أعني العصر الأول[1] لبني العباس ـ خروج[2] بعض البلاد عن حكمهم، واستقلالها عن سلطانهم، فاستأثر عبدالرحمن الداخل الأموي بالأندلس، وأسس فيها الدولة الأموية، وكانت حاضرتها قُرْطُبَة، وأسس الأدارسة دولة في المغرب وحاضرتها مَرَّاكُش ثم فاس، وكذا فعل الأغالبة في إفْرِيقِيَّـة، وكانت حاضرتهم القَيْرَوَان، كما قامت في اليمن الدولة الزِّيَادِية وحاضرتها زَبِيْد، إلا أَن الدولتين الأخيرتين لم تكونا تامة الاستقلال عن الدولة العباسية.

ثم كان العصر الثاني للعباسيين، الذي ضعفت فيه الخلافة ضعفاً شديداً، واستبد الجند[3] الأتراك بأمور الحكم، فلم يبق للخليفة في معظم هذا العهد إلا ذاك المظهر الديني والمركز الصوري، من إقامة الخطبة له، ونقش اسمه على السِّكة، ونحو ذلك من ألقاب وشعارات خاوية؛ بل راح كثير من الخلفاء ضحية لأهواء هـؤلاء الجند، فكم خليفة قتل، أو ضرب، أو سُملت عيناه، أو عزل، أو أهين.

وقد أدى هذا الضعف إلى استقلال الولايات الكثيرة، وقيام الدول،

(١) وينتهي هذا العصر بوفاة الخليفة الواثق سنة ٢٣٢.

(٢) لم تسلم الدولة الأموية من مثل هذا الخروج، لكن كان ذلك في زمن ضعفها وفي آخر أيامها.

(٣) اعتمد العباسيون في بادىء أمرهم على الفرس، فمنحوهم المناصب العالية في الدولة، كالوزارة، وإمرة الجيوش، فلما قوي أمرهم، واشتد نفوذهم، رأى الخليفة المعتصم أن من السلامة إقصاءهم وعزلهم، وقد تم له ذلك، لكنه أبدلهم بالعنصر التركي الذي أصبح في وقت من الأوقات أسوأ حالاً من سابقه.

والأمويون قد استراحوا من الفريقين، وسلموا قبل اللَّدغ من الجُحْرين، فقدموا العرب دون غيرهم وأسندوا لهم الوظائف الكبيرة.

ونشوء المذاهب والدعوات الفاسدة كالإسماعيلية، والقُرمطية، والعُبيدية «الفاطمية».

كما قامت بعض الدول الخارجة بالاستبداد بالحكم في حاضرة الخلافة بغداد، وتصريف الأمور دون الخليفة.

لكن كان لكثير من تلك الدول المنفصلة عن جسم الدولة الأم، فضل في نشر العلم، وتثبيت ملك الإسلام في المناطق المفتوحة، وفتح بلاد جديدة، ونشر الإسلام بين أهلها، ومحاربة الكفرة الذين يتضرر المسلمون منهم.

وأعرض الآن صوراً مختصرة لأهم الدول التي نشأت في هذا العصر، أو كانت امتداداً لدول نشأت في العصر العباسي الأول.

ويمكن تقسيم هذا الأمر إلى ثلاث نقاط:

(١) دول المشرق.
(٢) دول الشام ومصر.
(٣) دول المغرب والأندلس.

وبذلك يسهل تناول تعاقب الدول بالبحث، لأن كثرة تلك الدول تحجب الدقة عن البحث ما لم تنظم هذا التنظيم أو ما يشاكله، وأبدأ بالحديث عن دول المشرق فأقول:

(١) دول المشرق:

لقد قامت في بلاد المشرق دول كثيرة على أيدي الفرس والأتراك وغيرهم، وكانت معظم هذه الدول تعترف بسلطان الخليفة العباسي، وتعلن ولاءها الظاهري له.

فقد قامت الدولة الطّاهرية على يد طاهر بن الحسين سنة **٢٠٥** في بلاد خُراسان، وكانت حاضرتها نيسابور، ثم زالت تلك الدولة سنة **٢٥٤** على يد يعقوب بن الليث الصفّار مؤسس الدولة الصفّارية التي اتسعت رقعتها فشملت

بلاد خُراسان، وفارس، وأَصبهان، وسِجِسْتان، والسِّنْد، وكَرْمان، وهمت بدخول بغداد لكنها لم توفق، ثم زالت الدولة الصفارية سنة **٢٩٨** على يد الدولة السامانية التي أسسها نصر بن أحمد الساماني الفارسي سنة **٢٦١** في بلاد ما وراء النهر وكانت حاضرتها بُخارى ثم استولت هذه الدولة على بلاد خُراسان، وجُرجان، وطَبَرِسْتان، وسِجِسْتان، والجبال.

ثم انقرضت هذه الدولة على يد الغَزْنَويين، وخانات تُرْكُسْتان ـ الذين تمتد بلادهم من حدود الصين شرقاً إلى حدود الدولة السامانية غرباً ـ والبُوَيهيين.

وكانت قد قامت الدولة الزيارية سنة **٣٢٢** على يد مَرْداويج بن زيار الدَّيْلَمي، وشملت بلاد الجبال، وطَبَرِسْتان، والرَّيْ، وجُرجان، وغيرها؛ وهمت بدخول بغداد لإعادة مجد الدولة الفارسية، لكن سرعان ما زالت دولتهم على يد الدولة البُوْيهية الفارسية الشيعية التي أسسها عماد الدولة علي بن بُوَيه، وأخواه ركن الدولة حسَن، ومعز الدولة أحمد وذلك سنة **٣٢٣** وشملت بلاد الجبال، والرَّي، وفارس، والعراق، والمَوْصل، وديار بكر وغيرها، وقد استطاعت هذه الدولة أن تمد نفوذها إلى حاضرة الخلافة بغداد، فحكمت فيها أكثر من قرن، واستأثر سلاطينها بالسلطة فيها دون الخلفاء؛ وكان عهد بني بويه من أسوأ العهود، حيث حرضوا الشيعة على أهل السنة، وهموا بإقامة خلافة عَلَوية، وناصبوا الخلفاء العداء فقتلوا، وعذبوا، وأهانوا، وعزلوا من شاءوا منهم، وشجعوا في آخر عهدهم دعاة الباطنية، والمذاهب الملحدة حتى دمر الله عليهم ملكهم على يد الغَزْنويين والسلاجقة.

وكانت الدولة الغزنوية ـ وحاضرتها غَزْنة ـ قد أخذت في الظهور سنة **٣٥٢** على يد ألبتكين التركي أحد ولاة السامانيين، لكن المؤسس الفعلي لها هو سُبُكْتِكِين أحد مماليك إسحاق بن ألبتكين وذلك سنة **٣٦٦**، واتسعت رقعة هذه الدولة فشملت بلاد ما وراء النهر، وخُراسان، وفارس، وسِجِسْتان،

والري، والجبال، وأَصبهان، وطَبَرِسْتان، وخُوارَزْم، والسِّنـد، والبنجاب، وإقليم جوجرات، وكشمير.

وكانت هذه الدولة من محاسن الدول، وسلاطينها من مفاخر السلاطين، فقد توغلت في بلاد الهند فتحاً، فقتلت وأسرت وغنمت ما لم يسمع بمثله، وأزالت من تلك الديار المعابد والأصنام، واستولت على الحصون، ولم يتهيأ لسلطان مسلم قبلهم فتح ما فتحوه من تلك البلاد، كما عملوا على نشر الإسلام بين الهنود، وبين الغُوريين الكفرة الذين تقع بلادهم بين غَزْنة وهَرَاة، ومن أعظم محاسنهم أيضاً قضاؤهم المبرم على سلطان البويهيين الشيعة في الري وبلاد الجبال، واستردادهم لبلاد ما وراء النهر من خانات تُرْكُسْتان الكفرة، ومحاربتهم أهل البدع والفساد من معتزلة، ورافضة، وإسماعيلية، وقرامطة، ومشبهة، وإظهارهم للسنة.

ثم قامت الدولة السَّلْجوقية، ومـؤسسها الأول هو سَلْجوق بن تُقاق أحد ملوك الأتراك الذي فر مع قبيلته وقومه من بلاد الترك، إلى بلاد الإسلام، حيث أسلم هو ومن معه، وحسن إسلامهم، وأخذ يكثر من الإغارة على بلاد الترك الكفرة، ويساعد المسلمين عليهم، وكان يقيم بنواحي جَنْد، ثم ملك أبناؤه من بعده، وفتحوا البلاد، واستولوا على مناطق كثيرة من بلاد الغَزْنويين بعد معارك شديدة، وأصبحت دولتهم من أعظم الدول، حيث كانت أوسع رقعة، وأقوى سلطاناً، وأكثر ازدهاراً من الدولة الغَزْنوية، وكانت حاضرة السَّلجوقيين مدينة الرَّي.

وقد امتدت هذه الدولة من حدود الصين شرقاً إلى أقاصي الشام غرباً، ومن بلاد آسيا الصغرى شَمالاً إلى جَنوب بلاد اليمن، وكانت لهم مع الروم وقائع شديدة، حققوا فيها انتصارات عظيمة، ودفع لهم إمبراطور الـروم الجزية، كما أنهم أزالوا حكم البُوَيْهيين عن بغداد وغيرها، وحكموا في حاضرة الخلافة العباسية، وأزالوا حكم العُبيديين «الفاطميين» عن الحجاز

وكثير من مدائن الشام، وقضوا على ثورة البساسيري الرافضي أحد أمراء جند بني بُوَيه، الـذي خطب للعبيـديين في بغداد نفسهـا، وحاربـوا الباطنيـة «الإسماعيلية» وصلحت البلاد في أيامهم، وأمنت الطرق، وهنأت الرعية، وانتشر العدل، لكن سنّة الله في مداولة الأيام بين الناس أصابتهم كما أصابت غيرهم، فضعفت دولتهم، وقام في وجهها الخُوارَزْميـون والغُوْريـون من الشرق، والصليبيون والروم في آسيا الصغرى وبلاد الشام وفلسطين، ومن ثم زالت وتفرع عنها بعض الدول الصغيرة.

وكان من أخطر الأحـداث في عهد هـذه الدولـة، خروج الصليبيين الفَرَنْجة، واجتماعهم على الاستيلاء على ديـار المسلمين ففي سنة ٤٧٨ استولوا لعنهم الله على مدينة طُلَيْطِلة أكبر وأحصن مدائن الأندلس، وعلى غيرها من المدن في تلك الناحية وذلك في عهـد ملوك الطوائف. وفي سنة ٤٨٤ استولوا على جميع جزيرة صِقِلِّيَّة وكانت تابعة لسلطان العبيديين في مصر. وفي سنة ٤٩٠ توجهوا بجحافلهم نحو بلاد الشام والجزيرة فاحتلوا الرُّها وأَنْطَاكِيَة وبيت المقدس، وطَرَابُلُس، وأسسوا في كل واحدة منها إمارة لاتينية، كما ملكوا كثيراً من مدائن الشام والجزيرة كعكا، وحيفا، ويافا، واللَّاذِقِيَّة، وبيروت، وصيدا، وصُور، وجُبَيْل، وبانِيَاس، وغيرها الكثير، فقتلوا فيها مئات الآلاف من رجال المسلمين، وسبوا نساءهم، ونهبوا ديارهم وأموالهم، وعاثوا في تلك الديار التي كان يحكمها السَّلاجقة والعبيديون الفساد، وذلك لما رأوا ضعف هاتين الدولتين، وما تعانيانه من حروب داخلية قاتلة.

ومع ذلك فقـد قامت تلك الـدولتان بـالوقـوف في وجه الصليبيين، ومقاومتهم رغم ضعف إمكانياتهما، إلا أن الفضل الأكبر في ردع حملات الصليبيين الحاقدة، واسترداد البلاد الإسلامية منهم، كان للدولة الأتابِكية في المَوْصل وحلب، والدولة الأيوبية، ومن ثَمَّ دولة المماليك.

وقد سبق أن الدولة الغُورية قامت في وجه الدولة السَّلجوقية؛ والدولة

الغورية قامت على أيدي الغُور الأفغانيين، وكانت حاضرتهم «فِيْرُوزْكُوه» وهي من أعمال غَزْنة، ويعتبر المـؤسس الحقيقي لهـذه الدولـة هو عـلاء الدين الحسين بن الحسين الغوري وذلك في سنة ٥٤٧ أو قبل ذلك، وقد اتسعت رُقعة هذه الدولة فشملت بعض بلاد خُراسان، والسِّند، والهند، وقد فاقوا الغزنويين كثيراً في فتوحاتهم في بلاد الهند، ودانت لهم ملوك تلك الناحية، وغنموا منها المغانم التي تفوق الحصر، وقتلوا من الهنود الكفرة العدد الكبير، ونشروا الإسلام في تلك الديار، وكانت دولتهم من أحسن الدول سيرة.

كما كان على يد هذه الدولة زوال الدولة الغَزْنوية.

ثم زالت الدولة الغُورية على يد الدولة الخُوارَزْمية التي يعتبر أصل تأسيسها سنة ٤٧٠ على يد أَنُوشْتَكين أحد موظفي بَلاط السّلاجقة، ومن ثم استقلت الدولة الخُوارَزْمية عنهم، وضاهت[1] دولتهم، حيث إنها جاءت على أنقاض الدولة السَّلجوقية، والدولة الغُورية، وامتدت بلادهم من حدود الفرات غرباً إلى حدود الهند وإلى بلاد ما وراء النهر، وتُرْكُسْتان شرقاً ومن باب الأبواب، وتَفْليس، وبحر آرال شَمالاً إلى الخليج الفارسي، وبحر العرب جَنوباً، وقد دارت بينهم وبين السَّلاجقة والغُوريين حروب ضَارِية.

ومن محاسن هذه الدولة قضاؤها المبرم على الخِطا الكفرة الذين كانوا يسكنون بلاد تُرْكُسْتان ــ الواقعة بين الصين وبلاد ما وراء النهر ــ والذين كانوا يسومون المسلمين سوء العذاب حيث إنهم سيطروا على بلاد ما وراء النهر، وأخضعوا المسلمين فيها لسلطانهم، وأجبروهم على بذل المال لهم، بل إنهم عبروا جَيْحون إلى بلاد خُراسان فعاثوا فيها فساداً.

كما كان للدولة الخُوارَزمية الفضل في قتل معظم الكُرْج الكفرة، ونهب

---

(١) إلا أن شاهات خُوارَزْم لم يستطيعوا الحكم في حاضرة خلافة بني العباس كما فعل السلاجقة والبُوَيهيون.

بلادهم الواقعة شرق البحر الأسود، وقد كان هؤلاء الكُرْج أهل بطش وظلم وعدوان، لم يسلم من إيذائهم أحد من جيرانهم قبل الإسلام ولا بعده، فقد تضررت منهم مملكة فارس قبل الإسلام، ومن ثم راحوا يصبون النقمة والظلم على المسلمين من حولهم في بلاد أَذْربيجان، وأرَّان، ودَرْبَنْد شَرْوان، وأَرْزَن الروم، وخِلاط، ولم يجسر أحد على الإيقاع بهم كما فعل جلال الدين بن علاء الدين خوارزم شاه آخر سلاطين الخُوارزمية رغم ضعف دولته، وقضاء التتر على معظم جنده.

كما قامت الدولة الخُوارَزْمية بمحاربة الإسماعيليين الباطنيين، ووضعوا السيف في جموع كبيرة جداً منهم.

ثم زالت الدولة الخُوارزمية في آخر سنة ٦٢٨، ومحيت آثارها، ونسفت ديارها، وأبيدت جنودها على يد التتار الكفرة لعنهم الله فإنهم فعلوا في بلاد المسلمين من القتل والفحش والسبي والنهب والتخريب والفساد ما لم يسمع بمثله في تاريخ البشرية كلها.

وقد ذكرت من ذي قبل أن الدولة السَّلجوقية تفرع عنها دويلات، وذلك كدولة سَلاجقة الروم، وشاهات إِرْمِيْنِيَة، ودول الأتابِكة، وسأتحدث فيما بعد إن شاء الله تعالى عن بعض دول الأتابِكة ودورهم الفريد في محاربة الصليبيين، وتمهيدهم الطريق للأيوبيين ومن ثم للمماليك في محو آثار الصليبيين من بلاد الشام ومصر.

(٢) دول الشام ومصر:

لم يحظ بلد من البلدان بما حظيت به بلاد مصر والشام من موقع جغرافي، وسَوْقي، وروحي مميز، فكانت مهد النبوات، ومهبط الحضارات، وملتقى التجارات، لذا تطلعت إليها الأنظار، وتأسست فيها الدول الكبار، وكانت أولى البلاد التي فتحها المسلمون في زمن الراشدين، وظلت تحت

سلطة الخلافة الإسلامية المركزية، إلى أن دب الضعف في جسم تلك الخلافة، وتفككت روابطها، في العصر العباسي الثاني، فاستقلت الولايات الكثيرة، ومنها بلاد مصر والشام.

ففي سنة ٢٥٩ ولي أحمد بن طُولون التركي مصر من قبل الخليفة، ومن ثم ضم إليه الشام، واستقل بتلك البلاد مؤسساً بذلك الدولة الطُولونية التي امتدت من العراق شرقاً إلى بَرْقة غرباً، ومن آسيا الصغرى شَمالاً إلى بلاد النُوبة جَنوباً، وقد أكثر ملوكها من غَزْو بلاد الروم حتى خافهم أباطِرتها، وكانت أيام هذه الدولة أيام ازدهار للبلاد، ورخاء للعباد، ثم زالت رُسوم هذه الدولة سنة ٢٩٢ على يد الخلافة العباسية.

وبعد أن خضعت تلك البلاد لسلطان الخليفة فترة من الزمن، قامت فيها الدولة الإخشيدية سنة ٣٢٣ على يد محمد الإخشيد بن طُغْج ـ أحد أولاد ملوك فَرْغَانة ـ نائب العباسيين في تلك الديار، وكان لملوك هذه الدولة موقف جليل في صد حملات العبيديين الحربية لدخول مصر، كما دانت لها بلاد الحجاز، وقد قامت هذه الدولة بإصلاحات كثيرة، ثم سقطت على يد العبيديين سنة ٣٥٨.

وكان الحَمْدانيون قد استولوا على حلب من الإخشيديين، ودولة بني حَمْدان تأسست في بلاد المَوْصل سنة ٣١٧ على يد ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حَمْدان الذي تولى إمرة الأمراء في بغداد؛ كما أنها تأسست في حلب وتوابعها على يد سيف الدولة الحَمْداني أخي ناصر الدولة، وقد امتاز عهد السيف هذا بكثرة وقائعه مع البيزنطيين الذين استولوا على كثير من المناطق الإسلامية الشَمالية في بلاد الروم، والجزيرة، وغيرها، ثم زالت الدولة الحمدانية في المَوْصل على يد البُوَيْهيين، وفي حلب على يد العُبيديين.

ودولة العبيديين قامت سنة ٢٩٧ في إفريقيَّة، والمغرب الأوسط على يد

أول خلفائها وهو عبيدالله المهدي، بعد أن مهد الطريق له داعية الباطنية أبو عبدالله الشيعي، ثم اتسعت رقعة هذه الدولة فشملت المغرب الأقصى ومصر وفلسطين والشام والمَوْصل والحجاز واليمن، وجزيرة صِقِلِّيَّة إلى جانب إفريقيَّة والمغرب الأوسط، وكانت حاضرة هذه الدولة القاهرة بعد أن كانت القَيْرَوان، والمهدية، والمنصورية على التوالي، وقد نشر العبيديون في البلاد التي امتدت أيديهم إليها المذاهب الشيعية الغالية، وناصبوا أهل السنة العداء، وضيقوا عليهم. ثم زال حكمهم في المغرب وإفريقيَّة على يد دويلات، وزال في الشام على يد السَّلاجقة، وبعض دول الأتابِكة، والصليبيين، وزال في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي أحد قواد نورالدين محمود.

وأنتقل الآن للكلام عن بعض دول الأتابِكة فأقول:

إن سلاطين السَّلاجقة كانوا يعهدون لبعض الأتراك النابهين بالوزارة لهم، أو بتربية أولادهم، وكان السلاطين يولون أولادهم الصغار بعض الأقاليم والولايات، ويرسلون معهم الأَتابِك ـ أي الأمير الوالد ـ ليدير شئون تلك البلاد عنهم، ريثما يتأهلون للحكم بأنفسهم، وكان السَّلاجقة أيضاً يسندون إدارة بعض الأقاليم أو الولايات، لبعض الأتابِكة، فلما ضعفت الدولة السَّلجوقية، وآذنت بالأفول استقل كثير من الأتابِكة بولاياتهم، واستأثروا فيها دون سلاطينهم، ومن ثم أطلق على دولهم تلك، دول الأتابِكة.

وقد كثرت هذه الدول: كأتابكية المَوْصل، وأتابكية دمشق، وأتابِكية حلب، وأتابِكية الجزيرة، وأتابِكية سِنْجار، وأتابِكية كَيْفا ومارِدين، وأتابِكية أَذْرَبِيْجان وغيرها.

ومن أهم هذه الأتابِكيات: أتابِكية دمشق، وأتابِكية المَوْصل، وأتابِكية حلب. فأتابِكية دمشق: أسسها طُغْتِكِين أحد قواد السَّلاجقة، واستمرت هذه الدولة تحت نفوذ أسرة طُغْتِكِين إلى سنة ٥٤٩ حيث استولى عليها الملك العادل نورالدين محمود رحمه الله تعالى.

وأما أتابِكية المَوْصل: فقد أسسها عمادالدين زَنْكي أحد ولاة السَّلاجقة المقربين ممن تولوا أرفع المناصب في هذه الدولة، ففي سنة **٥٢١** صدر قرار من السلطان السَّلجوقي محمود بن محمد بن مَلِكْشاه بإقطاع عمادالدين المَوْصل، وسائر البلاد الجزرية، مع تسليمه ولدي السلطان ليكون أتابِكاً لهما، ومنذ ذلك الحين أطلق على زَنْكي لقب «أتابِك»، ثم ضم زَنْكي إلى إقطاعه مدينة حلب، وغيرها من مدائن الشام.

وقد تسلم الملك الشهيد زَنْكي هذه البلاد في أصعب الأوقات وأحلكها، حيث كان الفرنج النصارى يعيثون في بلاد الإسلام الشامية والجزرية الفساد، واتخذوا فيها مملكة واسعة الأطراف تمتد من نواحي مارِدين شمالاً إلى عريش مصر، وليس بيد المسلمين من مدن تلك الناحية سوى حلب، وحمص، وحماه، ودمشق، وكانت جميع البلاد الشامية والجزرية تتعرض لغاراتهم، وفسادهم، ونهبهم، وقتلهم.

فقام الملك الشهيد زَنْكي بمحاربة الفرنجة والروم، واشتبك معهم في وقائع شديدة، واستعاد منهم الحصون المنيعة، ومن أهمها «الرُّها»، وأعاد لمناطق المسلمين أمنها واستقرارها، ثم توفي رحمه الله تعالى في سنة **٥٤١** بعد أن نشر العدل، وبث الأمن، وأرهب الأعداء. وتولى مكانه المُلك ولداه الملك سيف‌الدين غازي في المَوْصل وبلاد الجزيرة، والملك العادل نورالدين محمود في حلب ونواحيها، وكانت دولة نورالدين من أعظم الدول حيث قامت بجهاد الفرنجة، والاستيلاء على كثير من حصونهم في ديار الإسلام، وأسر وقتل عدد من كبار ملوكهم حتى ذلوا ووهنت عزائمهم، وخارت قواهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

وبعد موت سيف‌الدين غازي ملك البلاد الجزرية، وخليفته من بعده أخيه قطب‌الدين مودود قام الملك العادل بضم المَوْصل وبلاد الجزيرة إليه، وكذلك فعل بدمشق وغيرها من مدن الشام وذلك في سنة **٥٤٩** ولم يحمله على هذا

إلا فعل الخير بتقوية البلاد الإسلامية وتوحيدها لمواجهة الأعداء الحاقدين من الفرنجة وغيرهم، وقد قرر على بلاد الجزيرة ابني أخيه قطب الدين، وهما سيف الدين وعماد الدين، كما بسط في جميع البلاد التي يحكمها الأمن والعدل والإحسان فمالت إليه القلوب، وأنست بعهده النفوس.

ولما تم للملك العادل نورالدين محمود توحيد تلك البلاد أرسل أحد قواده العظام وهو أسد الدين شِيركوه وبرفقته ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي إلى مصر ففتحاها، وطردوا الفرنجة من ثغورها، لكن سرعان ما توفي أسد الدين رحمه الله، فتولى مكانه ابن أخيه صلاح الدين الذي كانت على يديه الكريمتين زوال معالم الخلافة العبيدية الرافضية، وفَتْح بلاد اليمن بواسطة أخيه في سنة ٥٦٩ وتوحيدها بعد أن كانت مفككة تحكمها عدة دويلات.

وفي العام نفسه توفي الملك العادل نورالدين رحمة الله عليه، بعد حياة حافلة بالجهاد والإصلاح والصلاح، وكانت رُقعة ملكه قد اتسعت لتشمل المَوْصل وبلاد الجزيرة، وبلاد الشام، والديار المصرية، واليمنية، والحجازية، وأطاعه أصحاب ديار بكر، وبذلك مهد العادل الطريق للسلطان الشهم المجاهد صلاح الدين الأيوبي ليسترد معظم مدن الشام من الفرنجة لعنهم الله.

* **الدولة الأيوبية**: قامت هذه الدولة الفتية على يد البطل الشهير، والسلطان الكبير صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب، وذلك أن هذا السلطان كان يحكم مصر نيابة عن الملك العادل نورالدين محمود، فلما مات العادل نورالدين رحمه الله ضعفت الدولة الزَّنْكية، فرأى صلاح الدين من الحكمة ضم جميع ولايات هذه الدولة تحت سلطانه، ليتيسر له استرداد البلاد الشامية من الفرنجة، وقد تحقق لصلاح الدين هذا الأمر، فدانت له البلاد الجزرية، والموصلية، والشامية التي بأيدي المسلمين، ثم كشف عن ساق الجد وراح يحارب الفرنجة، ويدفعهم عن بلاد الإسلام، فخاض معهم معارك

مستمرة وضارية، حتى استرجع منهم معظم البلاد الشامية وخاصة بيت المقدس، فتوسعت دولته بذلك بحيث شملت الديار المصرية، والشامية ــ ما عدا أجزاء يسيرة ــ والجزرية، والموصلية، واليمنية، والحجازية، ثم توفي إلى رحمة الله سنة ٥٨٩، فتقاسم دولته خلفاؤه من بعده، ثم زالت الدولة الأيوبية من مصر سنة ٦٥٢ على يد المماليك البحرية.

* **دولة المماليك البحرية**: المماليك البحرية هم الترك الذين اشتراهم[١] الملك الصالح أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر ــ أخي صلاح الدين ــ بن أيوب ملك مصر، وبنى لهم قلعة بجزيرة الروضة في النيل وأسكنهم فيها ــ فلذا سموا البحرية ــ واتخذهم أمراء، وأعواناً، وجنداً؛ ثم توفي الصالح سنة ٦٤٧، فتولى الملك من بعده ابنه المعظم تُوران شاه فلم يلبث فترة يسيرة حتى قتل على يد مماليك أبيه سنة ٦٤٨، فأقام المماليك بعده زوجة أبيه الصالح شجرة الدر، ثم عزلوها، وولوا مكانها المُعز[٢] أيبك التُّركماني المملوكي سنة ٦٤٨ وبه بدأت دولة المماليك البحرية، ثم ولوا مع المعز أحد الأيوبيين وهو الأشرف موسى بن يوسف، لكن المعز عزله بعد ذلك، وتفرد بالسَّلْطنة، ثم قُتل المعز، فتولى مكانه ابنه المنصور علي الذي خلعه مملوك المعز الملك المظفر سيف الدين قُطُز وتولى مكانه عرش مصر، وفي عهد هذا السلطان العظيم انتصر المسلمون بقيادته على جحافل التتار في موقعة عين جالوت الشهيرة فأفنى المسلمون التتار المحاربين قتلاً، وأخرجوهم من بلاد الشام كلها بعد أن أحكموا سلطانهم فيها، وتعتبر هذه المعركة أول معركة يهزم فيها التتار هزيمة مؤثرة، ثم تتالت عليهم الهزائم بعد ذلك ولله الحمد والمنّة، وقد اشترك في هذه المعركة العظيمة قائد جند قُطُز بِيبرس البُنْدُقْداري حيث أبلى فيها بلاء حسناً، وتتبع فلول التتار حتى أخرجهم من

---

(١) المماليك الترك هم الذين أوصلوا الملك الصالح إلى كرسي السلطنة، لذا أكثر من شرائهم، والعناية بهم.

(٢) لم يكن المعز، ولا ابنه، ولا قطز من المماليك البحرية.

الديار الشامية ومن دولة الروم السَّلجوقية، وضم تلك البلاد إلى حكم سلاطين مصر، ثم قُتل المظفر قُطز فتولى سُدَّة الملك بعده الملك الظاهر بِيبرس أعظم سلاطين المماليك، وأول المماليك البحرية الذين علوا كرسي السلطنة، وقد قام الظاهر باسترداد بعض الحصون الشامية التي بقيت بيد الفرنجة كأَنْطَاكِيَة، والقليعات، وحلبا، وعِرْقة، وصَفَد، ويافا، وقَيْسَارِيَّـة الشام، وأَرْسُـوف، وغيرها. وقد أخزى الله على يديه التتار والفرنجة، كما تمكن هذا السلطان من فتح بلاد النُّوبة بأكملها.

وكان من أعمال بِيبرس المحمودة أن نصب سنة ٦٥٩ أحد العباسيين خليفة في مصر بعد أن زالت الخلافة في بغداد على يد التتار سنة ٦٥٦، وانقطعت أكثر من ثلاث سنين، ثم توفي الظاهر رحمه الله تعالى سنة ٦٧٦ بعد أن دام حكمه سبع عشرة سنة.

فتولى بعده ابنه بَرَكة، ثم ابنه الآخر سَلَامِش، ثم قام سيف الدين قلاوون بخلع الأخير، وتولى مكانه، وتلقب بالمنصور، وكان هذا السلطان كسلفه بِيبرس من أعظم سلاطين المماليك، ففي عهده حقق المسلمون نصراً مُـؤَزَّراً على التتار بظاهر حمص، حيث أفنى المسلمون التتار المهاجمين؛ كما تمكن من فتح حصن المَرْقَب من الفرنجة وهو من أمنع الحصون، وقد حقق الله على يديه أيضاً فَتْح طرابُلُس الشام، وقَتْل من فيها من الفرنجة، وكان هـؤلاء لعنهم الله قد استولوا عليها سنة ٥٠٣، ولم تفتح إلا سنـة ٦٨٨ على يد قلاوون.

وفي السنة التالية لهذا النصر ــ أي سنة ٦٨٩ ــ توفي قلاوون رحمة الله عليه فتولى بعده ابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل.

وكان عهد الأشرف عهداً ميموناً، حيث قام هذا السلطان بفتح عكا، وقتل فيها ما لا يحصى من النصارى، وكان هـؤلاء قد أخذوها من صلاح الدين الأيوبـي سنة ٥٨٧، وظلت تحت أيديهم إلى سنة ٦٩٠ حيث فتحها الأشرف،

ولما علم الفرنجة بهذا الفتح وهي الحصن الحصين، والدرع المنيع، دخل الرعب في قلوبهم، وعلموا أن لا قرار لهم في سواحل الشام ومدنه، ففروا على وجوههم من بيروت، وصيدا، وصور، وأَنْطَرطُوس، وغيرها، فعادت بلاد الشام كاملة إلى المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

كما قام الأشرف بفتح قلعة الروم، وفَتَك بمن فيها من الأرمن، ثم قُتل رحمه الله تعالى.

وفي عهد خليفة الأشرف وهو أخوه الملك الناصر بن قلاوون هجم التتار بجموع حاشدة على بلاد الشام، واستولوا على دمشق، وكانت بينهم وبين السلطان وجيشه حروب ضارية كان النصر فيها دُولاً، لكن الخاتمة الخيرة كانت للمسلمين حيث قتلوا من التتار الجموع التي تفوق الحصر.

ومن محاسن عهد الناصر فتح جزيرة أَرْوَاد، وقتل وأسر جميع أهلها من الفرنجة، وكذلك فتح مَلَطْيَة وقتل من بها من النصارى، ثم توفي الملك الناصر، وكان قد عزل مرتين عن الملك ثم أعيد إليه، وقد خطب له ببغداد، والعراق، وديار بكر، والمَوْصل، والروم إلى جانب بلاده.

وكان الناصر قد تابع ما ابتدأه أسلافه، بِيبرس، وقلاوون، والأشرف خليل من غزو بلاد النُّوبة، وتعيين حكامها من قبله، حتى أصبحت حاكميتها مسلمة.

ثم ضعفت الدولة المملوكية البحرية، وزالت على يد الدولة المملوكية البُرْجية سنة ٧٨٤، وكان للبحرية فضل عظيم في دحر التتار، وقتل مئات الآلاف منهم، وفي القضاء على جميع ما تبقى من سلطان للنصارى في بلاد الشام، وفي الوقوف في وجه الحملات الصليبية على الشَّمال المصري، وقتلهم لكثير من جند تلك الحملات.

* **الدولة المملوكية البُرْجية الجَرْكسية**: لما رأى السلطان المنصور قلاوون ازدياد نفوذ المماليك الأتراك، وكثرة شغبهم، أراد أن يقوي أمره،

ويستعين بأمراء يوالونه دون غيره، فأكثر من شراء المماليك الجَرَاكسة الذين يقطنون في المناطق الواقعة على بحر نِيْطِش (البحر الأسود) من شَرقيِّه. وأسكنهم أبراج القلعة في القاهرة ــ فلذا سموا بالبُرْجية.

ومن ثم قوي نفوذ هـؤلاء المماليك، حتى استطاعوا سنة ٧٨٤ أن يخلعوا آخر سلاطين البحرية السلطان الصالح أمير حاج بن شعبـان بن حسين بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون، ويولوا مكانه الظاهر سيف الدين بَرْقوق الجَرْكسي، وبتوليته بدأت دولة المماليك البُرْجية الجَرْكسية.

وقد تم في عهد أحد سلاطين هذه الدولة وهو السلطان الأشرف بَرْسْبَاي فتح جزيرة قبرص.

وكانت هذه الدولة تعيش في دوامة من الثورات الداخلية، مما استنزف كثيراً من قوتها، ثم زالت في مستهل سنة **٩٢٣** على يد السلطان سليم العثماني، وأصبحت مصر والشام تابعة لحاضرة العثمانيين (إستنبول).

* **الدولة العثمانية**: أسسها بنو عثمان، وهم ينحدرون من أصل عربـي كما يرى بعض العلماء، فقد قام جدهم الأول عثمان بالهجرة من موطنه في الحجاز إلى بلاد الروم السَّلجوقية، فعظم شأنه عند حكامها، وتقدم في المناصب، حتى استطاع بعد ذلك أن يضع البذور الأولى للدولة العظيمة الواسعة التي استوت على سُوقها في عهد أولاده وأحفاده.

وكان أحد ملوك هذه الدولة ــ وهو السلطان سليم بن بايزيد بن محمد بن مراد خان بن بايزيد ــ وهو الذي أسره تيمورلنك كما سيأتي ــ بن أورخان بن أردن بن عثمان الثاني ــ قد تطلع إلى تـوسعة رقعـة دولته على حسـاب الصفويين الرافضة ملوك العـراقين وغيرهما الذين لا يـؤمن جانبهم، فتمكن في سنة **٩٢١** من هزيمة إسماعيل الصفوي، وأباد معظم جنده، وتملك غالب بلاده.

ثم عزم على الاستيلاء على بلاد المماليك في الشام ومصر، زاعماً أن السلطان الملك الأشرف قانْصُوه الغُوْري المملوكي كان يمالىء الصفويين عليه، ويؤوي الخارجين من أمراء العثمانيين، فتقدم نحو بلاد الشام سنة **٩٢٢**، وكان المصاف العظيم بينه وبين السلطان الغوري في مرج دابق، فقد جرت بين الفريقين وقعة شديدة هزم على أثرها المماليك، وقتل من الفريقين ما لا يوصف كثرة، وكان من بين القتلى السلطان الغُوري رحمه الله ثم سلَّم أمراء الشام بلادهم للسلطان سليم فملك تلك الديار دون ممانعة.

ثم تقدم العثمانيون نحو مصر، وكان اللقاء بينهم وبين المماليك وعلى رأسهم سلطانهم الجديد الأشرف طومان باي عند الريدانية في آخر سنة **٩٢٢**، فَهُزِم المماليك في هذه الوقعة، ودخل العثمانيون مصر، ووضعوا السيف في الجراكسة حتى أهلكوا منهم العدد الكثير، هذا ولم يسلم المصريون من إيذائهم ونهبهم وفسادهم وظلمهم الشديد، ثم قبض السلطان سليم على طومان باي وقتله شنقاً.

ولما صفت الديار المصرية للسلطان العثماني، عين نائباً له عليها، وتوجه إلى حاضرة ملكه إستنبول بعد أن وضع يده على جميع أموال وذخائر المماليك التي تفوق الحصر، بل نقل إلى بلاده كثيراً من علماء وقضاة وأمراء وفقهاء مصر، وكذلك بعض أرباب الوظائف، والمهن، والحرف، كما انه نقل المكتبات النفيسة في مصر، واقتلع كثيراً من رخام وأعمدة القصور والمدارس والمجالس في القلعة وسيرها إلى إستنبول، ولم يقنع بهذا كله حتى أمر الخليفة العباسي بالإقامة في الديار الرومية. ثم توفي السلطان سليم سنة **٩٢٦**. فتولى بعده ابنه السلطان سليمان فأظهر العدل في الرعية، وعفا عن كثير من أسرى المصريين، وعن الذين أجبرهم والده على المسير إلى مصر، وأعاد للمماليك الجراكسة حريتهم واعتبارهم بعد أن ظلموا ظلماً شديداً، وأوذوا إيذاءاً أليماً.

(٣) دول المغرب والأندلس:

فتح الأمويون بلاد المغرب والأندلس، وأخضعوها لسلطانهم النافذ، لكن لما ضعفت الدولة الأموية في آخر عهدها ذهب ذلك النفوذ، وأصبحت تلك البلاد شبه مستقلة عن الدولة الأم.

ولما انتقلت الخلافة إلى بني العباس، حدث في عصرهم الأول خروج بلاد الأندلس عن أيديهم، على يد عبدالرحمن الداخل الأموي وذلك سنة ١٣٨ مؤسساً دولة أموية قوية، أعادت للأمويين بعض سلطانهم المسلوب، وكانت هذه الدولة من محاسن الدول، حيث حرصت على جهاد الصليبيين، والفرنجة، ونصارى الأندلس، وأوقعت بهم الهزائم في وقائع عديدة، وفرضت عليهم الجزية، كما أنها أقامت حضارة أندلسية عريقة، وكانت حاضرة هذه الدولة «قُرْطبة».

ثم زالت الدولة الأموية سنة ٤٢٢ على أيدي ملوك الطوائف الذين أسسوا في الأندلس دولاً صغيرة متنازعة، بعد أن كانت تلك الدولة قوية متماسكة، بل إنها أقامت في ديار الأندلس خلافة، عندما أعلن أحد ملوكها وهو عبدالرحمن الناصر الذي حكم بين سنتي ٣٠٠ ــ ٣٥٠ نفسه خليفة، وسار على منواله من جاء بعده من حكام الأمويين[١].

ولما ضعف أمر الأمويين، وبني حَمُّود في الأندلس وثب الأمراء على الجهات فقامت ممالك الطوائف التي زالت على يد الدولة المرابطية ثم زالت الدولة المرابطية على يد الدولة الموحدية ثم زالت دولة الموحدين في الأندلس على يد محمد بن يوسف بن هود الجُذامي، ثم زال حكم بني هود، وَحَكَم البقية الباقية من بلاد الأندلس بنو نصر، ثم انتهى حكم المسلمين في تلك الديار سنة ٨٩٧ عند سقوط غَرْناطة بيد الصليبيين.

---

(١) وقد نازع بنو حَمُّود الأدارسة ملوك الغرب، الأمويين على الخلافة في الأندلس، حيث إنهم ملكوا قرطبة سنة ٤٠٧، وحكموا الأندلس لكن ما لبث أن عاد الأمر إلى الأمويين بقرطبة.

وكانت قد تأسست في بلاد المغرب الأقصى سنة ١٧٢ دولة الأدارسة المناهضة للدولة العباسية، وقد امتد سلطانها من وَهْران شَمالاً، إلى بلاد السُّوس الأقصى جَنوباً، ثم زالت هذه الدولة سنة ٣٧٥ على يد الأمويين في الأندلس، والعُبيديين في إفريقيَّة، وكانت قد خضعت ـ في فترات من قبل ـ للعُبيديين، والأمويين.

وقامت في إفريقيَّة دولة الأغالبة التي أسسها إبراهيم بن الأغلب سنة ١٨٤، وكانت حاضرتها القَيْرَوان، ثم زالت هذه الدولة سنة ٢٩٦ على يد العبيديين؛ ثم لم يلبث أن زال حكم العبيديين عن بلاد المغرب كلها.

وفي سنة ٤٤٨ تأسست في المغرب الدولة المرابطية ـ وحاضرتها مَرَّاكُش ـ على يد الأمير يحيى بن إبراهيم اللَّمْتُوني، ويرجع الفضل الكبير في تأسيسها إلى الشيخ الفقيه عبدالله ياسين المالكي، وقد قامت هذه الدولة على الإيمان والتقوى، وكانت من خيار الدول، ويكفيها شرفاً أنها نشرت مذهب أهل السنّة في تلك البلاد التي حكمها وأفسدها العبيديون.

وقد اتسعت الدولة المرابطية في عهد أميرها يوسف بن تاشِفين رحمه الله تعالى فامتدت من حدود تُوْنُس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن جبال البرانس في الجَنوب الفرنسي شَمالاً إلى السُّودان جَنوباً، وعملت على نشر الإسلام بين قبائل المغرب، والصحراء، وبلاد السنغال وغيرها، وقضت على آمال ملوك نصارى أوروبا، والأندلس الذين استطاعوا في عهد ملوك الطوائف أن يتوغلوا في بلاد الأندلس، ويستولوا على كثير من مدنها، وأقاليمها، وحصونها، فخرجت جحافل المرابطين المنصورة من بلاد المغرب نحو الأندلس، فاسترجعت كل ما ملكه النصارى من بلاد الإسلام في تلك الناحية، بعد حروب ضارية، ووحدت بلاد الأندلس تحت رايتها بعد أن كان يحكمها ملوك كثيرون دب بينهم الخلاف والشقاق، كما وحدت بلاد المغربين الأقصى والأوسط وغيرهما من البلاد.

ولما ضعفت هذه الدولة في أواخر أيامها، عـاد النصارى إلى بلاد المسلمين في الأندلس فملكوها، وأوقعوا بأهلها، وساموهم سوء العذاب.

ثم زالت دولة المرابطين بالكلية على أيدي الموحدين سنة ٥٤١.

وقـد تأسست الـدولة المـوحـديـة في المغـرب سنـة ٥٢٤ على يـد عبدالمـؤمن بن علي الزَّناتي، وكان للمهدي محمد بن تُوْمَرْت فضل عظيم في قيامها، وكانت حاضرتها مَرَّاكُش كما هو حال الدولة المرابطية، وامتدت رقعة هذه الدولة حتى شملت المغربين الأقصى والأوسط، وإفريقيَّة، وكثيراً من بلاد الأندلس، وكانت لهم مع نصارى الأندلس جولات وصولات، ثم زالت هذه الدولة سنة ٦٦٧ على يد الدولة المرِيْنِيّة في المغرب، ودولة بني هود في الأندلس، وقامت في إفـريقيَّة الـدولة الحفصيـة، والحفصيون من أتبـاع الموحدين، كما قامت في المغرب الأوسط الدولة الزيانية، وبزوال الدولة الموحدية ضعفت بلاد المغرب، والأندلس.

ذكر خبر التتار

لا بد قبل الخوض في شرح الحالة العلمية في العصور المتعاقبة من ذكر أمر التتار الذين زالت بهم حضارة الشرق الإسلامية، وعدمت بعد أن بلغت أوج مجدها وعزها.

فالتتار هم عالم كثير من التُّرْك، كانوا يقطنون في المناطق الواقعة شَمالي صحراء جوبي في منغوليا، وفي مناطق من سيبيريا، وكانوا قبائل متناحرة، لا تخضع لقانون، ولا تلتزم بنظام، ولا تمتثل لخلق، وكانوا يعبدون الكواكب، ويسجدون للشمس.

فأراد أحد ملوكهم وهو «جنكيزخان» أن يجمع شمل تلك القبائل، ويوحد بينها، ويخضعها كلها لسلطانه، فمكث عشرات السنين يعمل على تحقيق هذا الغرض، ولم يصف له إلا بعد حروب ضارية، ووقعات متتالية؛ ثم قام بوضع قانون اجتماعي سارت على نهجه أمم التتار؛ وبعد أن استتب له الأمر، ودانت لسلطانه معظم القبائل، رغب في توسعة رقعة مملكته على حساب الآخرين، فاستولى على معظم بلاد الصين، ثم أكمل ولده وخليفته من بعده «أجتاي» السيطرة على تلك البلاد.

وكان يفصل بين مملكة «جنكيزخان» وبلاد الإسلام في خُراسان، وما وراء النهر، بلاد تُرْكُسْتان التي يحكمها قبائل من التُّرْك الكفرة تسمى بالخِطا، وهم عالم كثير، كانوا يكثرون من الإغارة على بلاد الإسلام، حتى

دانت لهم ملوك ما وراء النهر، وبعض بـلاد خُراسـان، إلى أن استطاع علاءالدين محمد خُوارزم شاه صاحب الدولة الخُوارَزْمية استئصال تلك الأمة الباغية، وعمل على ضم بلادهم إليه.

وكان جنكيزخان لعنه الله ــ بعد أن ثَبَّت أمر ملكه في الداخل، وقضى على مناوئيه من التتار، وأخضع معظم بلاد الصين ــ يرغب في التوجه غرباً نحو بلاد الإسلام ليضمها إلى مملكته. وعجل بتحقيق هذه الرغبة، قيام علاءالدين خُوارَزْم شاه بقتل جماعة من تجار التتار، وغزوه لبلادهم، فسار جنكيزخان بجموعـه إلى بلاد تُرْكُسْتان، فأباد فيها أقوام التتار التي لا تخضع له، ثم عبر نهر سَيْحون إلى بلاد الإسلام، وعندها كانت الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى على المسلمين، فقد فعل هذا الملك الملعون، وخلفاؤه من بعده، في ديار الإسلام من القتل، والنهب، والفساد، والتخريب ما لم يسمع بمثله في قديم الأيام، ولا ما تعاقب من الأزمان.

فلما عبر جنكيزخان نهر سَيْحون، توجه في أواخر ٦١٦ إلى بُخارى، فحاصرها حصاراً محكماً، وقاتلها قتالاً شديداً، حتى تمكن من دخولها، ثم قتل جميع من كان بقلعتها، وأمر جنده بنهب البلد، وتخريبه، حتى جعلوه هباء منثوراً، فأحرقوا مساجده، ومدارسه، ومكتباته، وقتلوا معظم الرجال، وسبوا النساء والذرية، وفعلوا من الفحش ما لا يوصف. واستصحبوا معهم من بقي من رجال بُخارى ليكونوا عوناً لهم على أخذ سَمَرْقند ــ وكانت هذه عادة التتار، إذا غصبوا بلدة، أمروا أهلها بمساعدتهم على دخول قلعتها، أو دخول بلد آخر ــ وقد وصلوا إلى هذه المدينة العريقة المنيعة في المحرم من سنة ٦١٧ ودارت رحى الحرب بينهم وبين أهل سمرقند، وجندها الذين يعدون بمئات الآلاف، وبعد معارك شديدة يشيب من هولها الـولدان استطاع التتار أن يدخلوا المدينة، فأفنوا رجالها، وسبوا النساء والـذرية، ونهبـوا الأموال، وأحرقوا المساجد والمدارس والمكتبات، ولم ينج من أهل هذا البلد إلا النفر اليسير.

وبذا يكون قد تم للتتار السيطرة على بخارى وسَمَرْقند، وهما قَصْبتا بلاد ما وراء النهر.

واتخذ جنكيزخان من سَمرقند قاعدة له، وأمر طائفة من فرسان جنده أن يطلبوا علاءالدين خُوارَزْم شاه ــ ملك خُراسان، وما وراء النهر، وغيرهما من البلاد ــ الذي يعسكر بجيوشه في نواحي بلْخ، فعبرت تلك الطائفة نهر جَيْحون، وتوجهوا نحو علاءالدين فلما شعر بدنوهم فر أمامهم، فجعلوا يتتبعونه، ويقصون أثره في البلدان الكثيرة، حتى دخل بحر طَبَرِسْتان «بحر الخَزَر» حيث فر إلى قلعة له في إحدى جزره، فيئسوا حينئذ من اللَّحاق به، وتركوه وشأنه.

وكانوا لعنهم الله لا يمرون ــ عند تتبعهم لخُوارَزم شاه ــ ببلدة إلا عملوا على قتل رجالها، وسبـي نسائها، واسترقاق صبيانها، ونهب أموالها، وتخريب ديارها، وحرق عمرانها، وطمس آثارها، وجعلها أطلالاً بالية ورسوماً خاوية، هذا عدا بعض البلدان التي صالحوها كهَمَذَان، فلم تسلم منهم الرَّي، ولا زَنْجان، ولا قَزْوين، ولا غيرها، وقد عُدّ القتلى في قزوين وحدها فبلغوا (٤٠,٠٠٠) وكان أهل قزوين قد قاوموا التتار، وقتلوا منهم العدد الكثير.

ثم سلكت تلك الطائفة ــ تساعدهم الإسماعيلية وأهل الفساد ــ شَمالاً إلى بلاد أَذْرَبِيْجان ففعلوا بمدنها وقراها مثل ما فعلوه في بلاد الجبال، ولم تسلم منهم إلا تِبْريز التي صالحهم صاحبها، ثم تقدموا أيضاً نحو الشَّمال فوصلوا إلى بلاد الكُرْج الكفرة فقاتلوهم وهزموهم شر هزيمة، ثم عادوا نحو الجَنُوب إلى بلاد أَذْرَبِيْجان لشدة وعورة بلاد الكُرْج، وقد تم لهم كل ما سبق في سنة ٦١٧، ووصلوا في مستهل السنة التالية إلى مدينة مَرَاغَة من بلاد أَذْرَبيجان فملكوها بعد مقاومة شديدة، وفعلوا فيها الأفاعيل، وتوجهوا بعد ذلك إلى هَمَذَان من بلاد الجبال، وكانوا قد صالحوا أهلها كما تقدم، واستنفدوا أموالهم، فاجتمع رأي الهَمَذَانيين على قتال التتار، وتحصنوا

بالبلد، فوصل التتار، وأحكموا حصارهم على المدينة، وجرت وقائع شديدة قتل فيها من التتار خلق كثير، ثم تمكن المحاصِرُون من دخول المدينة في رجب من سنة ٦١٨ ووضعوا السيف في أهلها حتى أفنوهم، ثم أحرقوا البلد حتى عفا رسمه.

وبعد ذلك عاد التتار شَمالاً إلى بلاد أَذْرَبيجان فملكوا بعض مدنها، ثم تقدموا إلى بلاد أَرَّان شَمال أَذْرَبيجان فملكوا كثيراً من مدنها وقراها وفعلوا فيها مثل ما فعلوا في قزوين. ثم تقدموا إلى بلاد الكُرْج الكفرة، ونشبت بين الجانبين معارك قاسية قتل فيها عشرات الآلاف من الكُرْج، وَنَهَبَت التتار كثيراً من بلادهم.

ثم توجه التتار إلى دَرْبَنْد شَرْوان وأهلها مسلمون، فحاصروا مدينة شَمَاخي، وملكوها بعد مقاومة شديدة من أهلها، وعبروا بعد ذلك مضايق الدَرْبَنْد إلى جهة الشَّمال حيث تقطن قبائل اللاّن النصرانيين، وقبائل اللَّكْز ـ ومنهم المسلمون والكفار ـ فقاتلوهم، ونهبوهم، وسبوا نساءهم؛ ثم توجهوا إلى بلاد القَفْجاق ففر أهلها، واعتصموا بالجبال، ولحق الكثير منهم ببلاد الرُّوس، واستقرت تلك الطائفة العادية من التتار في تلك البلاد لكثرة مراعيها في الصيف والشتاء، ثم توجهوا نحو بلاد الروس النصارى سنة ٦٢٠ فقاومهم أهلها بمساعدة القَفْجاق الهاربين مقاومة عنيفة، لكن التتار انتصروا عليهم، ودخلوا بلادهم، فعملوا فيها مثل عملهم في ديار الإسلام، وقد استطاع الكثير من الروس الفرار من بلادهم، ثم توجه التتار غرباً فملكوا كثيراً من البلاد، وفي عودتهم كمن لهم البُلْغار في آخر سنة ٦٢٠ فقتلوا الكثير منهم، وعادت بقيتهم إلى ملكهم جنكيزخان.

فهذا هو خبر التتار المُغَرِّبة الذين أرسلهم جنكيزخان ليتتبعوا آثار خوارزم شاه.

وكان جنكيزخان لعنه الله لما علم بفرار خوارزم شاه من بلاد خُراسان،

أراد أن يخضع جميع بلاد ما وراء النهر لحكمه وسلطانه، فسيّر ـ وهو في سمرقند ـ جيشاً إلى فَرْغَانة، وآخر إلى تِرْمذ، وآخر إلى قلعة كلانة، وإلى غيرها من تلك النواحي، فاستولت تلك الجيوش على هذه المناطق، فقتلوا، ونهبوا، وأحرقوا، وخربوا، كما فعل أصحابهم المغـربة، ثم عـادوا إلى ملكهم.

وجهز جنكيزخان أيضاً جيشاً كبيراً إلى خوارزم، وآخر إلى بلاد خراسان غربـي جَيْحون.

فأما الجيش الموجه إلى خوارزم فقد لاقى في حصار هذه المدينة عناء شديداً، وذلك لكثرة جند هذا البلد، ومناعته، وشجاعة أهله، فقد قتل من الفريقين ما لا يحصى، وكان قتلى التتار أكثر، عندها طلبت تلك الطائفة التتارية النجدة والعون من ملكهم جنكيزخان، فأمدهم بجنود وفيرة، واشتد الحصار على خوارزم، وتفانى أهلها المسلمون في الدفاع عنها إلى أن دخلها التتار، فأعمل هـؤلاء المجرمون السيف في أهلها، ونهبوا ثرواتها، ثم فتحوا السِّكْر الذي يمنع ماء جَيْحون عنها، فدخلها الماء، وغرق كل ما فيها، وتهدمت مبانيها، ولم يسلم منها أحد البتة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأما الجيش الموجه إلى خراسان، فقد عبر نهر جَيْحون إلى مدينة بَلْخ فدخلوها صلحاً سنة ٦١٧، ثم قصدوا عدة مدن في ناحيتها فملكوها صلحاً أيضاً، لكن أخذوا الرجال ليكونوا عوناً لهم على من يمتنع عليهم، فقصدوا بلاد الطَّالَقَان، وبها قلعة حصينة، فحاصروها ستة أشهر، فلما عجزوا عن نيل مأربهم منها استنجدوا بملكهم جنكيزخان، فأجابهم بنفسه، ومعه خلق كثير من أسرى المسلمين، فمكث في حصار هذه القلعة، ومقاتلة جندها أربعة أشهر، ثم تمكن من دخولها فنهبت، وقَتَل من فيها ممن لم ينجه الفرار، لكن ذهب الكثير من جنده عند حصارها.

وقد قام جنكيزخان بعد ذلك بجمع المقاتلة المسلمين من البلاد التي

صالح أهلها، وسيرهم إلى مدينة مرو العظيمة، وكانت من أمنع البلاد، وكان يرابط بظاهرها فقط ما يزيد على ٢٠٠,٠٠٠ من المسلمين الذين نجوا من بلادهم المصابة، والتقت الفئتان، وصمد الفريقان، ولما اشتد على المسلمين القتال ولوّا هاربين، فتتبعتهم جيوش جنكيزخان فقتلت وأسرت العدد الكبير، ولم ينج إلا القليل.

وجاء دور مرو نفسها في الحصار، فجمع التتار إلى جموعهم أناسي كثيراً من البلاد المجاورة، وأحكموا الحصار، وتفانوا في القتال، ولم يتمكنوا من دخولها ـ لقوة منعتها ـ إلا بعد أن أغروا أهلها بالسلامة وطلب الأمان، فلما طلبوه، غدر التتار بهم، ووضعوا السيف في رقابهم حتى أفنوهم جميعاً بعد أن سبوا من شاءوا من النساء والأطفال، وقدرت القتلى في هذه المدينة بنحو ٧٠٠,٠٠٠، ولم ينج إلا الشريد، فعادت تلك الديار العامرة بلقعاً كأن لم تغن بالأمس.

ثم توجهوا إلى نيسابور، فضيقوا عليها الحصار، حتى تمكنوا من دخولها عَنْوة، فسبوا نساءها، وقتلوا سائر أهلها، ونهبوا خيراتها، وخربوا ديارها، ثم قطعوا رءوس القتلى لئلا يسلم أحد، وتوجهوا بعد ذلك إلى طُوس فلم تكن أحسن من سابقتها، ثم توجهوا إلى هَرَاة وهي من أحصن البلاد فملكوها بعد حصار شديد، وقتلوا بعض أهلها، وأمنوا الباقين.

وسلكوا بعد ذلك إلى غَزْنة، فأوقع بهم جلال الدين بن علاء الدين خوارزم شاه هزيمة منكرة، قُتل فيها كثير من جند التتار، فاستبشر أهل هَرَاة بهذا النصر، وحملوا على حامية التتار في بلدهم فقتلوهم، فعادت جنود التتار إلى هَرَاة، ودخلوها، وأعملوا في جميع أهلها السيف، بعد أن سبوا من شاءوا، ثم أحرقوا البلد.

ولما تم لهم كل ذلك عادوا[1] إلى ملكهم جنكيزخان وهو بالطَّالَقَان يبعث

---

(١) خرجت هذه الطائفة من عند ملكها في سنة ٦١٧، وعادت في نفس السنة.

الجيوش إلى جميع بلاد خراسان، حتى لم يسلم بلد من شرهم وفسادهم.

وقد وجه جنكيزخان بعد ذلك طائفة كبيرة جداً من جنـده لمحاربـة جلال الدين، فالتقى الفريقان في «كابل» ودارت رحى الحرب، واشتدت وزَخَرَت، وأسفرت عن هزيمة التتار، وقَتْل الكثير منهم، وغَنم المسلمون منهم غنائم كثيرة، وأنقذوا الأسرى المسلمين من أيديهم، لكن حدث خلاف في صفوف جند جلال الدين ما لبث أن استحكم، وأدى إلى الاقتتال بين المسلمين أنفسهم، وفر أحد كبار الأمراء إلى بلاد الهند بـ ٣٠,٠٠٠ مقاتل، فاستعطفه جلال الدين وذكره الله والجهاد فلم يرجع، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وبينما المسلمون على هذه الحال، إذ فاجأهم جنكيزخان بجيش عظيم لا قِبل لهم به، فآثر جلال الدين النجاة ببقية جنده، وفر نحو السِّند، فجد جنكيزخان في طلبه، حتى تلاقيا عند ماء السِّند ــ حيث لم يتمكن جلال الدين من العبور بمن معه لعدم وجود السفن ــ واستعرت الحرب، والتحم الفريقان في معركة لم تشهد حروب المسلمين والتتار قبلها مثلها حِدة، وضَراوة، وصدقاً في القتال، وسقط من الفريقين عدد كبير من القتلى ثم انهزم التتار ولله الحمد، وعبر جلال الدين بمن معه النهر بعد وصول السفن، فلما كان الغد عاد التتار إلى غَزْنة وفعلوا فيها وفي سوادها مثل ما فعلوه في بلاد خُراسان حتى عادت غَزْنة كأن لم تغن بالأمس.

وفي مستهل سنة ٦٢١ وجه جنكيزخان طائفة من جنده إلى الري ــ وهم غير الطائفة المغربة ــ فوضعوا السيف في من بقي من أهلها حتى قتلوهم عن آخرهم، ودمروا ما كان عُمر منها بعد وقعة التتار المغربة، ثم ساروا في البلاد مفسدين ومهلكين الحرْث والنسل فدخلوا سَاوة وقُمّ، وقَاشَان وغيرها من البلاد، ثم قصدوا هَمَذَان فخربوها، وقتلوا من كان سلم من أهلها في الوقعة الأولى، ولم ينج من قتلهم إلا الأسير.

وكان جلال الدين قد قدم من بلاد الهند إلى خُوزُسْتان والعراق، فملك أَصبهان وغيرها من البلاد الواسعة، وخاصة بلاد أَذْرَبيجان، ومدينة تَفْليس التي استولى عليها الكُرْج في سنة ٥١٥، وأوقع بهؤلاء الكفرة هزيمة ساحقة، قضى فيها على معظمهم، وكان هؤلاء الكُرْج يكثرون من الإغارة على بلاد المسلمين حولهم كخِلاط، وأَذْربيجان، وأرّان، وأَرْزَن الروم، ودَرْبَنْد شَروان، والمسلمون معهم في ذل.

ولم يقدر أحد من سلاطين وملوك الشرق المسلمين عليهم بمثل ما فعله فيهم جلال الدين رغم فناء كثير من جنده، فقد كاد أن يبيد أفرادهم، ويستأصلهم.

وقام جلال الدين بعد ذلك بحرب الباطنية ـ الإسماعيلية ـ فنهب بلادهم، وخربها، وقتل أهلها، وسبى واسترق كثيراً من نسائها وغلمانها، انتقاماً منهم لقيامهم بعون التتار على المسلمين، ولقتلهم أحد أمرائه المقدمين.

ولما فرغ جلال الدين من أمر الإسماعيلية لقيته فئة عظيمة من التتار جهة الري فهزمهم، ووضع السيف فيهم، وأقام بنواحي الري فلاقته طائفة كبيرة من التتار أيضاً أرادوا سكن تلك الديار بعد أن طردهم جنكيزخان فالتحم الفريقان في وقائع كثيرة كانت الحرب فيها دُولاً.

وفي هذه الفترة وقع خلاف شديد بين جلال الدين وبعض الملوك المسلمين، فزين الإسماعيليون الملاحدة لإخوانهم التتار سوء فسادهم، وأعلموهم بضعف جلال الدين، فتقدمت جموع التتار في سنة ٦٢٨ من بلاد ما وراء النهر التي فيها عاصمة ملكهم، إلى بلاد أَذْربيجان، فمروا ببلاد خراسان وكانت خراباً ثم توجهوا إلى الري وهمذان فاستولوا عليهما، ثم قصدوا أَذْربيجان فخشي جلال الدين من منازلتهم لضعف جنده، وخروج الكثير منهم عن طاعته، ففر أمامهم، وهم يتبعونه، من بلد إلى آخر حتى تمزق جنده من التعب والنصب، وكان التتار عند قَصِّهِم أثره لا يمرون على

بلد من بلاد أَذْربيجان والروم والجزيرة إلا ساموها سوء العذاب، ينهبون، ويقتلون، ويخربون، ولم تنته سنة ٦٢٨ إلا وبلاد أَذْربيجان جميعها تحت سلطانهم.

وقد أكثروا في هذه السنة وما بعدها، من غاراتهم، واعتداءاتهم على بلاد العراق والجزيرة والروم وديار بكر، وأكثروا فيها من القتل والنهب.

ولما رأى التتار من ظهور أمرهم، وعظم سلطانهم، قام ملكهم تولي بن جنكيزخان في سنة ٦٣٨ بدعوة ملوك الإسلام إلى طاعته.

ولم يتوقف التتار عن اعتداءاتهم على البلاد الإسلامية، بل واصلوا ذلك، حتى جرت بينهم وبين جيش الخليفة العباسي وقعة عظيمة في سنة ٦٤٣ كسر فيها جند التتار، ولاذوا بالفرار. ومع هذا فقد ظلوا يعيثون الفساد في الأرض، وقد استحكم هذا الفساد في سنة ٦٥٦ عندما ارتكبوا جريمتهم الكبيرة، وجريرتهم الشنيعة ألا وهي دخولهم حاضرة الخلافة العباسية بغداد بعد أن حاصرها ٢٠٠٠٠٠ مقاتل منهم حصاراً محكماً، وضيقوا عليها الخِناق، وقاتلوا جندها قتالاً شديداً، فقد وضعوا السيف في رقاب أهلها ولم يسلم منهم عظماؤها وكبراؤها، فقد قتلوا الخليفة الشهيد أبـي أحمد عبدالله المستعصم بالله بن المستنصر بالله آخر خلفاء بني العباس بالعراق وقتلوا العلماء والقضاة والأئمة والأمراء، وارتكبوا الفواحش، وظلوا على هذه الحال أربعين يوماً حتى خوت بغداد على عروشها، وسالت دروبها بدماء القتلى، وأنتنت الجيف حتى حل بهذه البلدة العظيمة وباء شديد، سرت عدواه إلى بلاد الجزيرة والشام.

وقد قدرت أعـداد القتلى في حاضـرة الخلافـة بـ ٨٠٠٠٠٠، وقيل بـ ١٨٠٠٠٠٠، وقيل بـ ٢٠٠٠٠٠٠، وكان الذي تولى كِبر ما حل ببغداد من مصائب هو الرافضي الخبيث ابن العلقمي وزير الخليفة المستعصم بالله، فهو الذي دعى ملك التتار هولاكو لدخول بغداد، بعد أن عمل على تقليص عدد جيش الخلافة، فكان لعنه الله كما كان أسلافه الباطنيون من قبله، عوناً ويداً على المسلمين.

ولما تم لهولاكو إخضاع بغداد، أخذ يعد العدة لضم البلاد الجزرية، والشامية إلى مملكته، فقد تمكن في سنة ٦٥٧ من السيطرة على البلاد الجزرية، وفي السنة التالية جاز الفرات إلى بلاد الشام، فَذُعِر الناس، وفر الكثير منهم إلى الديار المصرية وكان ذلك في زمن الشتاء فلحقهم أذى شديد، ومات منهم خلق كثير.

وقد قصد هولاكو مدينة حلب، فحاصرها، ثم دخلها بالأمان، لكنه كعادة قومه آثر الغدر، ووضع السيف في رقاب أهلها، فقدرت قتلاها بـ ٥٠٠٠٠ إنسان، واقترف جنده فيها كل رذيلة، وسبوا من شاءوا من نسائها وأطفالها، ونهبوا خيراتها وثرواتها، وخربوا أسوارها، فلما علم أهل حمص وحماة ما حل بصاحبتهم طلبوا الأمان فأجيبوا إليه.

ثم أرسل هولاكو طائفة من جنده إلى دمشق فدخلوها دون ممانعة، وكتبوا الأمان لأهلها، لكن حامية قلعتها أبوا الاستسلام فحاصرتهم التتار وقاتلتهم حتى تملكوا القلعة ثم خربوها.

وقد تولى إمرة دمشق رجل تتري فيه ميل إلى النصارى، فعمل على رفع مكانة هؤلاء الضالين، فراحوا يعلنون عداءهم للمسلمين، فذموا شرائع الإسلام، ورفعوا صلبانهم، ونشروا الخمور، وأسرفوا في الفساد.

ولما تمكن التتار من دمشق، واصلت طائفة منهم السير إلى نابُلُس وغَزَّة فملكوهما، ونهبوا ما مروا عليه من الديار، وفي عزمهم مواصلة التقدم إلى مصر، عندها أراد الله سبحانه أن يكرم الأمة الإسلامية بنصر مُـؤَزَّر من عنده يذل به أمة التتار الظالمة التي جاست خلال الديار، وجعلت أعزة أهلها أذلة؛ فقام سلطان مصر الملك المظفر سيف الدين قُطُز بإعداد العـدة، وتعبئـة الجيوش، ثم زحف إلى جهة الشام، والتقى مع جيش التتار ـ بقيادة أميرهم الكبير كتبغانوين الذي فتح لهولاكو أقصى بلاد العجم إلى الشام ـ في عين جالوت وذلك في سنة ٦٥٨، واشتد القتال بين الفئتين، وصبر المسلمون

والتتار، وتفانوا في الدفاع عن أنفسهم وديارهم، ثم انجلت المعركة عن هزيمة التتار، وقتل قائدهم، ومعظم جندهم.

وقد أبلى الملك المظفر قُطُز، وقائد جيشه بِيبرس البُنْدُقْداري بلاء حسناً، وقد تولى بِيبرس مع طائفة من الشجعان تتبع فلول التتار في بلاد الشام والروم فأخرجوهم من حلب، واستردوا منهم مملكة الروم السلجوقية في آسيا الصغرى، وأصبحت تلك الديار تابعة لسلطان مصر الملك المظفر الذي جعله الله سبحانه قَذى في أعين التتار، وشَجا في حلوقهم.

وبعد مقتل قُطُز عند عوده من الشام إلى مصر، تولى زِمام الملك، الملك الظاهر بِيبرس البُنْدُقْداري.

وفي هذا الوقت أخذ ملك التتار هولاكو يُعد العدة للانتقام من المسلمين لما حل بجنده، ولاسترداد بلاد الشام إليه، فأرسل طائفة من جنده، فدخلت حلب، وقتلت معظم أهلها، لكن الملك الظاهر حال دون تقدمهم.

كما أرسل حملة أخرى، فالتقى معهم أصحاب حلب، وحماة، وحمص بجنودهم في شَمالي حمص، فكانت الدائرة على التتار، حيث هزموا، وارتدوا على أعقابهم خاسئين، بعد قَتْل وأَسْر الكثير منهم.

ثم أرسل هولاكو طائفة إلى المَوْصل، فحاصرتها، ثم دخلتها، ووضعت السيف في رقاب أهلها.

وقد أوقع الله سبحانه وتعالى العداوة والبغضاء بين ملوك[1] التتار

---

(١) لقد كان للتتار ثلاث ممالك ودول، فدولة في أقصى الشرق وحاضرتها بكين؛ ودولة في الشَّمال وحاضرتها سَراي وملكُها في عهد هولاكو هو ابن عمه بركه خان بن صائن بن دوشي بن جنكيزخان المتوفى سنة ٦٦٥ الذي دخل في دين الإسلام؛ ودولة في بلاد الإسلام الشرقية وهي تمتد من خراسان شرقاً إلى دياربكر غرباً، وتضم خراسان، وبلاد الجبال، والعراق، وأَذْربيجان، وخُوْزُسْتان، وفارس وبلاد الروم، وغيرها، وكان هولاكو هو ملك تلك الديار بعد آبائه، ودام حكمه ١٠ سنين، حتى أهلكه الله على دينه الفاسد سنة ٦٦٣.

أنفسهم، فقد أحل ملك التتار الشَّماليين بركة خان بهولاكو وجنده هزيمة فظيعة في معركة فني فيها معظم جند هولاكو، ثم هلك هولاكو، ومات بعده ابن عمه بركه خان، فخلف الأول ابنه أبغا، وخلف الثاني ابن عمه مَنْكُوْتمر وقد سار هذا الأخير على نهج سلفه في الإسلام.

وقد حدثت وقعة شديدة بين أبغا، وبركه بعد هلاك هولاكو سنة ٦٦٣ هزم فيها أبغا، ومزقت جموعه، ثم جرت وقعة أخرى بين أبغا، ومَنْكُوْتَمُر بعد وفاة بركه خان سنة ٦٦٥ هزم فيها مَنْكُوْتَمُر.

وبذلك يكون الله سبحانه قد جعل بأس التتار بينهم شديد.

ولما كان عهد الملك المنصور السلطان قلاوون، تقدم التتار بجحافلهم سنة ٦٨٠ لحرب المسلمين، وكان المصاف العظيم بين الفئتين بظاهر حمص، وقد أسفرت المعركة عن دحر التتار حيث قتل معظم رجالهم، وشرد الباقون، ولم يتقدم على التتار هزيمة أشد من هذه.

ثم هلك أبغا بن هولاكو، فخلفه أخوه بكدار الذي دخل في الإسلام، وتسمى بأحمد سلطان، فنقم منه التتار إسلامه وقتلوه، فتولى بعده أَرْغون بن أبغا، فما لبث أن هلك، فتولى مكانه رجل من التتار، وبعد هذا رجل آخر ثم تولى غازان بن أرغون سنة ٦٩٤ ودخل في دين الإسلام، وأسلم[1] معه خلق كثير من التتار.

وقد جهز غازان جيشاً كبيراً من التتار، وزحف بهم إلى الشام في

(١) ذكر الذهبي في معجم شيوخه الكبير ورقة ١٠٤ أ حادثة، أسلم بسببها أربعون ألفاً من التتار، وذلك أن كلباً لأمير تتري تنصر، افترس أحد كبار النصارى لتنقصه من رسول الله ﷺ وكان ذلك في مجلس الأمير صاحب الكلب، وحضر هذه الواقعة بعض علماء المسلمين. والقصة طويلة تنظر في الكتاب المشار إليه.

ولا يفوتني في هذه التعليقة أن أذكر أن أول من أسلم من ملوك التتار في بلاد الترك والصين هو «ترماشيرين» وذلك سنة ٧٢٥، وحسن إسلامه، وأمر أمراءه بذلك حتى فشا الإسلام في بلاده.

سنة ٦٩٩، وكان المصاف بينهم وبين المسلمين بقيادة الملك الناصر بن قلاوون، عند حمص، وأسفرت المعركة عن هزيمة الناصر، ففر بجنده نحو مصر فتتبعته جنود التتار.

ثم دخل غازان إلى دمشق، وخطب له فيها مئة يوم بدل السلطان المملوكي، وهذه هي وقعة غازان الشهيرة التي نهبت فيها دمشق، ومكتباتها.

ثم تقدم التتار إلى غزة، والقدس، والكَّرَك، فنهبوا، وغنموا الكثير، ثم عادوا مع ملكهم إلى ديارهم في الشرق.

ثم توجهوا مرة أخرى إلى بلاد الشام، وذلك في سنة ٧٠٠، لكنهم رجعوا على أعقابهم لشدة المطر.

ولما كانت سنة ٧٠٢ عادوا إلى بلاد الشام، فذُعِر الناس، وفر الكثير منهم إلى بلاد مصر، والكَّرَك، والحصون، فالتقى معهم جيش مصر والشام بقيادة السلطان الناصر في شقحب، وجرت بين الفريقين وقائع شديدة، واستبسل المسلمون، وصبروا في ساعات القتال، فأنزل الله سبحانه وتعالى عليهم النصر، وتم لهم قتل التتار المهاجمين عن آخرهم.

ولما علم غازان بهزيمة جماعته، وجه إلى الشام حملة كبيرة بقيادة نائبه، فالتقى معهم السلطان الناصر أيضاً، وأوقع بهم الهزيمة، وقتل منهم مقتلة عظيمة، لا تدخل تحت الحصر، والذين تمكنوا من الفرار أهلكهم الجوع والغَرق؛ فلله الحمد على منّه.

ثم توفي غازان سنة ٧٠٣ كمداً على ما حل بجنده، فتولى الملك بعده أخوه خَرْبَنْده، الذي ترفض بعد أن كان في أول ملكه سنياً، وأظهر بدعته في البلاد، فقويت الرافضة على أهل السنّة، واشتطوا في ظلمهم لهم وشدتهم عليهم؛ وكان خَرْبَنْده قد أراد غزو مكة لكن الله أهلكه قبل تحقق أمنيته، وذلك في سنة ٧١٦. فتولى بعده ابنه بو سعيد.

وكان بو سعيد بن خَرْبَنْده من خيار ملوك التتار في الشرق، وأحسنهم طريقة، حيث أذل الرافضة، وأظهر أهل السنّة، خلاف ما فعله أبوه، ثم توفي سنة ٧٣٦ فضعف أمر التتار بعده ضعفاً شديداً.

وفي عهد بـو سعيد، وبالتحديد في سنة ٧١٩ جرى اقتتال عظيم بين التتار أنفسهم فقتل منهم ما يربو على ٣٠٠٠٠ رجل، حتى كاد يزول ملكهم.

وبو سعيد بن خَرْبَنْده هو آخر من ملك من بني هولاكو، وبموته تفرقت المملكة بأيدي أقوام.

ثم ظهر أمر التتار في عهد تيمورلنك ملك الشرق، حيث ضم لسلطانه كثيراً من بلاد ملوك التتار الآخرين، وتمكن من الاستيلاء على ممالك كثيرة، منها العراقين، وأقاليم ديار بكر وقام بتخريب بلاد عراق العرب، وبعض بلاد ديار بكر، ثم قصد البلاد الشامية في سنة ٧٩٨ لكنه سرعان ما عاد منها إلى بلاده خوفاً من السلطان الملك الظاهر سيف الدين برقوق الجركسي الذي رابط بجنده عند حلب، وزاد من خوف تيمورلنك اتفاق ملك التتار الشّماليين طَقْتَمُش خان، وملك بلاد الروم بايزيد بن عثمان، وصاحب سِيواس القاضي برهان الدين أحمد، مع السلطان برقوق على نصرته في حرب التتار.

وبينما تيمورلنك في سمرقند بلغه خبر وفاة ملك الهند، وحدوث نزاع شديد بعده، فتوجه إلى تلك البلاد، وملك حاضرة مملكتها مدينة دَلهي[١] وذلك في سنة ٨٠٠، بعد وقائع استعمل فيها الخديعة والمكر، ثم قام جنده فجاسوا خلال ديارها فقتلوا وأسروا وسبوا ونهبوا وخربوا.

ولما كان تيمورلنك ينظم أمر تلك الناحية، ورده الخبر بموت الملك الظاهر برقوق، وصاحب سِيواس القاضي برهان الدين، فغمـرته الفـرحة، واستبشر بملك بلاد الشام والروم، فخرج إلى حاضرة ملكه سمرقند، ثم قطع

(١) لما ملك تيمورلنك مدينة دَلهي كان غالب أهلها مسلمين، وسلطانها كذلك.

البلاد حتى وصل إلى سِيواس في بلاد الروم، فحاصرها، ثم دخلها عَنْوَة، وأهلك جميع مقاتلتها حيث دفنهم وهم أحياء؛ ثم قصد عدة مناطق من بلاد المماليك الشمالية فنهبها وخربها وسفك فيها الدماء.

عندها أصاب الناس في بلاد الشام ذُعر شديد، وازداد خوفهم لما علموا برفض الأمراء المصريين لطلب ملك بلاد الروم بايزيد بن عثمان الذي دعى فيه إلى جمع الشمل لمقاتلة التتار، ولما رأوا من تخاذل السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق، وتباطئه عن المسير إلى الشام.

وكان نواب المماليك في الشام قد قرروا أن يخرجوا بجموعهم لمقاتلة التتار، فتوجهوا إلى حلب، حيث انضم إليهم أهل حلب جميعهم، ثم خرجوا إلى ظاهر المدينة، فزحف عليهم تيمورلنك بجنود كثيرة، كالجراد المنتشر ـ وذلك في سنة ٨٠٣ ـ واشتد القتال بين الفريقين، وأبلى نواب الشام بلاء حسناً، لكن لم تمض فترة وجيزة من اللقاء إلا وجنود الشام يفرون إلى حلب، فَتَتَبَّعَهُم التتار بشدة حتى هلك من المسلمين من شدة الزِّحام وتحت حوافر الخيل ما لا يدخل تحت الحصر.

ثم دخل تيمورلنك بقبيله حلب، فاستباحوها، وكثر منهم القتل، والسبي، والنهب، والتخريب، فقتلوا الرجال والأطفال، وسبوا النساء، وارتكبوا فيهن العظائم، وهدموا الدور، وقطعوا الأشجار، وأحرقوا المساجد والمدارس والمكتبات، وأشعلوا النار في حلب كلها حتى صارت أطلالاً بالية.

وفي هذه الفترة كان ابن تيمورلنك قد ملك حماه، وسار فيها سيرة أبيه في حلب.

ثم مضى تيمورلنك لعنه الله إلى دمشق، وكان أهلها، ومقاتلتها قد أتموا تحصينها، واستعدوا لملاقاة التتار، وبينما هم كذلك وصل السلطان فرج بن برقوق إلى دمشق، وعسكر مع جنده في ظاهرها، ومن ثم أخذت جموع التتار

تتقدم نحوهم، حتى كان المصاف بين الفريقين في سنة ٨٠٣، وحمي بينهم وطيس القتال، واشتد الأمر على المسلمين.

وفي ساعة العسرة هذه، أشيع بين صفوف جند السلطان أن أحد الجراكسة في مصر نصب نفسه ملكاً، فخرج بعض الأمراء بالسلطان سراً نحو مصر، ولما علم كبار الأمراء والقواد بذلك تبعوا سلطانهم، فضعفت عندها العزائم، وخارت القوى، وتراجع المسلمون حتى دخلوا دمشق، وأغلقوا أبوابها، وعزموا على القتال حتى ينالوا إحدى الحسنيين.

ثم تقدم تيمورلنك إلى دمشق، فأحكم حصارها، وقاتلها قتالاً شديداً، لكنه لم يتمكن من دخول، أو نقب شيء من أسوارها لشدة حصانتها، وتفاني أهلها في الدفاع عن أنفسهم، وبلدهم؛ عندها أعمل تيمورلنك الخديعة، فقد دعى أهل دمشق إلى طلب الأمان، فطلبوه بعد خلاف بينهم، وأرسلوا أحد القضاة إلى تيمورلنك، فأغراه ملك التتار، وأحسن له في الكلام، وتلطف معه في القول، وهو يكثر الذكر والتسبيح مكراً وخدعة، ولله در القائل:

قد بلينا بأمير ... ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فيهم ... يذكر الله ويذبح

فرجع القاضي إلى دمشق، وراح يسرد على الناس محاسن تيمورلنك، وأنه رجل عاقل يريد الصلح، حتى أقنع كثيراً من الناس بحسن نية الخبيث تيمورلنك، ثم فتحت بعض أبواب دمشق، وأخذ ملك التتار يشتط في طلب الأموال والذخائر حتى عُدمت الأقوات، وغلت الأسعار، ووقع الناس في بلاء شديد.

ثم قسم تيمورلنك دمشق على أمرائه، فراحوا يسومون أهلها سوء العذاب عند استخراج الأموال منهم، حتى هلك بالعقوبة الشديدة القاتلة، والجوع خلق لا يعلم عددهم إلا الله.

كما قام التتار باقتراف العظائم بالنساء أمام ذويهن، ولم ينج أحد من القتل والأسر إلا الأطفال الذين لم يبلغوا الخامسة من أعمارهم الذين هلك معظمهم جوعاً، بل يذكر بعض المـؤرخين أنه جُمع لتيمورلنك أطفال دمشق الذين هم دون الخامسة وكانوا نحو عشرة آلاف طفل فأمر جنده أن يسوقوا الخيل عليهم، حتى ماتوا أجمعين.

وقد أخرج التتار الأسرى من الرجال والنساء والأولاد من دمشق، وأضرموا النار في المنازل والمساجد والمدارس والمتاجر والأسواق، حتى أصبحت دمشق بلاقعاً كأن لم تغن بالأمس.

ثم خرج تيمورلنك نحو حلب، فوصلها وأهلك من كان قد عاد إليها، ثم زحف إلى بغداد فوضع السيف في أهلها حتى بلغ عدد قتلاها في ذلك اليوم نحو مئة ألف إنسان. ثم عطف إلى بلاد الروم، وكان المصاف بينه وبين صاحبها بايزيد بن عثمان ـ وذلك في سنة ٨٠٤ ـ فاستطاع تيمورلنك بمكره أن يشتت جند مَلك بلاد الروم، حتى انضم الكثير منهم إلى فئته الباغية، ثم نشبت الحرب بينه، وبين ما تبقى من جند بايزيد الذي قتل معظمهم ظمأً، فهزموا، وأُسر بايزيد، وظل في الأسر حتى مات رحمه الله.

وبعد أن تم للتتار القضاء على جند بلاد الروم راحوا يعيثون فيها الفساد، فقتلوا، وسبوا، ونهبوا، وخربوا كما هي عادتهم.

ثم توجه تيمورلنك نحو بلاد الصين يريد الاستيلاء عليها، فهلك إلى غير رحمة الله سنة ٨٠٧ قبل الوصول إليها، فتولى بعده حفيده.

وبذا ينتهي المدخل التاريخي الذي جعلته مقدمة لموضوع أسباب قوة الحركة العلمية وضعفها في بلاد الإسلام.



أسباب قوة الحركة العلمية وضعفها في بلاد الإسلام

لقد بَعَثَ الإسلام في أرجاء الأرض نهضة علمية فريدة وعظيمة، بَدَّد نورها ظلام الجهل، وعمّ ضياؤها الحزْن والسهل، فأنس الناس بحسن رونقها، واستعذبوا طيب حلاوتها، وقَرَّت عيونهم ببهاء نضْرتها، فلم يمض عصر رسول الله ﷺ، وعصر الراشدين المهديين من بعده، حتى انتشر العلم في جميع ديار المسلمين، فأولاه الناس عظيم عنايتهم، وتوجهوا إليه بكليتهم، فعشقته النفوس، وشَغفت بحبه القلوب، وشنفت لسماعه الآذان، وَوَدّ كل ذي علم أن ينال منه القسط الأوفى، والقِدْح المُعَلّى، ولكن هيهات أن يحاط بجملته، لأنه غائر الأعماق، واسع الآفاق، فهو بحر تنقطع الآجال دون بلوغ ساحله، وفضاء تقصر الأبصار عن درك آخره، هذا فيما مكننا الله من علمه، فكيف بما وراء ذلك! وصدق ربنا حيث يقول: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾[1].

ويمكنني أن أشرع في معالجة هذا الموضوع «أسباب قوة الحركة العلمية وضعفها في بلاد الإسلام» من خلال تقسيمه إلى فقرتين رئيستين تبرزان في عنوانه، ألا وهما:

(١) أسباب قوة الحركة العلمية في بلاد الإسلام.

(٢) أسباب ضعفها.

---

(١) الإسراء ٨٥.

فالفقرة الأولى: وهي أساسُ هذا الباب، وصُلْبُه، يمكن تناولها بدقة من خلال عرض تلك الأسباب، وتوضيح مقاصدها، وإليك هذا العرض والتوضيح:

السبب الأول: دعوةُ القرآن الكريم والسنة المشرفة إلى التعلم، وحثُّهما الناس على طلب العلم، وبيانُهما لفضيلته، وإشادتُهما بأهله.

فقد قال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾(١)، وقال أيضاً: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾(٢)، وقال أيضاً: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(٣)، كما أمر سبحانه وتعالى رسوله ﷺ، ومن ثَمَّ عباده بالاستزادة من العلم فقال سبحانه: ﴿وقل رب زدني علماً﴾(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»(٥)، وقال أيضاً: «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات، ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»(٦).

---

(١) الزمر ٩.

(٢) المجادلة ١١.

(٣) فاطر ٢٨.

(٤) طه ١١٤.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب ١٣، حديث ١، وفي كتاب الاعتصام بالسنّة، باب ١٠، حديث ١.

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه ــ واللفظ له ــ في كتاب العلم، باب ١٩، حديث ٢، وأبو داود في سننه في كتاب العلم، باب ١، حديث ١، وابن ماجه في سننه في المقدمة باب ١٧، حديث ٤، وأحمد في مسنده ١٩٦/٥.

السبب الثاني: العمل بالعلم: لا شك أن الالتزام العملي بما يُعلم، يرسخ المعلومات في الأذهان، ويثبتها، وقد كان صحابة رسول الله ﷺ، ومن بعدهم من أئمة الدين، يقرنون العلم بالعمل(١)، والقول بالفعل، ومن الأدلة على هذا قول ابن مسعود رضي الله عنه: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن»(٢) وقول أبي عبدالرحمٰن السلمي التابعي: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا، أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يُخَلِّفُوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن، والعمل جميعاً»(٣).

وأمر آخر وهو أن الله سبحانه يَهَب عباده المؤمنين العاملين قوة في علمهم، وثباتاً في ذهنهم فضلاً منه ورحمة، فقد حكي عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال: «من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم»(٤) فهذا القول ولو لم نعلم صحة نسبته إلى عيسى عليه السلام فإنه صحيح المعنى، أما العصاة المذنبون فإنهم يحرمون بركة العلم، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاص(٥)

السبب الثالث: ترغيب الشارع في تبليغ العلم، وترهيبُهُ من كتمه: فقد رغب رسول الله ﷺ أمته في تبليغ العلم عنه، فقال ﷺ: «نَضَّرَ الله امرءاً سمع

---

(١) لا يفهم من هذا أنهم كانوا يفعلونه لأجل تقوية الحافظة، فحاشاهم من ذلك، بل قصدهم الطاعة، والخضوع لله تعالى، لكن هذا المقصد يلزم منه ذلك.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٨٠، وذكره القرطبي في التفسير ١/ ٣٩ عن عثمان، وأُبَيّ أيضاً.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٨٠.

(٤) نسب هذا القول إلى رسول الله ﷺ، وهي نسبة باطلة، انظر الحلية لأبي نعيم الأصبهاني ١٠/ ١٥، والمغني عن حمل الأسفار في الأسفار للحافظ العراقي ١/ ٧١.

(٥) ديوان الإمام الشافعي ص ٥٤.

منا حديثاً فحفظه حتى يبلِّغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»[1]، وقال أيضاً: «نَضَّر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع، فرب مبلَّغ أوعى من سامع»[2].

بل أمر رسول الله ﷺ صحابته رضوان الله عليهم بتبليغ ما يتلقونه عنه إلى من خلفهم، كيما يَشيع العلم، ويفيض الخير، فقال عليه الصلاة والسلام في خطبته بعد الفتح بمكة: «وليبلِّغ الشاهدُ الغائب»[3]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «ليبلغ العلمَ الشاهدُ الغائب»[4].

وقد حذر الله سبحانه، ورسولُه ﷺ من كتم العلم، وحجبه، فقال الله تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلا الذين تابوا وأصلحوا وبيَّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾[5].

وقال رسول الله ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بِلِجام من نار يوم القيامة»[6].

فهذا الترهيب، وذاك الترغيب كان لهما وقع شديد في نفوس أهل العلم، فقد حملاهم على الاعتناء بتبليغ علوم الشريعة إلى الناس كافة، وهم يرجون

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب العلم، باب ١٠، حديث ٢؛ والترمذي في جامعه، في كتاب العلم أيضاً، باب ٧، حديث ١ ــ واللفظ لهما ــ وابن ماجه في سننه، في المقدمة باب ١٨، حديث ٢ و ٧.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب العلم، باب ٧، حديث ٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب ٣٧، حديث ١، مطولاً.

(٤) هذا من معلقات البخاري في صحيحه التي جزم بها، كتاب العلم، باب ٣٧.

(٥) البقرة ١٥٩ ــ ١٦٠.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب العلم، باب ٩، حديث ١ ــ واللفظ له ــ والترمذي في جامعه، في كتاب العلم أيضاً، باب ٣، حديث ١، وابن ماجه في سننه، في المقدمة، باب ٢٤، حديث ١، ٤ ــ ٦.

لأنفسهم صفة النَّضارة التي وُعدوا بها، ويخشون من لعنة الله، ومن لِجام النار يوم القيامة إن هم كتموا ما أمروا بتبليغه.

ومع هذا فلم ينسق العلماء في الرواية، بل احتاطوا فيها كل حيطة، خشيــة من التَّقَوُّل على رســول الله ﷺ مـا لم يقله، لأنهم يــروون عن رسول الله ﷺ قوله: «من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار»[1]، وقوله أيضاً: «من يقل عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار»[2]، وقوله أيضاً: «من حدث عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذِبَيْن»[3].

وقد صرح بعض الصحابة بأنهم ما حدثوا حديثاً لولا تلك الآيتان اللتان أوعدتا كاتم العلم، وصرح بعضهم أيضاً بأن الذي حملهم على التقليل من الرواية حديث من كذب عليّ... وإليك إثبات ذلك:

فعن أبـي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً، ثم يتلو: إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ــ إلى قوله ــ الرحيم»[4].

وعن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال: «قلت للزبيــر: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان، وفلان قال: أما إني

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب ٣٨، حديث ٢ ــ واللفظ له ــ وحديث ٣؛ وفي كتاب الجنائز، باب ٣٤، حديث ١؛ وفي كتاب الأنبياء، باب ٥٠، حديث ٩؛ وفي كتاب الأدب، باب ١٠٩، حديث ٤؛ ومسلم في صحيحه، في المقدمة، باب ٢، حديث ٢ ــ ٤؛ وفي كتاب الزهد، باب ١٦، حديث ٢. وهذا الحديث متواتر، وفي بعض روايات البخاري المذكورة زيادة «متعمداً» بعد قوله: «من كذب عليّ»، كما أنها في جميع روايات مسلم المذكورة مع اختلاف الصيغة في بعض تلك الروايات.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب ٣٨، حديث ٤.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، في كتاب العلم، باب ٩، حديث ١؛ وابن ماجه في سننه، في المقدمة، باب ٥، حديث ١ و ٢ ــ واللفظ له فيهما ــ وحديث ٣ و ٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب ٤٢، حديث ١.

لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار»[1].

لذا سار أئمة الهدى في تبليغهم طريقاً عدلاً وسطاً، فلم يحدثوا إلا بما اطمأنت إلى صحته نفوسهم، ولم يجرءوا على كتم العلم، حتى إن أبا هريرة رضي الله عنه قال: «لو وضعتم الصَّمْصامة[2] على هذه ـ وأشار إلى قفاه ـ ثم ظننت أني أُنفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تُجيزوا عليّ لأَنْفَذْتها»[3].

السبب الرابع: بناء الأمصار والمدن: لا ريب أن ينبوع الحضارة الزاهرة، والنهضة العامرة، يتفجر حيث الأمن، والجماعة، والاستقرار، وهذه العناصر كانت تتفرد بالاتصاف بها المدن، وحواضر البلدان.

فقد قام الراشدون المهديون رضوان الله تعالى عليهم وكذلك الخلفاء، والملوك، والسلاطين من بعدهم، ببناء الأمصار، والمدن في مختلف أصقاع الأرض، لتكون مركزاً صالحاً لتجمع الجند، وانطلاقهم للفتوحات، ولتكون أيضاً مجمعاً للناس، ومأمناً لهم من أهل العبث والفساد.

وعندما يأمن الناس من الشرور، ويُكفَوْن مَؤُونَة النفير لرد العدوان، يتطلعون إلى الغذاء الروحي العظيم الذي هو العلم، فكانت المدن والأمصار موئلاً للعلوم، ومناراً للفنون، وكانت كثرتها باعثة على النهضة العلمية العريقة التي تميزت بها الأمة الإسلامية.

ومن أهم تلك المدن والأمصار: مكة، والمدينة، والبصرة، والكوفة، وبغداد، ودمشق، والفُسطاط، والقاهرة، والقَيْرَوَان، وفاس، وقُرْطُبة،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب ٣٨، حديث ٢.

(٢) هي السيف الصارم الذي لا ينثني، وقيل: الذي له حد واحد. فتح الباري ١/١٦١.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب ٤٦، حديث ٤؛ وذكره البخاري في صحيحه تعليقاً بصيغة الجزم، في كتاب العلم، باب ١٠.

وبُخارى، ونيسابور، ومَرْو، والرَّيّ، ومَرَّاكُش، وغَرْناطة، وغيرها من المدن التي كان لها دور بارز في نشاط الحركة العلمية.

السبب الخامس: سكن الخلفاء والملوك والسلاطين في المدن والأمصار: فمن تأمل تاريخ الحركة العلمية عند المسلمين، وجدها في أوج نشاطها، وكامل نموها، في حواضر الدول التي كان يسكنها الحكام الكبار. فحاضرة العباسيين بغداد، وحاضرة الأمويين في الأندلس قُرْطُبة، وحاضرة السامانيين بُخارى، وحاضرتا السَّلاجقة مرو والرَّيّ، وحاضرة الموحدين مَرَّاكُش، وحاضرة الدولتين الصلاحية والمماليكية القاهرة، لم يبلغن الدرجة العلمية الرفيعة لولا حلول حكامها العظام فيها، وقد أحسن ياقوت في قوله: «إنما تعمر البلدان بسكنى السلطان»[1].

السبب السادس: فشو العلم في الحكام، واهتمامهم به، وتشجيعهم للعلماء، وإنشاؤهم للمراكز العلمية كالمدارس، والمكتبات.

وأجد لزاماً عليَّ قبل الدخول في صُلب هذا الموضوع، أن أذكر لمحة موجزة عن نوعية الحركة العلمية في البلاد الإسلامية فأقول: كانت العلوم من لدن رسول الله ﷺ إلى آخر عهد الأمين العباسي لا تخرج عن العلوم النقلية، والمساعِدة لها، وعن بعض العلوم العقلية النافعة المفيدة، فكانت علوم القوم في هذه الفترة: القراءات، والتفسير، وعلوم القرآن، والحديث، وعلومه، والتاريخ، والأنساب، والسير، واللغة، والنحو، والأدب، والطب، والهندسة، ونحو ذلك.

فلما كان عهد المأمون العباسي فرط عِقْد هذا النظام، حيث شغف هذا الخليفة بعلوم الأوائل، وصبت نفسه إليها، فناصرها، وأمر بترجمة ونشر كتب كثيرة منها، فكان ذلك مبدأ فساد العلوم في ديار الإسلام، إلى أن أذن الله

(١) معجم البلدان ٤/٤٥٤.

بخلافة المتوكل فأبطل هذا الأمر، وأعاد الأمة إلى سبيل الخير والرشاد، ونصر العلوم النقلية، فشكره الناس على فعلته الحميدة هذه.

ولما ضعفت الدولة العباسية، ووهنت قواها، واستقلت ولاياتها، اختلط الأمر، فدولة تراها تميل إلى العلوم النقلية، ودولة تراها تجنح إلى العلوم العقلية البحتة، ومنهم من يتوسط بين الأمرين. ومجمل القول في ذلك أن الدولة الإسلامية التي كان يحكمها أهل السنّة تنتشر فيها العلوم النقلية، وخاصة علم الحديث، أما الدول التي حكمها الرافضة، وأهل البدع فتراها منغمسة في علوم الأوائل، ومحارِبة لبعض العلوم الإسلامية، وأصدق مثال على هذا دولة بني بُوَيْه في المشرق، وبغداد، والدولة العبيدية في المغرب، ومصر.

وأعود الآن إلى أصل الموضوع، وأتناوله فقرة فقرة:

أولاً ـ فشو العلم في الحكام، وعنايتهم به:

فقد كان الراشدون رضوان الله تعالى عليهم أهل علم وفقه، وكان كثير من الخلفاء بعدهم على شاكلتهم، كمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وعبدالملك بن مروان، وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وأبي جعفر المنصور، والمهدي بن المنصور، وهارون الرشيد بن المهدي، والمأمون بن الرشيد، والواثق بالله بن المعتصم.

كما برز في العصر الثاني للدولة العباسية خلفاء علماء كالقادربالله بن المقتدر، والمستظهربالله بن المقتدي بالله، والمسترشدبالله بن المستظهربالله، والراشدبالله بن المسترشدبالله، والمقتفي لأمر الله بن المستظهربالله، والناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله.

بل كان من خلفاء العباسيين بمصر من له اشتغال بالعلم، ومشاركة للعلماء كالمستكفي بالله بن الحاكم بأمرالله، والمعتضدبالله بن المتوكل على

الله، والمتوكل على الله بن يعقوب بن المتوكل على الله[1].

وقبل الانتقال إلى بيان فشو العلم وشيوعه في باقي الملوك، والخلفاء، والحكام في ديار الإسلام أجدني مضطراً لإظهار وبيان اهتمام الخلفاء الأمويين، والعباسيين بعلم الحديث خاصة، لأنه هو لب هذه المقدمة، وأساسها، وسأفعل مثل ذلك إن شاء الله تعالى في كل دولة يتيسر لي معلومات عن اهتمام أصحابها بعلم الحديث.

فالأمويون برز فيهم علماء كبار في الحديث، وهم معاوية بن أبي سفيان ـ وناهيك به ـ وعبدالملك بن مروان، وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، ولا حاجة لتفصيل أمرهم في ذلك لأنهم عاشوا في عهد كان هذا العلم فيه رأس العلوم.

وأما العباسيون فقد اهتم كثير من خلفائهم بعلم الحديث، وأولوه عظيم عنايتهم:

فأبو جعفر المنصور كان طَلَّابة للعلم، والحديث قبل الخلافة، قال الصولي: «كان المنصور أعلم الناس بالحديث، والأنساب، مشهوراً بطلبه»[2]، وقال ابن كثير: «كان المنصور في شبيبته يطلب العلم من مظانه، والحديث، والفقه، فنال جانباً جيداً، وطرفاً صالحاً، وقد قيل له يوماً: يا أمير المؤمنين هل بقي شيء من اللذات لم تنله؟ قال: شيء واحد، قالوا: وما هو؟ قال: قول المحدث للشيخ: من ذكرتَ[3] رحمك الله؟ فاجتمع وزراؤه وكتابه، وجلسوا حوله وقالوا: ليمل علينا أمير المؤمنين شيئاً من الحديث، فقال: لستم بهم، إنما هم الدَّنِسَة ثيابهم، المشققة أرجلهم،

---

(١) من رام تفصيل ذلك فلينظر تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٢) تاريخ الخلفاء ١٧٩.

(٣) كان من عادة أئمة الحديث إذا جلسوا للإملاء أن يستفتح المستملي المجلس بالبسملة والحمدلة، والصلاة على النبي ﷺ، ثم يُقبل على المحدث ويقول: من ذكرتَ رحمك الله، أو نحوه فيبدأ الشيخ بالإملاء. انظر علوم الحديث لابن الصلاح ٢١٩.

الطويلة شعورهم، رُواد الآفاق، وقطاع المسافات، تـارة بالعـراق، وتارة بالحجاز، وتارة بالشام، وتارة باليمن، فهـؤلاء نقلة الحديث»[1].

وقال محمد بن سَلَّام الجُمَحي: «قيل للمنصور: هل بقي من لذات الدنيا شيء لم تنله؟ قال: بقيت خَصْلة أن أقعد في مِصْطَبَة وحولي أصحاب الحديث، يقول المستملي: من ذكرتَ رحمك الله قال: فغدا عليه الندماء، وأبناء الوزراء بالمحابر، والدفاتر، فقال: لستم بهم، إنما هم الدَّنِسَة ثيابهم، المشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم، بُرُد الآفاق، ونقلة الحديث»[2].

بل إن المنصور أوصى ابنه المهدي بتلقي الحديث ونقله، ومجاورة أهله فقال: «يا بني لا تجلس مجلساً إلا وعندك من أهل الحديث من يحدثك، فإن الزهري قال: علم الحديث ذكر لا يحبه إلا ذكـران الرجال، ولا يكرهه إلا مـؤنثوهم، وصدق أخو زهرة»[3].

والمهدي بن المنصور روى الحديث، وروي عنه.

وهارون الرشيد طلب العلم، واهتم به قبل الخلافة، وبعدهـا، قال القاضي الفاضل في بعض رسائله: «ما أعلم أن لملك رحلة قط في طلب العلم إلا للرشيد، فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك رحمـه الله... ثم رحل لسمـاعـه السلطان صـلاح الـدين بن أيـوب إلى الإسكندرية... ولا أعلم لهما ثالثاً»[4].

والمأمون طلب العلم من صغره، وسمع الحديث من جماعة من الأئمة، وكان أعلم خلفاء بني العباس، فصيحاً، فقيهاً، بارعاً في العربية، وأيام الناس، وعُني بعلوم الأوائل، وكانت عنده حافظة قوية مُسْتَحْضِرة، فقد قال

---

(١) البداية والنهاية ١٠/١٢٦.

(٢) تاريخ الخلفاء ١٧٧.

(٣) البداية والنهاية ١٠/١٢٦.

(٤) تاريخ الخلفاء ١٩٥.

محمد بن المنذر الكِنْدي: «حج الرشيد فدخل الكوفة، فطلب المحدثين فلم يتخلف إلا عبدالله بن إدريس، وعيسى بن يونس، فبعث إليهما الأمينَ والمأمونَ فحدثهما ابن إدريس بمئة حديث، فقال المأمون: يا عم، أتأذن لي أن أعيدها من حفظي؟ قال: افعل، فأعادها، فعجب من حفظه»[1].

وقال الخطيب: «كان المأمون أعظم خلفاء بني العباس عناية بالحديث، كثير المذاكرة به، شديد الشهوة لروايته، مع أنه قد حدث أحاديث كثيرة لمن كان يأنس به من خاصته، وكان يحب إملاء الحديث في مجلس عام يحضر سماعه كل أحد، فكان يدافع نفسه بذلك حتى عزم على فعله ــ ثم ساق الخطيب بسنده إلى ــ يحيى بن أكْثَم القاضي قال: «قال لي المأمون يوماً: يا يحيى أريد أن أحدث، فقلت: ومن أولى بهذا الحديث من أمير المؤمنين؟! فقال: ضعوا لي مِنبراً بالحَلْبة، فصعد وحدث، فأول حديث حدثنا به عن هُشيم، عن أبي الجهم، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن النبي ﷺ قال: امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار، ثم حدث بنحو من ثلاثين حديثاً، ثم نزل فقال: يا يحيى كيف رأيت مجلسنا؟ فقلت: أجل مجلس يا أمير المؤمنين تفقه الخاص والعام، فقال: لا، وحياتك ما رأيت لكم حلاوة، وإنما المجلس لأصحاب الخُلْقان، والمحابر ــ يعني أصحاب الحديث»[2].

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: «لما فتح المأمون مصر، قال له قائل: الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي كفاك أمر عدوك، وأدان لك العِراقين، والشامات، ومصر، وأنت ابن عم رسول الله ﷺ، فقلت له: ويحك إلا أنه بقيت لي خَلَّة وهو أن أجلس في مجلس ويستملي يحيى فيقول لي: من ذكرتَ رضي الله عنك؟ فأقول ــ وساق الحديث»[3].

(١) تاريخ الخلفاء ٢١٧.
(٢) شرف أصحاب الحديث ١٠١.
(٣) تاريخ الخلفاء ٢٢٠.

ومما يدل على عناية المأمون بالحديث، وحفظه له، ما ذكره محمد بن سهل بن عسكر قال: «وقف المأمون يوماً للأذان، ونحن وقوف بين يديه إذ تقدم إليه رجل غريب بيده مَحْبرة فقال: يا أمير المؤمنين صاحب حديث منقطع به، فقال له المأمون: أيش تحفظ في باب كذا؟ فلم يذكر فيه شيئاً، فما زال المأمون يقول: حدثنا هُشيم، وحدثنا حجاج، وحدثنا فلان حتى ذكر الباب، ثم سأله عن باب ثان فلم يذكر فيه شيئاً فذكره المأمون ثم نظر إلى أصحابه فقال: يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ثم يقول: أنا من أصحاب الحديث أعطوه ثلاثة دراهم»[1].

كما اهتم كثير من الخلفاء العباسيين في العصر الثاني للدولة العباسية بعلم الحديث، وإليك جانباً من ذلك:

فالمسترشدبالله بن المستظهربالله سمع الحديث من جماعة من الأئمة، وسمع جزء بن عرفة مع أخيه المقتفي لأمر الله.

والمقتفي لأمر الله بن المستظهربالله سمع الحديث، وروى عنه جماعة، قال السيوطي: «كان محباً للحديث وسماعه، معتنياً بالعلم»[2].

والناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله اشتغل في وسط ولايته برواية الحديث، وأجاز له جماعة، وكتب للملوك والعلماء إجازات، وصنف كتاباً في الحديث فيه أسانيد صحيحة عالية رواها عن أكابر المحدثين، وسماه «روح العارفين» وأجازه لجمع من العلماء.

والظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله روى الحديث عن والده بالإجازة، وقرىء عليه في مسند الإمام أحمد بإجازته من والده.

والمستعصم بالله بن المستنصربالله الشهيد آخر خلفاء بني العباس في

(١) تاريخ الخلفاء ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق ٢٩٢.

بغداد، استجاز له الحافظ ابن النجار من جماعة من مشايخ خراسان، وحدث عنه جماعة، وخرج له الدمياطي أربعين حديثاً.

كما اهتم بعض الخلفاء العباسيين في مصر بعلم الحديث:

فالحاكم بأمرالله بن المستكفي بالله بن الحاكم بأمرالله سمع الحديث، وأسمعه.

والمعتضدبالله بن المستكفي بالله بن الحاكم بأمرالله لما قدم إلى دمشق جلس في المدرسة الدماغية، فقرأ الحافظ ابن كثير بين يديه جزءاً فيه ما رواه أحمد بن حنبل عن الشافعي في مسنده.

وأتحول الآن إلى الحديث عن عناية ملوك وخلفاء الأمويين في الأندلس بالعلم، فأقول: إن عدداً من هـؤلاء الملوك والخلفاء كانوا أهل علم وأدب، يـؤثرون العلوم النقلية، والمساعدة لها، ولم يخرجوا عن ذلك إلا في بعض الأزمنة الضيقة.

فأول ملوكهم وهو عبدالرحمٰن الداخل بن معاوية بن هشام كان عالماً جليلاً، بل هو أول من نهض بالحركة العلمية في الأندلس، لأن من قبله من الولاة كانوا مشتغلين بأمور الحرب والفتوح.

وكان ابنه هشام له اشتغال بالعلوم الشرعية والأدبية، وفي عهده ذاع مذهب مالك في الأندلس بعد أن كانوا على مذهب الأوزاعي.

كما أن عبدالرحمٰن بن الحكم بن هشام كـان عالمـاً بعلوم الشريعـة والفلسفة، وهو أول من أدخل كتب الحكماء إلى تلك الديار، وهذا من المآخذ العظام عليه.

وكان عبدالله بن محمـد بن عبد الـرحمٰن بن الحكم من علماء ملوك الأندلس الأمويين، متفنناً في ضروب العلوم الشرعية، والمساعدة لها.

وإن الخليفة الناصـر عبدالـرحمٰن بن محمد بن عبـدالله بن محمد بن

عبدالرحمٰن ــ وهو أول من تسمى بالخلافة في الأندلس ــ كان بارعاً في بعض العلوم الشرعية والأدبية.

كما أن ابنه الخليفة الحكم المستنصر كان عالماً، محباً للقراءة، شغفاً بالمطالعة، وامتازت مكتبته العظيمة بتعليقاته الحافلة على كثير من كتبها، وكان له ميل إلى أهل الحديث، استدعى كثيراً منهم من الآفاق، وجالسهم، وذاكرهم.

ولم يكن ملوك وخلفاء بني أمية في الأندلس أقل عناية بالحديث من خلفاء بني العباس، فقد كان هشام بن عبدالرحمٰن ثاني ملوك الأندلس يؤثر مجالس الحديث، وكان الإمام مالك يعجب بسيرته، ويشيد بخلاله، وكذلك فإن عبدالرحمٰن بن الحكم بن هشام سمع الحديث، وأسمعه للطلبة، وعبدالله بن محمد بن عبدالرحمٰن بن الحكم كان ولعاً بحضور مجالس المحدثين، والخليفة الناصر سمع الحديث ودرسه، كما أن الخليفة الحكم المستنصر ابن الخليفة الناصر سمع الحديث كثيراً، وعين لولده الخليفة هشام المؤيد كبير المحدثين بقرطبة ليسمعه الحديث.

أما باقي ملوك وسلاطين الدول الإسلامية في الشرق والغرب، فأتناول الحديث عن اهتمامهم بالعلم، وسماعه، وطلبه من خلال تقسيم دولهم إلى ثلاثة أقسام: دول المشرق، ودول الشام ومصر، ودول المغرب، وبذا يسهل الحديث عنهم.

(١) دول المشرق:

عُني بعض ملوك هذه الدول بالعلم، فنالوا منه نصيباً يختلف باختلاف رغباتهم.

فالسلطان العظيم محمود بن سُبُكْتِكين صاحب الدولة الغَزنوية، وفاتح بلاد الهند، كان عالماً، كَلِفاً بدراسة العلوم الشرعية، وخاصة الحديث، وقد صُنِّفت له كتب كثيرة في فنون العلم، وقصده العلماء من أصقاع البلاد.

والسلطان محمود بن محمد بن مَلِكْشَاه صاحب الدولة السَّلجوقية، كان غزير العلم، وخاصة في النحو والتاريخ والسير.

والسلطان محمد بن أَنُوْشْتَكين صاحب الدولة الخوارزمية كان عالماً جليلاً، وخاصة في التفسير.

والسلطان علاء الدين خُوارزم شاه محمد ــ وهو الذي لحقه التتار في بلاد خُراسان ــ كان عالماً متفنناً، يجيد الفقه، والأصول، وعُرف بكثرة مجالسة العلماء ومناظرتهم.

(٢) دول الشام ومصر في عهد الخلافة العباسية البغدادية والمصرية:

* **فالدولة الطُّولونية**: كان أول ملوكها وهو أحمد بن طُولون حافظاً للقرآن، يطلب الحديث. كما كان خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون ثاني ملوك هذه الدولة يطلب الحديث.

* **الدولة الحَمْدانية**: اهتم أصحابها بالعلوم، وخاصة الآداب، ومهر عدد منهم فيها.

* **الدولة النُّورية**: كان سيدها، وسلطانها العظيم الملك العادل نورالدين محمود عالماً بالفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وسمع الحديث كثيراً، وأسمعه طلباً للأجر والثواب، ومما يحكى عنه من قصص جليلة ما ذكره أبو شامة فقال: «بلغني من شدة اهتمام نورالدين رحمه الله بأمر المسلمين حين نزل الفرنج على دمياط أنه قرىء عليه جزء من حديث كان له به رواية فجاء في جملة تلك الأحاديث حديث مسلسل بالتبسم، فطلب منه بعض طلبة الحديث أن يتبسم لتتم السلسلة على ما عرف من عادة أهل الحديث، فغضب من ذلك وقال: إني لأستحي من الله تعالى أن يراني متبسماً والمسلمون محاصرون بالفرنج»[١].

---

(١) كتاب الروضتين، ج ١ ق ٢ ص ٤٥٩.

* **الدولة الأيوبية**: لم يعتن ملوك دولة من دول مصر والشام بالعلم كاعتناء الأيوبيين به، وحرصهم على التزوّد منه، ومن محاسنهم أنهم ابتعدوا عن علوم الأوائل، وآثروا علوم الشرائع، وخاصة الآثار، إلا أن أحد ملوكهم وهو الناصر داود بن المعظم ملك دمشق اهتم بعلم الفلاسفة، وشجعه، وناصره، لكن سرعان ما أزيل ذلك بعد عزله عن دمشق.

فأول ملوك هذه الدولة وهو السلطان المجاهد صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب كان حريصاً على طلب العلم، فقد رحل في[1] زمن ملكه ومعه إخوانه، وامراؤه إلى الإسكندرية، فسمعوا الحديث من الحافظ السِّلفي وغيره، وكان رحمه الله ملماً ببعض العلوم كالحديث، والفقه، والأنساب، والتواريخ، وقد قُرِىء عليه الحديث في ساعات الوَغى، ولم ينقل عن غيره مثل ذلك، وآثر سماع الحديث بالأسانيد، وأسمعه بها، قال ابن شَدَّاد: «كان رحمه الله شديد الرغبة في سماع الحديث، ومتى سمع عن شيخ ذي رواية عالية، وسماع كثير، فإن كان ممن يَحْضر عنده استحضره، وسمع عليه، فأسمع من يحضره في ذلك المكان من أولاده، ومماليكه المختصين به، وكان يأمر الناس بالجلوس عند سماع الحديث إجلالاً له، وإن كان ذلك الشيخ ممن لا يطرق أبواب السلاطين، ويتجافى عن الحضور في مجالسهم، سعى إليه، وسمع عليه، تردد إلى الحافظ الأصفهاني -(أي السِّلفي)- بالإسكندرية حرسها الله تعالى وروى عنه أحاديث كثيرة»[2].

وقال أيضاً: «لقد قُرِىء عليه جزء من الحديث بين الصفين، وذلك أني قلت له: قد سُمع الحديث في جميع المواطن الشريفة، ولم ينقل أنه سُمع بين الصفين، فإن رأى المولى أن يُـؤْثَر عنه ذلك كان حسناً، فأذن في ذلك، فأحضر جزءاً، وهناك أحضر من له به سماع فقرىء عليه ونحن على ظهور

---

(١) ينظر قول القاضي الفاضل الذي سبق ذكره في ص ٥٦.

(٢) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ٩.

الدواب بين الصفين، نمشي تارة، ونقف أخرى»[1].

وقال أيضاً: «لقد مر بنا رجل جمع بين العلم والتصوف، وأنه يـؤثِر زيارة السلطان، فَعَرَّفت السلطان رحمة الله عليه تلك الليلة وصول هذا الرجل، فاستحضره، وروى عنه حديثاً»[2].

وقال أيضاً إنه كان: «حافظاً لأنساب العرب ووقائعهم، عارفاً بسيرهم وأحوالهم، حافظاً لأنساب خيلهم، عالماً بعجائب الدنيا، ونوادرها، بحيث كان يستفيد محاضِرُهُ منه ما لا يسمع من غيره»[3].

وكذلك كان كثير من خلفاء صلاح الدين أهل علم، ودراية، ورواية، وفقه:

فالملك المعظم عيسى ابن الملك العادل محمد ملكُ دمشق والشام ـ وهو ابن أخي صلاح الدين ـ حفظ القرآن، وبرع في الفقه على مذهب أبـي حنيفـة، ودرس العربيـة، والحديث، وغيـرهمـا من العلوم، وصنف التصانيف المفيدة، منها السهم المصيب في الرد على الخطيب ـ ذب فيه عن الإمام الأعظم أبـي حنيفة رضي الله عنه ـ وشرح الجامع الكبير في الفقه بمعاونة غيره؛ وسمع مسند الإمام أحمد، وأمر بترتيبه، وكان يبحث، ويناظر، ويفتي.

والملك الكامل محمد ابن الملك العادل محمد ملكُ مصر والشـام وغيرهما ـ وهو أخو المعظم ـ كان عالماً بالحديث، يحرص على حفظه ونقله، وقد شغف بسماعه، وله تعليقات حسنة على صحيح مسلم، وخرّج له الشيخ أبو القاسم بن الصَّفْراوي أربعين حديثاً سمعها منه جماعة، وكان يناظر العلماء، ويكثر من مجالستهم.

---

(١) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ٢٠.

(٢) المصدر السابق ٣١ ـ ٣٢.

(٣) المصدر السابق ٣٤.

والملك المنصور ناصرالدين محمد ابن الملك المظفر صاحبُ حماه كان عالماً بالتواريخ، والآداب، له إلمام بالحديث، يكثر من المطالعة والبحث، وله تصانيف حافلة منها: التاريخ الكبير، وطبقات الشعراء.

والملك المؤيد عمادالدين أبو الفداء إسماعيل ابن الملك الأفضل علي صاحبُ حماه، كان عالماً متقناً، متفنناً، له تصانيف نافعة منها المختصر في أخبار البشر، وتقويم البلدان.

والملك ظهيرالدين أحمد بن صلاح الدين يوسف بن أيوب كان عالماً، محدثاً، سمع وكتب الكثير.

هذا وقد اهتم الملوك الأيوبيون برواية الحديث وسماعه، وقد ظهر شيء من ذلك فيمن مر ذكره منهم، وأضيف إليهم:

الملك العادل محمد ملك مصر والشام وغيرهما ـ وهو أخو صلاح الدين ـ الذي طلب الحديث، وحدث بالجزء السابع من المحامِليات عن السِّلفي رواه عنه ابنه الملك الصالح إسماعيل صاحبُ دمشق.

والملك الأشرف موسى ابن الملك العادل صاحبُ دمشق روى عن جماعة، وروى عنه آخرون، وسمع صحيح البخاري في ثمانية أيام من ابن الزَّبِيْدي، وكان له ميل إلى المحدثين والحنابلة، وقد كان لهذا الملك دور في نشر العلوم الشرعية، وإقصاء العلوم الفاسدة، فلما ملك دمشق رغب الناس في العلوم الشرعية كالتفسير، والفقه، والحديث، ونهاهم عن الاشتغال بعلم الأوائل، وكان أخوه الملك الناصر داود بن المعظم ملك دمشق قبله قد اهتم بتلك العلوم الضارة، وروَّج أمرها.

والملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين صاحبُ حلب سمع الحديث كثيراً، وأسمعه.

والملك الأفضل علي ابن السلطان صلاح الدين صاحبُ الشام سمع الحديث بالإسكندرية وغيرها.

والملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين ملك مصر والشام سمع الحديث كثيراً.

والملك المعظم تُوْرانشاه ابن السلطان صلاح الدين سمع الحديث وأسمعه، وانتخب له الدِّمياطي جزءاً.

والملك السعيد عبدالملك بن الصالح إسماعيل بن العادل روى الموطأ.

والملك أبو المحاسن يوسف ابن الملك الناصر داود بن المعظم سمع الحديث، وروى عنه الدمياطي في معجمه.

والملك المنصور محمود ابن الملك الصالح إسماعيل بن العادل سمع الحديث كثيراً.

* **الدولة المماليكية**: كان فيها عدد من السلاطين الذين عنوا[1] بسماع الحديث، وحرصوا على تلقي بعض العلوم الشرعية، والمساعدة لها، ولم يبرز فيهم أحد يمكن أن يعد من العلماء.

فالسلطان الناصر بن قلاوون سمع على قاضي القضاة ابن جَماعة عشرين حديثاً، وحضر معه الأمراء.

والسلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين سمع الحديث.

والسلطان الملك الأشرف بَرْسْبَاي الدُّقْماقي سمع الحديث أيضاً.

والسلطان الملك الظاهر سيف الدين جَقْمَق العَلائي الظاهري كان متفقهاً.

والسلطان الملك الأشرف قانصوه الغُوري كان مغرماً بقراءة التواريخ، والسير، ودواوين الأشعار، وكان يعقد المجالس العلمية في القلعة كل أسبوع، ويجمع إليه العلماء.

---

(١) جرت العادة في زمن المماليك بقراءة صحيح البخاري مرة كل عام في حضرة السلطان، انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٧.

* **الدولة العبيدية**: كان لبعض ملوكها عناية بالعلم، لكنه علم السوء والضلال، والفلسفة والزندقة، وقد أخرت ذكر هذه الدولة عن مكانها الطبيعي لأنها دولة خبيثة مفسدة.

(٣) دول المغرب والأندلس:

(أ) **دول الأندلس**: لقد حكم الأندلس عقب زوال الدولة الأموية، ودولة بني حَمُّود الأدارسة، ملوك الطوائف الذين أحبوا العلم، ونالوا منه قسطاً صالحاً، وخاصة الآداب والشعر.

فملك إِشْبِيْلِيَة القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عَبَّاد كان عالماً أديباً، وشاعراً مطبوعاً، وكذلك حفيده المُعْتَمِد محمد بن عَبَّاد.

وملك بَطَلْيَوْس أبو بكر المظفر بن الأفطس كان أديباً مجيداً، صنف كتاباً عظيماً في الأدب.

وملك سَرَقُسْطة والثغر الأعلى المقتدر أحمد بن سليمان بن محمد بن هود الجُذامي نظم الشعر، وبرع في الأدب، ومهر في العلوم العقلية كالرياضة، والفلك، والفلسفة. كما أن خليفته وابنه المؤتمن يوسف أتقن علم الرياضة، وصنف فيه تصانيف مهمة، واهتم بهذه العلوم أيضاً عدد آخر من ملوك بني هود.

وحاكم المَرِيَّة وأعمالها أبو يحيى محمد بن مَعْن بن صُمَادِح الملقب بالمعتصم بالله كان شاعراً، ومحباً للعلوم الشرعية كالتفسير والحديث يجلس يوماً كل أسبوع للفقهاء والعلماء فيتناظرون بين يديه.

ولما ضعف أمر الأندلس، واستولى النصارى على معظم نواحيه، بقيت منه بقية في أيدي المسلمين وهي مملكة غَرْناطة التي حكمها بنو نصر (بنو الأحمر)، وكان هؤلاء الملوك يميلون إلى العلم، وقد ظهر فيهم علماء وفقهاء.

فمحمد بن محمد بن يوسف بن نصر المعروف والده بابن الأحمر كان عالماً أديباً، عُرف بالفقيه لعلمه وتقواه.

وأبو الحجاج يوسف بن إسماعيل كان ذا علم وأدب أيضاً.

(ب) **دول المغرب**: لم يبلغ ملوك المغرب في العلوم ما بلغه نظراؤهم في المشرق، ولعل ذلك يعود إلى كثرة الاضطرابات في بلدهم.

فدولة الأدارسة العلويين نبغ في العلم من ملوكها يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس الأصغر، حيث كان فقيهاً، حافظاً للحديث والآثار.

ودولة المرابطين كان مؤسسها الأول ــ وإن لم يكن من ملوكها ــ الشيخ عبدالله بن ياسين أحد العلماء الفقهاء.

ودولة الموحدين كان مؤسسها الأول أيضاً ــ وإن لم يكن من ملوكها ــ المهدي بن تُوْمَرت إماماً في علوم الشريعة، فقيهاً، حافظاً للحديث، متمكناً في العربية، متعمقاً في أصول الدين.

كما كان أول ملوك هذه الدولة وهو عبدالمؤمن بن علي عالماً باللغة، والنحو، والأدب، والقراءات، حافظاً للقرآن، والحديث، يجيد نظم الشعر، وله إلمام بعلم التاريخ، وعلم أصول الدين، وقد طلب العلم من صغره.

وكان ابنه وخليفته من بعده أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن ذا علم وفقه، له إلمام بكلام العرب يحفظ أيامهم ومآثرهم وجميع أخبارهم في الجاهلية والإسلام، كما كان عارفاً بالفقه، حافظاً للغة، متبحراً في النحو، وكان يحفظ الصحيحين ويملي أحاديث الجهاد على جنده، ثم عكف على دراسة الفلسفة والفلك والطب، وقد لقي جماعة كثيرة من العلماء واستفاد منهم.

وكان ابنه وخليفته من بعده أبو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف عالماً، يحفظ القرآن والحديث، ويتكلم ويناظر في الفقه، ويفتي، وعنده ولع

بمجالسة العلماء وخاصة أهل الحديث منهم، وكانت مجالسه تفتتح بالتلاوة، ثم بقراءة بعض الأحاديث، ثم بدعائه، وقد صنف كتاباً في العبادات.

دولة بني زِيْري في إفْرِيْقِيَّة: وإفْرِيْقِيَّة من أقاليم المغرب، وقد كان بنو زِيْري في بادىء أمرهم ولاة من قبل العبيديين على إفْرِيْقِيَّة إلى أن خلع أحد ملوكهم وهو المعز بن باديس بن المنصور طاعة هؤلاء الزنادقة، وأظهر الدعوة للعباسيين، وأدخل إلى إفْرِيْقِيَّة مذهب مالك رضي الله عنه في الفروع، ومذهب أهل السنّة في الأصول بعد أن كانت تلك الناحية تغلي بالتشيع والرفض فقهاً واعتقاداً، كما قام بمحاربة الشيعة أتباع العبيديين، ووضع السيف فيهم حتى استأصلهم، وقد سار على منواله ابنه تميم، لكن يحيى بن تميم عاد إلى طاعة العبيديين.

وقد كان تميم بن المعز عالماً من فحول الشعراء. وكان ابنه يحيى عالماً باللغة، والعربية، والأدب، والأخبار، وأيام الناس، والطب، يجيد نظم الشعر، ويكثر من مطالعة كتب السير والأخبار.

هذا وقد اقتصرت في كلامي السابق على بيان اهتمام الخلفاء، والملوك، والسلاطين بالعلم والتعلم، دون غيرهم من الحكام كالوزراء، وكبار الأمراء، لأنهم هم الأصل وغيرهم تبع، ولما كان كثير من الوزراء، والكبراء، ممن برع في العلم، ونال منه نصيباً كبيراً، أحببت أن أذكر جانباً من أخبارهم حتى لا يستدرك عليّ فيها:

ففي الدولة العباسية ظهر وزراء علماء، ذوو معرفة ودراية، ففي العهد الأول كالبرامكة، ويحيى بن أَكْثَم وهو القائل: «وليت القضاء، وقضاء القضاة، والوزارة، وكذا وكذا، ما سررت بشيء كسروري بقول المستملي: من ذكرتَ رضي الله عنك»[1]. وفي العهد الثاني كوزير المقتفي لأمر الله

---

(١) شرف أصحاب الحديث ١٠٤.

العالم، الفقيه، المحدث، المتفنن يحيى بن محمد بن هُبيرة، صاحب التصانيف الحافلة، والتآليف البديعة، ومن أهمها كتاب الإفصاح عن معاني الصحاح، وهو شرح على صحيحي البخاري ومسلم، وكان ابن هُبيرة يحب علم الحديث، ويكثر من سماعه ومذاكرته، وتصنيف الشروح عليه[1].

وفي الدولة الأموية في الأندلس: كان الحاجب المنصور محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبي عامر بارعاً في العلوم الشرعية، والأدبية، واللغوية، وخاصة علم الحديث، فقد طلبه منذ حداثته، وأكثر من سماعه، وقراءته على أئمة عصره.

أما باقي الدول فقد ظهر في وزرائها من له علم، ومعرفة، وطلب:

ففي الدولة الإخشيدية كان الوزير أبو المسك كافور له نظر في الفقه والنحو، وكان وزيره ابن حِنْزَابة عالماً يروي الحديث، ويمليه في حال الوزارة.

وفي الدولة البُوَيْهية كان محمد بن الحسين بن محمد المعروف بابن العميد وزير ركن الدولة البُوَيْهي، عالماً، أديباً، لغوياً، شاعراً، حكيماً. وكان إسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب ـ لصحبته الوزير ابن العميد ـ وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة البُويهي عالماً، له تصانيف جليلة.

وفي الدولة السَّلجوقية كان نظام المُلْك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطُّوْسي وزير أَلْب أَرْسلان، ومَلِكْشاه من أعظم وزراء الدنيا علماً وديناً، فقد حفظ القرآن، وطلب الفقه في حداثته حتى برع فيه، كما أتقن علم العربية، وأكثر من سماع الحديث، وإملائه، فقد أملاه في بغداد، ونيسابور، وغيرهما من بلاد المشرق.

وفي الدولة الخُوارزمية كان شهاب الدين أبو سعد بن عمران الخَيْوقي

---

(١) وانظر عن اهتمام كثير من الوزراء بالعلوم كتاب وفيات الأعيان ٥/٩٤ ـ ١٤٧.

مستشار السلطان علاء الدين محمد خُوارزم شاه، ومقدم دولته، فقيهاً، مفتياً، عنده إلمام بالطب، واللغة، والخلاف، وسائر العلوم.

وفي الدولة الأتابكية بالموصل: كان الأمير الكبير مجاهدالدين قايماز بن عبدالله الزيني الذي فُوضَ إليه حكم هذه الدولة عالماً فهماً، قال ابن الأثير: «وكان... يعلم الفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ويحفظ من الأشعار والحكايات والنوادر والتواريخ شيئاً كثيراً، إلى غير ذلك من المعارف الحسنة»[1].

وفي الدولة الأيوبية: برز في العلم والأدب وزيرها القاضي الفاضل العلامة عبدالرحيم بن علي البَيْسَاني العَسْقلاني المصري، الذي يعد أبلغ وأفصح أهل زمنه، وقد سمع الحديث من كبار محدثي عصره كالحافظ السِّلفي، والحافظ أبي القاسم بن عساكر. وكان وزير الأيوبيين أيضاً القاضي الأشرف أحمد ابن القاضي الفاضل ممن طلب العلم والحديث، واهتم بسماعه وإسماعه.

كما كان جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم القِفْطي أحد وزراء الأيوبيين في حلب عالماً أديباً متفنناً في العلوم كالنحو، واللغة، والفقه، وعلم القرآن، والحديث، والأصول، والتاريخ، والجرح والتعديل، والمنطق، والرياضة، والنجوم، والهندسة؛ وله تصانيف عظيمة نافعة في عدد من الفنون الشرعية، والتاريخية، والأدبية، وغيرها.

وكان القاضي مجدالدين البَهْنَسي أحد وزراء الأيوبيين عالماً، نَحْوياً، ولغوياً.

كما كان ضياء الدين بن الأثير صاحب المَثَل السائر ووزير الأيوبيين عالماً مشهوراً.

---

(١) التاريخ الباهر ١٩٣.

ونبغ في العلم من وزراء الأيوبيين أيضاً أمين الدولة بن غَزَال السامري وزير الملك الصالح إسماعيل بن العادل. وصفي الدين عبدالله بن علي المعروف بابن شُكْر وزير الملك العادل، الذي صنف كتاباً في الفقه على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه.

وفي الدولة المماليكية: كان أحد أمرائها وهو علم الدين سَنْجر الدَّوَيْدَار من العلماء الأجلاء المفتين، له مشاركة في الفقه والحديث، صنف شرحاً كبيراً على مسند الشافعي، وقد خرّج له المِزِّي جزأين عوالي، كما خرّج له غيره. وكان نائب الشام من قبل المماليك سيف الدين تَنْكِز يكثر من طلب الحديث وسماعه، وقد عمل على إسماعه أيضاً. وكان نائب الإسكندرية الأمير صلاح الدين خليل بن عَرَّام مشاركاً في عدة علوم، وله تصنيف في التاريخ. كما أن الأمير الكبير بِيْبرس المنصوري الدَّوَادَار كان مولعاً بسماع الحديث، والبحث، وقد صنف تاريخاً كبيراً بمعاونة غيره.

وفي مملكة غَرناطة بالأندلس: برع الوزير الكبير أبو عبدالله محمد بن عبدالله السَّلْماني المعروف بلسان الدين بن الخطيب بالعلم والأدب، فقد كان كاتباً، شاعراً، أديباً، مؤرخاً، طبيباً، فيلسوفاً، له إلمام ببعض العلوم الشرعية، بل إن السَّخَاوي عده من المتكلمين في الرجال[1].

ثانياً ــ تشجيع الحكام للعلماء:

فمن ألقى نظرة عامة في سير وتواريخ حكام المسلمين عبر العصور الطويلة، يجد الكثير منهم يميل إلى العلماء، ويقربهم، ويُغدق عليهم في العطاء.

ولا حاجة لبيان تشجيع الخلفاء الأمويين في دمشق، والعباسيين في عصرهم الأول ببغداد للعلماء، لأنه أمر واضح وجلي.

---

(١) الإعلان بالتوبيخ ٤٤٦.

أما الذي يحتاج إلى توضيح فهو تشجيع العلماء من قِبل الخلفاء العباسيين في العهد الثاني، والأمويين في الأندلس، وكذا ملوك الدول المستقلة التي عاشت في العهد الأول والثاني لبني العباس.

وأبدأ بخلفاء العباسيين في العهد الثاني فأقول: لقد وُجد في هؤلاء الخلفاء من وُصف بحبه للعلماء، وحرصه على رفع مكانتهم كالقادربالله بن المقتدر، والمستظهربالله بن المقتدي بالله، والمسترشدبالله بن المستظهربالله، والراشدبالله بن المسترشد، والمقتفي لأمرالله بن المستظهربالله، والمستضيء بأمرالله بن المستنجدبالله، والناصر لدين الله بن المستضيء بأمرالله، والمستنصربالله بن الظاهر بأمرالله، والمعتضدبالله بن المستكفي بالله، والمعتضدبالله بن المتوكل على الله، والأخيران كانا بمصر.

أما ملوك وخلفاء الأمويين في الأندلس فقد فاقوا خلفاء العصر الثاني لبني العباس، في حبهم للعلماء، والمبالغة في إكرامهم، وذلك مثل: عبدالرحمٰن الدَّاخل، وابنه هشام، وابنه الحَكَم بن هشام، وابنه عبدالرحمٰن بن الحكم، وابنه محمد بن عبدالرحمٰن، وابنه عبدالله بن محمد، والخليفة عبدالرحمٰن الناصر، والخليفة الحَكَم المستنصر بن الناصر.

وكان ملوك دول المشرق والشام ومصر من أكثر الناس ميلاً للعلماء، كإسماعيل بن أحمد السَّاماني صاحب الدولة السامانية، وأحمد بن طُولون صاحب الدولة الطولونية، وابنه خُمَارَوَيْه، ومحمود بن سُبُكْتِكين صاحب الدولة الغَزْنوية، وابنه السلطان مسعود، وشهاب الدين محمد بن حسام صاحب الدولة الغُورية، وأخيه غياث الدين، ومَلِكْشاه صاحب الدولة السَّلجوقية، وحفيده محمود بن محمد، بل وسائر سلاطين السَّلاجقة، وعلاء الدين خُوارَزم شاه محمد صاحب الدولة الخُوارزمية، ونورالدين محمود، ومظفرالدين كُوْكُبُوْري صاحب إربل، وبدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل وغيرهم.

كما حرص الأيوبيون كل الحرص على تشجيع العلماء، وذلك كالأمير

نجم الدين أيوب والد صلاح الدين، والسلطان صلاح الدين بن نجم الدين، والملك المعظم عيسى بن العادل ملك دمشق والشام، والملك الكامل محمد بن العادل ملك مصر والشام أيضاً، والملك الأشرف موسى بن العادل ملك دمشق، والملك المؤيد إسماعيل بن الأفضل علي صاحب حماه، والملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر صاحب حماه، والملك ظهير الدين أحمد ابن السلطان صلاح الدين، والملك المنصور محمود ابن الملك الصالح إسماعيل بن العادل، وغيرهم.

وكان لمعظم السلاطين المماليك يد طولى في الاهتمام بالعلماء، والاحتفال بهم، حتى إن الملك الظاهر سيف الدين بَرْقوق الجَرْكسي كان إذا أتاه أحد من العلماء قام إليه، قال ابن تَغْري بَرْدي: «ولم يُعرف أحد قبله من الملوك الترك يقوم لفقيه»[1]، وممن تبع برقوق على هذا الأمر الملك الظاهر سيف الدين جَقْمَق الظاهري.

ومن السلاطين المماليك الذين اشتهروا بحب العلماء، والأنس بمجالسهم، الملك الظاهر بِيبرس البُنْدُقْداري، والملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون، والملك المؤيَّد شيخ المحمودي، والملك الأشرف بَرْسْبَاي، والملك الأشرف إينال، والملك الظاهر خُشْقَدَم، وغيرهم.

كما كان لبعض الملوك العبيديين في مصر دور كبير في تشجيع العلم وأهله، كالمعز لدين الله، والعزيز بالله، وغيرهما، لكنهم حاربوا علوم الشريعة والآثار، وعملوا على إبعاد أو قتل من نسب إليها من العلماء.

هذا بالنسبة لملوك المشرق، أما ملوك المغرب فقد وجد فيهم من أولى العلماء عنايته، وبالغ في إكرامهم، فمن ملوك الموحدين عبدالمؤمن بن علي، وابنه يوسف الذي جعل من مَرَّاكُش منارة للعلم، والمنصور يعقوب بن

---

(١) النجوم الزاهرة ١١/٢٩١.

يوسف. ومن ملوك المرابطين يوسف بن تاشِفين، وابنه علي، ومن بني زِيْري أصحاب إفْرِيْقِيَّة المعز بن باديس، وتميم بن المعز، ويحيى بن تميم. وفي الأندلس كان بنو حَمُّود، وملوك الطوائف، وملوك غَرْناطة ممن اشتهر بالميل إلى العلماء، والرغبة في مجالسهم.

وقد وجد في وزراء، وأمراء بعض الدول المذكورة من عمل على تشجيع العلماء، والإنفاق عليهم، والاهتمام بهم، والحرص على إكرامهم، ورفع شأنهم، ففي الدولة الإخشيدية كأبي المسك كافور، وفي الدولة الأموية في الأندلس كالحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، وفي الدولة السَّلجوقية كالوزير العظيم نظام المُلْك، وفي الدولة المماليكية كالأمير علم الدين سَنْجر الجاولي.

ثالثاً ــ إنشاء الحكام للمراكز العلمية كالمدارس والمكتبات:

لقد حرص الخلفاء، والملوك، والسلاطين، والأمراء المسلمون على تهيئة الأسباب اللازمة لانتشار العلوم في بلادهم، وكان من أهم ما قاموا به لتحقيق هذا الهدف إنشاؤهم للمراكز العلمية كالمدارس والمكتبات.

ولم يكن العلماء والأثرياء أقل رغبة منهم في هذا السبيل الخير، بل إن العلماء هم الذين شجعوا أصحاب السلطان على عملهم المذكور.

والمدارس والمكتبات العامة لم تكن موجودة في الصدر الأول، وذلك لأن المساجد كانت تعمل عمل المدارس المتأخرة في نشر العلم، قال المقريزي: «والمدارس مما حدث في الإسلام ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين، وإنما حدث عملها بعد الأربع مئة من سني الهجرة، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور»[1]. كما كانت معظم علوم القوم محفوظة في صدورهم، ومخزونة في أذهانهم، مما جعلهم

---

(١) المواعظ والاعتبار ٢/٣٦٣.

يستغنون عن المكتبات، أو عن الاعتماد على الكتب، قال الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ عقب ذكره لتراجم حفاظ الطبقة الرابعة الذين شُرع في عهدهم بتدوين السنن، وجمع الفروع، وتصنيف العربية: «ثم كثر ذلك ـ (أي التصنيف) ـ في أيام الرشيد، وكثرت التصانيف، وألّفوا في اللغات، وأخذ حفظ العلماء ينقص، ودُوِّنت الكتب، واتكلوا عليها، وإنما كان قبل ذلك علم الصحابة والتابعين في الصدور فهي كانت خَزائن العلم لهم رضي الله عنهم»[(١)].

وسأقوم في هذا المبحث إن شاء الله تعالى بإلقاء الضوء على تلك الجهود الخيِّرة التي قام بها حكام المسلمين، وعلماؤهم، خدمة للعلم وأهله، ورغبة في نشره وإذاعته.

ولا يخفى ما في هذا الموضوع من سَعة، وتشعب، يضطران الباحث فيه إلى جعله أقساماً أو فصولاً تمنع من التداخل، وتساعد على التنظيم والترتيب.

والتقسيم الذي يتناسب مع ما سبق من بحوث هذه المقدمة هو تنظيم المعلومات الواردة في هذا المبحث على الدول الإسلامية في المشرق، وفي الشام ومصر، وفي المغرب والأندلس.

(١) دول المشرق:

وأبدأ بذكر اهتمام الخلفاء بإنشاء المراكز العلمية، وأتبعه ببيان اهتمام الملوك والسلاطين، ثم الوزراء والأمراء والكبراء، ثم العلماء بهذا الأمر.

(أ) حرص الخلفاء على تشييد المراكز العلمية: لقد شهدت مدينة السلام (بغداد) منذ تأسيسها تقدماً حضارياً، ونهضة علمية رفيعة، فكانت منارة، وقبساً لذوي النُّهى والألباب، ولم يكن ذلك متحققاً لولا عناية الخلفاء بالعلوم، وارتشافهم من معينها العذب، وتطلعهم إلى نشرها بكل وسيلة نبيلة،

---

(١) ١/ ١٦٠.

وطريقة حسنة، ومن أعظم تلك الوسائل والطرائق إقامتهم للمراكز العلمية العظيمة من مدارس ومكتبات، ولم أر بعد تتبع دقيق ذكراً لمدرسة بنيت في العهد الأول لبني العباس، أما المكتبات فقد وجدت واشتهرت، فقد كان للخليفة المنصور خِزانة كتب كبيرة، وهي لا تذكر أمام المكتبة العظيمة التي أسسها هارون الرشيد ـ فيما قيل ـ وعمل ابنه المأمون على توسعتها، وجلْب المجموعات الكبيرة من الكتب إليها، وكانت تسمى ببيت الحكمة، وقد حرص المأمون على تزويدها بكل كتاب يُعلم وجوده على ظهر البسيطة، سواء كان في علوم الشريعة، أو العلوم الأخرى المفيدة، والمذمومة، ويقول القَلْقَشَنْدي في هذه المكتبة: «ويقال إن أعظم خَزائن الكتب في الإسلام ثلاث خَزائن: إحداها: خِزانة الخلفاء العباسيين ببغداد، فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة، ولا يقوّم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد، وقتل ملكُهم هولاكو المستعصمَ آخر خلفائهم ببغداد، فذهبت خِزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها، وأعفيت آثارها»[1].

كما كان للمأمون خِزانة كتب خاصة به.

أما في العصر الثاني لبني العباس فقد كان للخليفة المعتضدبالله، والخليفة المقتدي بأمرالله، والخليفة الراضي[2] بالله، والخليفة الناصر لدين الله خَزائن كتب.

وكان الخليفة الناصر لدين الله قد أنشأ من خِزانته المذكورة ثلاث خَزائن، فوقف واحدة منها على المدرسة النِّظامية ببغداد، وأخرى على الرباط[3] الخاتوني السَّلجوقي ببغداد، وثالثة على دار المُسَنَّاة[4] ببغداد أيضاً؛ كما أنشأ خِزانة كبيرة في رباط بناه بالحريم الطاهري ببغداد.

---

(١) صبح الأعشى ١/٤٦٦.

(٢) وكان عند الأمير هارون بن المقتدر أخي الراضي بالله وعامل فارس مكتبة عظيمة.

(٣) بنى هذا الرباط الخليفة الناصر عند تربة زوجته سَلجوقة خاتون.

(٤) بنى هذه الدار الخليفة الناصر أيضاً.

كما كان للخليفة المستنصربالله خِزانة كتب خاصة غير الخِزانة العظيمة، العديمة المثل التي وقفها[1] على المدرسة المستنصرية، وقد بنى المستنصر هذه المدرسة العظيمة الجامعة سنة ٦٣١، ووقف عليها أوقافاً عظيمة جداً، وجعل فيها دروساً في الفقه على المذاهب الأربعة، وهو أول من ابتكر هذه الفكرة، كما جعل فيها دوراً للقرآن، والحديث، والعربية، والفرائض، والطب، والرياضة.

وكان لآخر خلفاء العباسيين في بغداد، وهو المستعصم بالله الشهيد خِزانتان عظيمتان من الكتب، وقد بنى مدرسة للحنابلة ببغداد.

(ب) عناية ملوك وسلاطين المشرق ببناء المراكز العلمية: عُرفت المكتبات في **المشرق** منذ زمن بعيد، أما المدارس فقد حدثت في وقت متأخر عنها، وكان أهل **المشرق** أول من حفظ عنهم بناء المدارس، قال المقريزي: «والمدارس مما حدث في الإسلام، ولم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين، وإنما حدث عملها بعد الأربع مئة من سني الهجرة، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور، فبنيت بها المدرسة البيهقية، وبنى بها أيضاً الأمير نصر بن سُبُكْتِكين مدرسة، وبنى بها أخو السلطان محمود بن سُبُكْتِكين مدرسة، وبني بها أيضاً المدرسة السعيدية، وبني بها أيضاً مدرسة رابعة، وأشهر ما بني في القديم المدرسة النِّظامية ببغداد»[2].

ففي بلاد ما وراء النهر أنشأ نوح بن نصر صاحب الدولة السامانية مكتبة كبيرة ببخارى، كانت من عجائب مكتبات الدنيا، وكانت بخارى في عهد السامانيين أعظم المراكز العلمية في المشرق الإسلامي الأقصى.

---

(١) كان المستنصر من أشد الخلفاء رغبة في جمع الكتب، ووقفها، حتى بيعت كتب العلم في زمنه بأغلى الأثمان.

(٢) المواعظ والاعتبار ٢/٣٦٣، وانظر: علماء النِّظاميات ومدارس المشرق الإسلامي ٤ ــ ٥.

وقد عمل السلطان محمود بن سُبُكْتِكين صاحب الدولة الغَزْنوية مكتبة عريقة في غَزْنة، جلب إليها مجموعات كبيرة من الكتب.

وأنشأ السلطان مغيث الدين محمود بن غياث الدين محمد بن مَلِكْشاه السَّلجوقي مدرسة كبيرة للحنفية ببغداد.

وأنشأ ملك الغُوريين السلطان غياث الدين محمد بن سام الغُوري عدة مدارس في غَزْنة.

وأنشأ عضُد الدولة بن ركن الدولة البُوَيْهي في قصره بشِيراز خِزانة كتب زاخرة، ضمت بين جنباتها كل ما سُمع به من كتب الدنيا، مما تيسر له الحصول عليه، وقد كان عضُد الدولة هذا محباً للعلوم وأهلها، دنى منه العلماء، وصنفوا له تصانيف حافلة، كما أمد العضُد الخِزانة الحيدرية في النَّجَف بكتب كثيرة.

وأنشأ الملك السعيد نورالدين أَرْسلان شاه بن عزالدين مسعود صاحب أتابِكية المَوْصل مكتبة عظيمة، ومدرسة للشافعية كلاهما بالمَوْصل، وقد قال ابن الأثير في هذه المدرسة: «وهي من أحسن المدارس»[1].

وأنشأ الملك الرحيم بدرالدين لؤلؤ صاحب المَوْصل مكتبة كبيرة، وعدة مدارس في بلده، وكان هذا الملك محباً للعلم، مقرِّباً للعلماء، يحب قراءة كتب التواريخ والسير، وقد جمع له عزالدين بن الأثير تاريخه المشهور.

وقد بنى السلطان خُوارَزم شاه علاءالدين تكش بن أَرْسلان صاحب الدولة الخُوارزمية مدرسة عظيمة للحنفية في خُوارزم، وجعل فيها داراً للكتب. كما بنى آخر سلاطين الخوارزمية جلال الدين منكُبِرتي مدرسة كبيرة بأَصْبَهان.

وبنى الملك المعظم أبو سعيد مظفرالدين بن زين الدين كُوْكُبُوْري صاحب إربل، والملك مبارزالدين أبو بكر كك صاحب إربل والجبال مدرستين.

---

(١) التاريخ الباهر ٢٠١.

وبنى زين الدين علي بن بُكْتِكِين صاحب إربل ووالد صاحبها مظفر الدين كُوْكُبُوْري عدة مدارس بالمَوْصل.

وأنشأ الملك الصالح ابن الملك المنصور صاحبُ ماردين مدارس كثيرة في بلاده.

وبنى السلطان شاه أرمن ناصر الدين محمد بن إبراهيم صاحب خِلاط مدرسة في بلده.

وبنى الملك عزالدين أبو الحارث أَرْسلان آبه بن أتابِك صاحب مَرَاغة مدرسة.

وكان يوجد في مدينة تِبْريز أعظم مدن الشرق في عهد التتار عدة مدارس أنشأها السلطان محمود غازان التتاري.

وكان سيف الدين غازي بن عماد الدين زَنْكي صاحبُ المَوْصل قد بنى مدرسة عظيمة في بلده، قال فيها ابن الأثير: «وهي من أحسن المدارس وأوسعها، وجعلها وقفاً على الفقهاء الشافعية والحنفية»[1].

وأنشأ عزالدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زَنْكي صاحبُ المَوْصل مدرسة في بلده جعلها للحنفية والشافعية، وقد قال فيها ابن خَلِّكَان: «وهي من أحسن المدارس»[2].

وبنى القاهر عزالدين مسعود بن أَرْسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زَنْكي مدرسة بالموصل.

وأنشأ الملك العادل نورالدين محمود مدرسة بالجامع الذي بناه في المَوْصل.

---

(١) التاريخ الباهر ٩٣.

(٢) وفيات الأعيان ٥/٢٠٧.

(ج) اهتمام الوزراء والأمراء والكبراء بإنشاء المراكز العلمية: عُني الخلفاء، والملوك، والسلاطين باختيار وزرائهم، وكبار دولتهم، من أهل العلم والشرف والنباهة، وقد حرص هؤلاء الرؤساء على التزود من العلم، ونشره، والتقرب من أهله، فبنوا المدارس والمكتبات الخاصة والعامة، ووقفوا عليها الأوقاف الجليلة.

فوزير الخليفة هارون الرشيد يحيى بن خالد البَرْمكي الفارسي كانت له ببغداد خِزانة كتب حافلة، وقد كان هذا الوزير زنديقاً فهو أول من أدخل كتب الفلسفة إلى ديار الإسلام، وأمر بتعريبها، وتبعه على فعلته هذه الخليفة المأمون عفا الله عنه.

ووزير الخليفة المعتصم العالم الكبير محمد بن عبدالملك الزيات كانت له خِزانة كتب نفيسة في سُرَّ من رأى.

ووزير الخليفة المتوكل العالم الفتح بن خاقان كان مغرماً بالتقرب من العلماء، وبالمطالعة، وجمع الكتب، وقد عمل له أبو الحسن علي بن يحيى المنجِّم خِزانة كتب كبيرة جداً، لكن الكثير من كتبها كان في علوم اليونان الفلاسفة.

ووزير الخليفتين المعتضد، والمكتفي، أبو الحسين القاسم بن عبيدالله كانت له خِزانة كتب، ضم إليها مكتبة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى النَّحْوي المعروف بثَعْلب.

ووزير الخليفتين المقتفي، والمستنجد، العالمُ، المتفنن، أبو المظفر يحيى بن محمد بن هُبَيْرة، كانت له خِزانة كتب حافلة وقفها على مدرسته ببغداد.

ووزير الخليفة الناصر لدين الله العالم مؤيد الدين أبو المظفر بن القصاب أنشأ مكتبة عظيمة في بغداد.

ووزيــر الخليفــة المسعصم، الخــائنُ اللعـين، والأديـبُ العــالـم مؤيد الدين بن العلقمي أنشأ في دار الوزارة ببغداد دار كتب نادرة، حوت نفائس الكتب وأعيانها.

ووزير بهاء الدولة البُوَيْهي أبو نصر سابور بن أردشير أنشأ في الكَرْخ ببغداد مكتبة كبيرة سماها دار العلم، قيل إنها احتوت على أكثر من عشرة آلاف مجلد، وكان العلماء والأدباء يتنافسون في إهداء مؤلفاتهم لهذه المكتبة، وقد قال فيها ياقوت: «ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة، وأصولهم المحررة»[1].

ووزير ركن الدولة البُوَيْهي، الأديبُ الكبير ابن العميد كانت له خِزانة كتب كبيرة.

ووزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة الصاحبُ بن عباد كانت له مكتبة عظيمة. وقد حوت مكتبتا ابن العميد، والصـاحب كتباً كثيـرة للفلاسفـة والحكماء، ولما مَرَّ السلطان محمود السَّلجوقي على الرَّيّ أمر بحرق كتب الفلسفة التي كانت في مكتبة الصاحب.

وقد برز في عهد السَّلاجقة وزيرهم العظيم نِظام المُلْك الذي كان له فضل كبير في نشر العلوم في البلاد المشرقية، فقد بنى في بغداد ونيسابور المدرستين العظيمتين، الشهيرتين بالنِّظامية، وقف عليهمـا خِزانتي كتب جليلتين، وقد مر أن الخليفة الناصر لدين الله وقف على نظامية بغداد خِزانة كتب نفيسة، كما أن الحافظ المؤرخ ابن النَّجار وقف عليها خِزانتين من الكتب.

كما أنشأ نظام المُلْك مدارس كثيرة في المشرق فبنى مدرسة بطُوس، ومدرسة بمرو، ومدرسة بهَرَاة، ومدرسة ببلْخ، ومدرسة بِأَصْبَهان، ومدرسة

---

(١) معجم البلدان ١/٥٣٤.

بالبصرة، ومدرسة بجزيرة ابن عمر، ومدرسة بالمَوْصل، ومدرسة بآمُل طَبَرِسْتان[1]، ووقف عليها أوقافاً عظيمة، ومكتبات قيمة. وبذا يعتبر نِظام المُلْك أكثر الوزراء عناية بالعلم ونشره، وقد قال فيه ابن الأثير: «وأما صدقاته ووقوفه فلا حد لها، ومدارسه في العالم مشهورة، لم يخل بلد من شيء منها حتى جزيرة ابن عمر التي هي في زاوية من الأرض لا يُـؤبه لها، بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة»[2].

وثمة وزير آخر يلقب بنظام المُلْك واسمه مسعود بن علي وهو وزير الدولة الخُوارزمية، بنى المدرسة النظامية للشافعية بخُوارزم، وكانت مدرسة عظيمة، جعل فيها دار كتب حافلة.

وقد أنشأ علي بن أحمد السُّمَيْري وزير السلطان محمود بن محمد بن مَلِكْشاه السَّلجوقي مدرسة بأصبهان، وجعل فيها خِزانة كتب نفيسة.

كما بنى وزير صاحب المَوْصل الملكِ سيفالدين غازي بن عمادالدين مدرسة للشافعية بالموصل، ومدرستين بنَصِيْبين، وأوقف أوقافاً كثيرة.

وأنشأ وزير التتار نصيرالدين محمد بن محمد الطُّوْسي المنجِّم مكتبة عظيمة في مَرَاغة عاصمة تتار الشرق بأمر من سيده هولاكو، وذلك في المرصد الذي بناه في تلك الناحية، وقد حوت هذه المكتبة مجموعات كبيرة من الكتب، وخاصة في الرياضة، والفلك، والطب، وسائر العلوم العقلية، وقد قدرت أعدادها بأكثر من ٤٠٠,٠٠٠ مجلد، نهب أكثرها من بغداد، والشام، والجزيرة بعد وقعة هولاكو.

وقد أشار الذهبي إلى عظمة هذه المكتبة فقال: «عملت أنا تاريخ

(١) ذكر المدارس النظامية هذه الدكتور ناجي معروف في كتابه علماء النظاميات ص ١٢، وقد فاته ذكر نظامية طُوس فقط ـ وقد ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٩/٩٤ ـ ويبدو أن نِظام الملك رحمه الله تعالى قد بنى مدارس كثيرة في أماكن أخرى، والله أعلم.

(٢) التاريخ الباهر ٩.

الإسلام، وهو كاف في معناه فيما أحسب، ولم يكن عندي تواريخ كثيرة مما قد سمعت بها بالعراق، وبالمغرب، وبرصد مَرَاغة، ففاتني جملة وافرة»[1].

كما أن أحد نواب التتار، ووزرائهم وهو علاءالدين عطا الجُويني، قد جمع خِزانة كتب نفيسة.

هذا بالنسبة للوزراء، أما الأمراء والكبراء فقد حفظ عن كثير منهم شدة الاهتمام بإنشاء المراكز العلمية. ومن أشهر هؤلاء:

الأمير الكبير، قائد الفرسان، وشَرابي الخليفة المستنصر بالله، شرف الدين إقبال بنى المدرسة الشَّرابية ببغداد، وهي من أعظم المدارس في أواخر أيام الدولة العباسية، وقد ضم إليها مكتبة كبيرة عامرة، كما بنى مدرسة بواسط، ووقف عليهما الأوقاف العظيمة.

وأمير الأمراء في عهد الخليفة المستنصر بالله مجاهدالدين أَيْبَك الجَرْكسي بنى مدرسة ببغداد ووقفها على الحنابلة، وكان في هذه المدرسة المعمورة خِزانة كتب نفيسة، وقف عليها بعض العلماء كتبهم.

والأمير الكبير، نائب البصرة من قبل الخليفة الناصر لدين الله، والخليفة المستنصر بالله أبو المظفر باتِكِين بن عبدالله الرومي بنى مدارس كثيرة في البصرة، ووقف عليها مكتبات عامرة، وأوقافاً حسنة، وكان هذا الأمير له اشتغال بالعلم، وصلة بالعلماء.

والأمير، رسول الخليفة المستظهر بالله سعادة الرَّسَائلي أنشأ مدرسة ببغداد.

وأحد أركان دولة الخليفة المقتفي لأمر الله ثقة الدولة علي بن محمد

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/١٢٥.

الدريني، العالم، الخَيِّر، الورع، زوج العالمة المشهورة شُهْدَة بنت الإِبَري، بنى مدرسة للشافعية ببغداد.

وزوجة الخليفة المستضيء بأمر الله، وأم الخليفة الناصر لدين الله السيدة زُمرد خاتون الصالحة الخيرة، بنت مدارس كثيرة، ووقفت أوقافاً حسنة، ومن أعظم آثارها مدرسة الأصحاب ببغداد التي كادت تضاهي المدرستين النظامية والمستنصرية.

ومولاة الخليفة المستضيء بأمر الله، وحظيَّته بنفشا بنت عبدالله الرومية الكريمة الصالحة، صاحبة الصدقات والوقوف الكثيرة، بنت مدرسة عظيمة للحنابلة ببغداد وأسندت مشيختها للعلامة ابن الجوزي.

وجارية الخليفة المستعصم آخر خلفاء بني العباس ببغداد، وحظيته المعروفة بباب بَشير بنت في بغداد مدرسة عامرة واسعة، وقفتها على المذاهب الأربعة كالمدرسة المستنصرية وهي ثاني مدرسة في العالم تسند إلى فقهاء المذاهب الأربعة، وقد وقفت عليها خِزانة كتب نفيسة.

وصاحبة أصبهان زوجة السلطان مَلِكْشاه السَّلجوقي وأم ولده السلطان محمود، الخبيرة بأمور السياسة والحروب تُرْكان خاتون بنت مدرسة للحنفية ببغداد.

والملكة جَوْهر شاه بنت السلطان غياث الدين الغُوري، وزوجة السلطان شاه رُخ أنشأت بهَرَاة مدرسة كبيرة حسنة.

وأحد رجال عضُد الدولة البُوَيْهي وهو أبو علي بن سوَّار الكاتب أنشأ في البصرة خِزانة كتب حوت نفائس الأسفار وأمهاتها.

وأحد أركان مملكة السلطان أَلْب أَرْسلان السَّلجوقي، عميد خراسان شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور بنى مدرسة كبيرة للحنفية عند مشهد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في بغداد، وقيل إنها اول مدرسة أنشئت

بالعراق حيث افتتحت سنة ٤٥٩ قبل النظامية بعدة شهور، وكان بها خزانة كتب نفيسة. كما بنى العميد أبو سعد مدرسة عظيمة بمرو، ولعلها التي وقفها على السمعانيين، وكان بها خِزانة كتب قيمة. وقد بنى أيضاً مدرسة ببغداد غير الأولى.

ومدبر مملكة السلطان مَلِكْشاه السَّلجوقي تاج الملك المَرْزُبان بن خُسْرو بنى مدرسة عظيمة للشافعية ببغداد، وهي ثاني مدرسة لهم بعد النظامية فيما عرف.

والأمير الكبير المملوك، أحد أمراء السلطان محمد بن مَلِكْشاه السَّلجوقي خُمارتكين بن عبدالله، بنى مدرسة للحنفية ببغداد.

والأمير المولى بهروز خادم السلطان غياث الدين السَّلجوقي بنى مدرسة للحنفية في جامع السلطان مَلِكْشاه السَّلجوقي ببغداد.

والأمير الكبير قُطْلُو دُمُور بنى مدرسة كبيرة بخوارزم.

والأمير بدرالدين كهرتاش المعروف بزردار نديم السلطان السَّلجوقي علاء الدين كَيْقُباذ بنى مدرسة كبيرة بقُوْنِية.

والأمير موسى أحد أمراء السلطان السَّلجوقي علاء الدين كَيْقُباذ بنى مدرسة في مدينة قَرْمان.

والأمير مجاهدالدين أبو منصور قايْماز بن عبدالله الزيني أحد أركان دولة سيف الدين غازي بن مودود صاحب الموصل بنى الجوامع والمدارس، ومن أهمها الجامع المجاهدي، والمدرسة المجاهدية كلاهما بالموصل. وكان قد بنى في إربل لما كان مقدماً عند صاحبها المدرسة المجاهدية أيضاً.

والأمير أبو منصور سَرَفْتِكين الزيني نائب صاحب إربل بنى مدرسة كبيرة، في بلده.

والأمير مجاهدالدين أبو منصور يرنقش التركي أحد أمراء عمادالدين بن

قطب الدين مودود بن عماد الدين زَنْكي صاحب سِنْجار، بنى مدرسة في بلده للحنفية.

كما بنى شهاب الدين أبو سعد بن عمران الخَيْوقي مستشار السلطان علاء الدين محمد خُوارزم شاه، ومقدم دولته عدة مدارس في خوارزم، وأنشأ داراً عظيمة للكتب، قال النسوي: «وقد بنى شهاب الدين بخوارزم في جامع الشافعية دار كتب لم ير قبلها ولا بعدها مثلها»[1].

ومما ينبغي ذكره هنا أن أصحاب إمارة بَهدينان[2] العباسيين كانوا يهتمون بالعلوم، وقد بنى بعضهم المدارس، وأنشأ المكتبات العامة في حاضرتهم العِمادية ـ قلعة في شمالي الموصل ـ وأعمالها.

فالأمير غياث الدين قاسم بن بهاء الدين العباسي بنى مدرسة في العِمادية، وضم إليها خِزانة كتب عظيمة.

والأمير سلطان حسين العباسي جدد بناء إحدى المدارس في العِمادية، ووقف عليها خِزانة كتب نفيسة، كما أنشأ مدرسة بالعَقْر ـ وهي من أعمال إمارة بَهدينان ـ وجعل فيها مكتبة.

والأمير قُباذ ابن الأمير سلطان حسين بنى مدرسة في إحدى القرى التابعة للعِمادية، وجعل فيها خِزانة كتب.

---

(١) سيرة السلطان جلال الدين منكُبِرتي ١١٠.

(٢) لما دخل هولاكو إلى بغداد عام ٦٥٦ قضى على معظم العباسيين، وأسر البقية منهم إلى مَرَاغة، وفي سنة ٦٧١ أُطلق سراحهم فرجعوا إلى بغداد، وسكنوا فيها، وكان من بينهم ابن آخر الخلفاء العباسيين بالعراق المستعصم بالله وهو أبو المناقب مبارك الذي توفي سنة ٦٧٧، وقد عين السلطان التتري محمود غازان سنة ٧٠٣ ابن أبي المناقب أبا نصر محمداً أميراً على شمال العراق، واستطاع حفيد هذا الأمير وهو بهاء الدين بن منصور بن أبي نصر أن يؤسس إمارة بَهدينان العباسية التي بقيت نحو خمسة قرون ونصف، أي من القرن الثامن إلى سنة ١٢٥٩ عندما قضى العثمانيون عليها. وبهدينان كلمة كردية معناها آل بهاء الدين.

والأمير مراد خان ابن أخي الأمير سلطان حسين أنشأ مدرسة، وضم إليها مكتبة حسنة.

والأميرة، الصالحة، العابدة، زاهدة العباسية بنت الأمير أبـي نصر حفيد المستعصم بالله بنت مدرسة كبيرة في العِمادية، ووقفت عليها خِزانة كتب جليلة، وكانت هذه الأميرة تحب العلماء والشعراء وتقربهم.

(د) **عناية العلماء بإقامة المراكز العلمية**: لقد حرص العلماء كغيرهم على إنشاء المدارس والمكتبات، بل إنهم هم الذين شجعوا ملوك الدنيا على بناء دور العلم، وخَزائن الكتب، ولو أراد الباحث أن يذكر كل ما وقف عليه من جهد العلماء في هذا المضمار لطال الأمر كثيراً، ويكفي هنا أن أشير إلى عدد قليل منهم ـ كالمثال ـ لأنهم في الأصل لا يدخلون في مجال بحثي الذي يختص بالحكام دون غيرهم.

فالفقيه، الأديب، الشاعر، المصنف أبـو القاسم جعفـر بن محمد بن حمدان الموصلي، المتوفى سنة **٣٢٣** كان له بالموصل دار علم، تشتمل على مكتبة كبيرة وقفها على أهل العلم وطلبته.

والشريف، الزاهد، العالم أبو الحسن علي بن أحمد الزيدي، المتوفى سنة **٥٧٥** أنشأ خِزانة كتب عظيمة في مسجده ببغداد، ووقفها على أهل العلم، وقد شاركه في وقف الكتب رجلان، وتبعهما غير واحد من العلماء منهم ياقوت الحموي الذي وقف كتبه عليها.

والإمام الكبير، الفقيه أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة **٥٠٥** بنى في بلده طُوس مدرسة للفقهاء.

وغيرهم[١] الكثير.

فهذه لمحة موجزة عن اهتمام الحكام في بلاد المشرق برفع المستوى العلمي من خلال بنائهم لدور العلم، وإن أهل المشرق ـ كما مر ـ هم أول

---

(١) انظر كتاب علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي للدكتور ناجي معروف.

من ابتكروا فكرة المدارس، وإنهم أيضاً أول من وقفوا المكتبات، وذلك أن أول[1] دار للكتب وقفت في الإسلام كانت في البصرة.

وقد كانت المدارس والمكتبات منتشرة في البلاد المشرقية كلها، في بلاد ما وراء النهر، وخُراسان، والسِّند، والهند، والجبال، وأَذْرَبيجان، وفارس، والعراق، والمَوْصِل، وبلاد الروم، وغيرها. وكان أعظمها ذكراً في العصور المتأخرة قُبيل ورود التتار إلى ديار الإسلام، المدارس والمكتبات في البلاد الخُراسانية، قال ياقوت الحموي عند كلامه على مرو: «ولولا ما عرا من ورود التتر إلى تلك البلاد، وخرابها لما فارقتها إلى الممات، لما في أهلها من الرِّفْد، ولين الجانب، وحسن العِشرة، وكثرة كتب الأصول المتقنة بها، فإني فارقتها وفيها عشر خَزائن للوقف لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة، منها خِزانتان في الجامع إحداهما يقال لها العزيزية وقفها رجل يقال له عزيزالدين أبو بكر عتيق الزَّنْجاني أو عتيق بن أبي بكر... وكان فيها إثنا عشر ألف مجلد أو ما يقاربها، والأخرى يقال لها الكمالية لا أدري إلى من تنسب، وبها خِزانة شرف الملك المُسْتَوْفِي أبي سعد محمد بن منصور في مدرسته، ومات المستوفي هذا في سنة ٤٩٤ وكان حنفي المذهب، وخِزانة نِظام المُلْك الحسن[2] بن إسحاق في مدرسته؛ وخِزانتان للسمعانيين؛ وخِزانة أخرى في المدرسة العَمِيْدية؛ وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين بها؛ والخزائن الخاتونية في مدرستها، والضميرية في خانكاه هناك، وكانت سهلة التناول، لا يفارق منزلي منها مئتا مجلد وأكثر بغير رهن، تكون قيمتها مئتي دينار، فكنت أرتع فيها، وأقتبس من فوائدها، وأنساني حبها كل بلد، وألهاني عن الأهل والولد، وأكثر فوائد هذا الكتاب ـ (أي معجم البلدان) ـ وغيره مما جمعته فهو من تلك الخَزائن»[3].

---

(١) المنتظَم ٩/٣؛ الكامل ١٠/١٨٤.

(٢) هو الحسن بن علي بن إسحاق.

(٣) معجم البلدان ٥/١١٤ ـ ١١٥.

وكانت نيسابور أيضاً تحفل بمدارس كثيرة، ومكتبات عظيمة، ومن أهم مكتباتها خَزائن الكتب الوقفية في مسجد عُقيل.

(٢) دول الشام ومصر:

ـ الملوك والسلاطين:

(أ) **الدولة الحَمْدانية**: أسس سيف الدولة الحمداني مكتبة عظيمة في بلده حلب، احتوت على نوادر الكتب الأدبية وغيرها.

(ب) **الدولة العُبيدية**: إن من الإنصاف إعطاء هذه الدولـة الخبيثة، المارقة عن سَنَن الحق، حقها في مجال نشر العلوم، وبناء المعاهد العلمية، وإنشاء خَزائن الكتب، وقد قدَّمْت أن هذه الدولة مع ما اشتهر عنها من حب للعلوم فإنها حاربت علوم الآثار والأخبار التي عليها مدار الشريعة، وروَّجت علوم الأوائل الضالة، وشجعت البحث في متاهات الفلسفة التي لا توصل إلا إلى الزَّيْغ والمروق.

ولم يظهر اهتمام العبيديين بالعلوم، وإقامة المراكز العلمية قبل ورودهم القاهرة، فلما استولى قائد المُعِز لدين الله العُبيدي جَوْهر الصِّقِلِّي على مصر، بنى مدينة القاهرة، وبنى فيها الجامع الأزهر الذي كانت تعقد فيه المجالس العلمية لدراسة المذاهب الإسماعيلية والفلسفية، ولما تولى العزيز بالله بن المعز لدين الله الملك بعد أبيه جعل من هذا الجامع معهداً علمياً واسعاً، تدرس فيه جميع العلوم خلا الحديث والآثار.

ثم تولى الملك بعد العزيز ابنه الزنديق الملقب بالحاكم بأمر الله عليه لعنة الله فأنشأ[١] دار الحكمة التي كانت جامعة للعلوم، حيث اشتغل فيها

---

(١) لم يهتم العبيديون ببناء المدارس، ودور العلم كما هو حال أصحاب الدول الكبيرة، قال القَلْقَشَنْدي في صبح الأعشى ٣٦٢/٣ عند ذكر مدارس مصر: «وأما مدارسها: فكانت في الدولة الفاطمية وما قبلها قليلة الوجود بل تكاد أن تكون معدومة، غير أنه كان بجوار القصر دار تعرف بدار العلم، كان داعي الشيعة يجلس فيها، ويجتمع إليه من التلامذة من يتكلم في العلوم المتعلقة بمذهبهم».

جماعة كبيرة من العلماء في كثير من الفنون.

وقد برع العبيديون بإنشاء المكتبات، وخَزائن العلم الخاصة والعامة، فقد ألحق الحاكم بأمر الله بدار الحكمة مكتبة عظيمة، تحتوي على مجموعات كبيرة من الكتب، وسماها دار العلم.

كما كانت قُصور العبيديين تشتمل على خَزائن كبيرة من الكتب، قال القَلْقَشَنْدي: «ويقال: إن أعظم خَزائن الكتب في الإسلام ثلاث خَزائن:

إحداها: خِزانة الخلفاء العباسيين ببغداد...

الثانية: خِزانة الخلفاء الفاطميين بمصر، وكانت من أعظم الخزائن، وأكثرها جمعاً للكتب النفيسة من جميع العلوم... ولم تزل على ذلك إلى أن انقرضت دولتهم بموت العاضد آخر خلفائهم، واستيلاء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على المملكة بعدهم، فاشترى القاضي الفاضل أكثر كتب هذه الخزانة، ووقفها بمدرسته الفاضلية بدرْب مُلُوْخيًا بالقاهرة فبقيت إلى أن استولت عليها الأيدي فلم يبق منها إلا القليل»(١).

وقد أشار ابن أبي طي إلى عظم خَزائن العبيديين، ونفاسة محتوياتها فقال: «وكانت من عجائب الدنيا لأنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من الدار التي بالقاهـرة في القصر، ومن عجائبها أنه كان بها ألف ومئتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري، ويقال إنها كانت تحتوي على ألفي ألف وستمائة ألف كتاب، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة، وحصل للقاضي الفاضل قدر منها كبير، حيث شغف بحبها». انتهى نقلاً عن كتاب الروضتين(٢).

كما ألمع أبو شامة إلى سَعَة هذه الخزائن، واحتوائها على أمهات الأسفار

---

(١) صبح الأعشى ٤٦٦/١ ــ ٤٦٧.

(٢) ج ١ ق ٢ ص ٥٠٧.

فقال: «وكان فيها من الكتب الكبار، وتواريخ الأمصار، ومصنفات الأخبار ما يشتمل كل كتاب على خمسين أو ستين جزءاً مجلداً»[1].

(ج) **دولة بني عمار في طرابُلس الشام**: حكم بنو عمار الإسماعيليون طرابلس من قِبَل العبيديين فترة من الزمن انتهت بدخول الصليبيين إلى هذه المدينة، وقد بنوا داراً للعلم لنشر دعوتهم، وجعلوا فيها مكتبة عظيمة جمعت لهم من نواحي البلاد، وقد قدرت أعداد الكتب فيها بثلاثة آلاف ألف مجلد في مختلف الفنون، وقيل أقل من ذلك، وكانت تلك الدار تفتح طيلة الليل والنهار، يتناوب النساخ فيها العمل، وكان بها ١٨٠ ناسخ.

(د) **الدولة النورية**: لم يمنع قِصر مدة هذه الدولة من بلوغها الدرجة العالية في نشر العلم، وتشييد المعاهد، والمراكز العلمية، فأول ملوكها وهو الملك العادل نورالدين رضي الله عنه، بنى مدارس كثيرة للحنفية والشافعية في دمشق، وحلب[2]، وحماه، وحمص، وبَعْلَبَك، والمَوْصل، ومَنْبِج، والرَّحْبَة وغيرها، ووقف عليها مكتبات قيمة، وأوقافاً عظيمة، كما بنى دار الحديث بدمشق وهي من أعظم مدارسه، قال عزالدين بن الأثير: «وهو أول من بنى داراً للحديث فيما علمناه»[3]. وتبع ابنَ الأثير على قوله هذا المقريزيُّ[4].

---

(١) كتاب الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٦٨٦، وقد اشتملت هذه الخزائن على الكتب الجامعة للعلوم والفنون كالفقه على مختلف المذاهب، والنحو، واللغة، والحديث، والتواريخ، والسير، والفلسفة، والتنجيم، والروحانيات، والكيمياء، وغير ذلك. انظر: المواعظ والاعتبار ١/٤٠٨ ـ ٤٠٩.

(٢) فائدة: بنيت أول مدرسة في حلب سنة ٥١٧، وقد أنشأها صاحب حلب بدرالدولة سليمان بن عبدالجبار بن أُرْتُق.

(٣) التاريخ الباهر ١٧٢.

(٤) المواعظ والاعتبار ٢/٣٧٥، وقد اعترض الأستاذ المحقق الدكتور ناجي معروف على ابن الأثير ومن تبعه في زعمهم أن نورالدين أول من بنى داراً للحديث، فقال في كتابه علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي ٧٩: «أنشئت مدارس حديثية أيضاً قبل دار الحديث =

ومن مدارس نورالدين بدمشق أيضاً المدرسة الصَّلاحيـة التي نسبت لصلاح الدين الأيوبـي، والمدرسة العِمادية المنسوبة لعمادالدين إسماعيل بن نورالدين، والمدرسة النورية الصغرى، ومدرسة الكَـلاَّسة التي أحرقت وأعاد عمارتها صلاح الدين لمَّا ملك دمشق.

وقد أنشأ الملك الصالح إسماعيل بن نورالدين المدرسة النورية الكبرى، وقيل إن أباه قد ابتدأ بإنشائها.

(هـ) **الدولة الأيوبية**: أَوْلى الملوك الأيوبيون عظيم عنايتهم لنشر العلم والمعرفة، فأنشئوا المدارس والمكتبات، ووقفوا عليها الأوقاف العظيمة.

فأول وأعظم سلاطينهم وهو صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب عُني ببناء المدارس، فعندما كان وزيراً للعاضد العبيدي من قِبل نورالدين محمود بنى في القاهرة المدرسة الناصرية ووقفها على الشافعية، وقد ذكر المقريزي[1] أنها أول مدرسة عُملت بديار مصر، كما بنى في القاهرة في زمن الوزارة المدرسة المعروفة بالقَمْحية ووقفها على المالكية، ولما تولى المُلْك واستأثر بالسلطان بنى مدارس كثيرة في القاهرة، والشام، والقُدُس وغيرها، ومن أعظم هذه المدارس المدرسة السُّيُوْفِية في القاهرة، قال المقريزي: «وهي أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر»[2]. وبنى أيضاً المدرسة الناصرية بالقَرافة ــ وهي غير الأولى ــ والمدرسة الصلاحية بدمشق. وقد وقف صلاح الدين رحمه الله تعالى على مدارسه وقوفاً عظيمة.

= النورية بدمشق بأكثر من قرنين وثلث القرن». ووعد بأنه سيفرد مؤلفاً خاصاً في المدارس الحديثية، ولم يذكر تلك الدار الحديثية الأولى التي سبقت دار الحديث النورية بأكثر من قرنين، وأظنه قصد مدرسة ابن حبان التي في بُست.

وأشار الدكتور ناجي في ص١٥٣ من كتابه المذكور إلى دار للحديث بالموصل، كانت توجد تحت المدرسة المهاجرية، وقد نزل بهما موفق الدين عبداللطيف البغدادي سنة ٥٨٥.

(١) المواعظ والاعتبار ٢/٣٦٣، فإن قصد المقريزي بديارِ مصر القاهرة، استقام له الكلام، وإلا فإن وزير العبيديين ابن السَّلَّار السُّني بنى مدرسة للشافعية في الإسكندرية كما سيأتي.

(٢) المصدر السابق ٢/٣٦٦.

كما أنشأ الملك العادل أخو صلاح الدين ملك مصر والشام مدرسة بمصر، وإليه تنسب المدرسة العادلية الكبرى بدمشق التي بدأ بإنشائها نورالدين محمود، ثم بنى فيها الملك العادل، ولما توفي أتم بناءها ابنه الملك المعظم.

وبنى الملك الكامل محمد بن العادل ملكُ مصر دار الحديث الكاملية في القاهرة، قال المقريزي: «وهي ثاني دار عملت للحديث، فإن أول من بنى داراً على وجه الأرض الملك العادل نورالدين محمود»[1].

وبنى الملك الأشرف موسى بن العادل ملك دمشق دار الحديث الأشرفية بدمشق، ووقف عليها الأوقاف الجليلة، وضم إليها مكتبة نفيسة، كما بنى داراً للحديث بسفْح قاسِيون.

ووقف الملك الصالح إسماعيل بن العادل ملك دمشق مدرستين ببلده، إحداهما للحديث والإقراء، والأخرى تسمى الصالحية.

كما أنشأ الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ملكُ مصر والشام مدرسة بدمشق، كان قد ابتدأ بتأسيسها أخوه الملك الأفضل.

وأنشأ الملك العزيز عثمان بن العادل صاحبُ بانِياس والحصون المدرسة العزيزية بدمشق.

وشَيَّد الملك المعظم عيسى بن العادل المدرسة المعظمية بدمشق.

وبنى الملك المعز بن طُغْتِكين بن أيوب صاحب اليمن مدرسة بزَبِيْد.

ووقف الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحبُ حلب المدرسة الظاهرية بدمشق.

كما وقف الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن الأمير نجم الدين

---

(١) المواعظ والاعتبار ٢/٣٧٥. وانظر: الحاشية الرابعة من صفحة ٩١.

أيوب صاحبُ حماه ــ وهو ابن أخي صلاح الدين ــ المدرسة المعروفة بمنازل العز في القاهرة، ومبنى منازل العز هو من أبنية العبيديين ومنتزهاتهم، اشتراه الملك المظفر ووقفه. كما بنى المظفر المدرسة التَّقوية وهي من أعظم مدارس دمشق، وله مدرسة كبيرة بحماه، ومدرستان بالفَيُّوم، ومدرسة بالرُّها.

وبنى الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ملكُ مصر مدرستين عظيمتين بالقاهرة وهما المدرسة النَّجمية، والمدرسة الصالحية، وكانت الأخيرة قلعة للعلماء، وقد وقفها الصالح على فقهاء المذاهب الأربعة. قال المقريزي: «وهو أول من عمل بديار مصر دروساً أربعة في مكان»[1].

وبنى الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز ابن الملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب مدرستين بدمشق إحداهما دار حديث، وسميت كل واحدة بالناصرية.

كما بنى الملك المنصور ناصرالدين محمد ابن الملك المظفر صاحبُ حماه مدرسة عظيمة في بلده، وقف عليها أوقافاً جليلة، وكان للمنصور خِزانة كتب ضخمة.

ووقف الملك المظفر نورالدين عمران ابن الملك الأمجد صاحبُ بَعْلَبَك المدرسة الأمجدية بدمشق.

(و) **دولة بني رسول في اليمن**: اهتم بعض ملوك هذه الدولة بالعلم، وأقاموا المعاهد والمكتبات، وشجعوا العلماء، فأحد ملوكهم وهو الملك المؤيد عزيزالدين داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول أنشأ لنفسه خِزانة كتب كبيرة، اشتملت على مئة ألف مجلد. وكان هذا الرجل عالماً متفنناً.

(ز) **الدولة المماليكية**: حرص السلاطين المماليك كأسلافهم الأيوبيين

---

(١) المواعظ والاعتبار ٢/٣٧٤. وقد سبق في ص ٤٧ أن الخليفة المستنصربالله العباسي هو أول من جمع الدروس الأربعة في مدرسة واحدة.

على رفع المستوى العلمي في بلادهم فبنوا المدارس، وأنشئوا المكتبات، وشجعوا العلوم.

فأول سلاطينهم وهو الملك المعِز أَيْبَك التُّرْكُماني بنى المدرسة المعزِّيَّة بالقاهرة.

والملك الظاهر ركن الدين بِيبرس العَلائي البُنْدُقْداري عمر المدرستين الظاهريتين الشهيرتين، إحداهما بالقاهرة، وهي من أعظم مدارس مصر، جعلها للشافعية والحنفية، كما جعل فيها مشيخة للحديث، ومارستاناً، وضم إليها مكتبة عظيمة جداً. والأخرى بدمشق وقفها مدرسة ودار حديث.

والملك المنصور قلاوون أنشأ عدة مدارس، أعظمها المدرسة المنصورية بالقاهرة، وجعل فيها دروساً للمذاهب الأربعة، ودوراً للحديث، والتفسير، والطب، وهي من أحسن مدارس مصر والشام، وقد وقف عليها قلاوون خِزانة كتب جليلة.

والملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون بنى مدرسة بالقاهرة.

والملك الناصر محمد بن قلاوون أتم بناء المدرسة الناصرية بالقاهرة، التي بدأ بإنشائها السلطان كَتْبُغا المنصوري، ووقف عليها خِزانة كتب حسنة.

والملك المظفر بِيْبرس بن عبدالله الجاشْنَكِيْر المنصوري أنشأ في الجامع الحاكمي بالقاهرة خِزانة كتب عامرة.

والملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون بنى مدرسة كبيرة بالقاهرة، تشتمل على أربعة مدارس، لكل شيخ مذهب مدرسة تختص به، قال ابن إياس فيها: «لم يعمر مثلها في الإسلام»[1].

والملك الظاهر بَرْقوق الجَرْكسي أنشأ مدرسة بالقاهرة، وجعل فيها دروساً

---

(١) بدائع الزهور ١/٢٠٤.

للمذاهب الأربعة، ودرساً للتفسير، وآخر للحديث، وآخر للقراءات، ووقف عليها أوقافاً عظيمة، قال ابن تَغْري بَرْدي: «لم يعمر مثلها بين القصرين»[1].

والملك الناصر فَرَج بن الظاهر برقوق عَمَّر مدرسة بالقاهرة.

والملك المؤيَّد شيخ بن عبدالله المحمودي الظاهري أودع في الجامع المحمودي الذي بناه في القاهرة خِزانة كتب كبيرة تحتوي على نفائس الأسفار.

والملك الأشرف بَرْسْبَاي الدُّقْماقي الظاهري بنى ثلاث مدارس بالقاهرة.

والملك الأشرف سيف الدين إينال بن عبدالله العلائي بنى مدرسة بمصر.

والملك الأشرف قايِتْباي المحمودي الظاهري أنشأ المدارس الكثيرة في القاهرة، ومكة، والمدينة، وبيت المقْدِس، وغزة، ودمياط، والإسكندرية.

والملك الأشرف قانْصُوه الغُوري الأشرفي أنشأ مدرسة عظيمة في القاهرة، ومدرسة أخرى بمكة.

وكان يوجد في قلعة الجبل بالقاهرة ـ وهي مركز السلاطين المماليك ـ مكتبة كبيرة.

ـ **الوزراء والأمراء والكبراء:**

(أ) **الدولة العبيدية الخبيثة**: كان يعقوب بن كِلِّس وزير ملكها العزيزبالله يملك خزانة عظيمة من الكتب، وكان هذا الوزير عالماً مصنفاً يحب العلماء ويقربهم.

ووزير هذه الدولة أيضاً ابن السَّلَّار السُّني بنى مدرسة للشافعية بالإسكندرية وأسند مشيختها للحافظ السِّلفي.

---

(1) النجوم الزاهرة ١١٣/١٢، ومن أهم المدارس التي بنيت بين القصرين في القاهرة دار الحديث الكاملية، والمدرسة الصالحية التي بناها الملك الصالح بن الكامل الأيوبي، والمدرسة الظاهرية، والمدرسة المنصورية، وغيرها.

وكذلك فإن صلاح الدين الأيوبي وزير العاضد العبيدي من قبل نورالدين محمود بنى في القاهرة المدرستين الناصرية، والقَمْحية كما سبق.

والمدارس السنية المذكورة لا يمكن بناؤها في هذه الدولة الرافضية لولا ضعفها، وقلة حيلتها.

(ب) **الدولة السَّلجوقية**: أنشأ أحد أمرائها وهو شجاع الدولة صادر بن عبدالله المدرسة الصادرية بدمشق، قال النُّعَيْمي: «قال القاضي عزالدين: وهي أول مدرسة أنشئت بدمشق سنة إحدى وتسعين وأربع مئة»[1]

ثم أنشأ أمين الدولة كمشتكين والي أتابِكية عسكر دمشق من قبل الأمير الأتابِك طُغْتِكِين السَّلجوقي المدرسة الأُمينية في دمشق: «قيل إنها أول مدرسة بنيت بدمشق للشافعية»[2]. كما بنى أمين الدولة مدرسة ببُصْرى.

(ج) **الدولة النورية**: قام صلاح الدين نائب الملك العادل نورالدين على مصر، ووزير العاضد العبيدي ببناء بعض المدارس، كما وقف الملك الكبير المنصور أسدالدين شِيركوه بن شادي ملك الرَّحْبَة وحمص، وأحد قواد نورالدين، ووزير العاضد العبيدي من قبل نورالدين المدرسة الأَسَدية بدمشق. ووقف الأمير الكبير مجاهدالدين الكردي أحد مقدمي جند نورالدين

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس ٥٣٧/١.

(٢) المصدر السابق ١٧٨/١.

فائدة: كانت دمشق، وبيت المقْدِس أكثر المدن الشامية مدارس، ومعاهد علمية، وقد ألفت في ذلك كتب وبحوث. ولم تكن المدن الشامية الأخرى خالية من ذلك، بل وجد فيها كثير من المدارس والمكتبات. قال القَلْقَشَنْدي في صبح الأعشى ١٠٩/٤ لما ذكر بَعْلَبك: «قال في مسالك الأبصار: بها المساجد، والمدارس، والرُّبُط، والخوانق، والزوايا، والبِيْمارَسْتان» وعندما ذكر حلب ١١٦/٤ قال: «قال في مسالك الأبصار: وهي مدينة عظيمة... ذات جوامع، ومساجد، ومدارس، وخوانق، وزوايا وغير ذلك من سائر وجوه البِر، وبها بِيْمارَسْتان حسن لعلاج المرضى». ولما ذكر حماه ١٤٠/٤ قال: «وبها القصور الملكية والدور الأنيقة، والجوامع، والمساجد، والمدارس، والرُّبط، والزوايا» ولما ذكر طرابُلُس ١٤٣/٤ قال: «بها مساجد، ومدارس، وزوايا، وبِيْمارَسْتان».

مدرسة بدمشق، ووقف خادم نورالدين ريحان الطَّواشِي المدرسة الريحانية بدمشق، ووقفت زوجة نورالدين مدرسة بدمشق أيضاً، كما بنت فيها مدرسة زوجةُ والد نورالدين السَّلجوقية.

(د) **الدولة الأيوبية**: اهتم الوزراء، والأمراء، والأعيان في هذه الدولة بإنشاء المعاهد العلمية، ودور الكتب.

فوزير صلاح الدين القاضي الفاضل عبدُالرحيم بن علي البَيْساني العَسْقلاني ثم المصري بنى المدرسة الفاضلية بالقاهرة، قال المقريزي: «وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة، وأجلها»[1]، وقد ضم القاضي إليها مكتبة عظيمة بلغ عدد كتبها ـ فيما قيل ـ **١٢٤٠٠٠** مجلد، معظمها مأخوذ من خَزائن القصور العبيدية. وكان القاضي الفاضل يهتم بجمع الكتب، وقد بعث الرسل إلى النواحي لابتياعها واستنساخها.

كما بنى القاضي الفاضل مدرسة بدمشق عرفت أيضاً بالفاضلية.

وأنشأ مجدالدين البَهْنَسي وزير الملك الأشرف موسى بن العادل مدرسة بصالحية دمشق، وضم إليها خِزانة كتبه.

كما أنشأ الصاحب عزالدين بن القَلانِسي وزير الأيوبيين داراً للحديث بصالحية دمشق.

وأنشأ الصاحب صفي الدين عبدالله بن علي بن شُكْر وزير الأيوبيين المدرسة الصاحبية بالقاهرة، ووقف بها خزانة كتب.

وكان لكل من الوزيرين جمال الدين القِفْطي، وأمين الدولة أبي الحسن بن غَزال السَّامري مكتبة عظيمة، تحتوي على نفائس الكتب، كما وقف ابن غَزال مدرسة ببَعْلَبك.

وقد أنشأ قاضي حلب بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع المعروف

---

(١) المواعظ والاعتبار ٢/٣٦٦.

بابن شداد أحد كبار الأعيان في الدولة الأيوبية مدرستان في حلب، جعل إحداهما دار حديث.

وقد أنشأ عدد من أمراء الأيوبيين المعاهد، والمدارس في مصر والشام وغيرهما من بلاد الدولة الأيوبية، كالأمير علم الدين سَنْجر المعظمي، والأمير صارم الدين قايْماز، والأمير جِهاركس الصلاحي نائب العادل على بانِياس والشَّقِيف، والأمير فخرالدين بن الزنجيلي نائب عَدَن، والأمير عزالدين أَيْبَك المعظمي نائب صَرْخَد، والأمير ركن الدين منكورس الفلكي، والأمير جمال الدين آقوش الصالحي، كلهم في دمشق، والأمير الشريف فخرالدين أبو نصر الجعفري، والأمير فخرالدين أحد أمراء الملك الكامل، والأمير سيف الدين أيازكوج، والأمير قطب الدين بن بلبل في مصر.

كما وقف محتسب دمشق من قِبل الأيوبيين محمد بن عقيل بن كروس داراً للحديث بدمشق.

وقد حرصت النساء، وأزواج الملوك من بني أيوب على تشييد المراكز العلمية، فوقفت كل من بنتي الملك العادل، والملك المعظم بن العادل، وأختي صلاح الدين زُمرد، وربيعة[1]، وزوجة الملك المعظم مدرسة بدمشق، كما بَنَتْ بِنت العادل المذكورة مدرسة بالقاهرة، وأخرى بحلب.

(هـ) **الدولة المماليكية**: تنافس وزراء هذه الدولة، وأمراؤها، وأعيانها في التقرب من العلماء، وفي تشييد دور العلم، وخَزائن الكتب.

فالأمير جمال الدين محمود بن علي الإسْتَدَّار بنى بالقاهرة سنة ٧٩٧ المدرسة المحمودية، وجعل فيها خِزانة كتب جليلة، وقد قال المقريزي في هذه المدرسة: «وعمل ــ (أي واقفها) ــ فيها خِزانة كتب لا يعرف اليوم بديار مصر، ولا الشام مثلها، وهي باقية إلى اليوم لا يخرج لأحد منها كتاب إلا أن

(١) وهي زوجة صاحب إربل مظفرالدين كُوكُبُوري. ومدرستها بسفح قاسِيون.

يكون في المدرسة، وبهذه الخِزانة كتب الإسلام من كل فن، وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر»[1]، وقال الحافظ ابن حجر في كتب خِزانتها: «وهي من أنفس الكتب الموجودة الآن بالقاهرة»[2].

والأمير الكبير، الوزير بهاءالدين علي بن حنا بنى مدرسة كبيرة بالقاهرة، قال المقريزي: «وكانت من أجل مدارس الدنيا، وأعظم مدرسة بمصر»[3]، وجعل فيها خِزانة كتب جليلة.

والأمير الكبير سيفالدين الجاي أنشأ مدرسة عظيمة بالقاهرة، وجعل فيها خِزانة كتب.

والأمير، الوزير علاءالدين مُغْلَطاي الجمَّالي أنشأ المدرسة الجمَّالية بالقاهرة، ووقفها على الحنفية، قال المقريزي: «وتعد من أجل مدارس القاهرة»[4].

والأمير تَنْكِز نائب الشام أنشأ دار قرآن وحديث بدمشق، ودار حديث بالقُدُس، وجدد عمارة بعض المدارس.

---

(١) المواعظ والاعتبار ٢/٣٩٥. وكتب الخِزانة المحمودية كانت للقاضي برهانالدين بن جَمَاعة فاشتراها الإِسْتَدَّار جمالالدين محمود من تَرِكة ولده. وكان القاضي برهانالدين مُوْلَعاً بتحصيل الكتب، وجمعها، واقتنائها قال فيه الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة: «واقتنى من الكتب النفيسة بخطوط مصنفيها وغيرهم ما لم يتهيأ لغيره».

وقد تولى الإشراف على المكتبة المحمودية هذه سِراجالدين أبو حفص عمر بن رَسْلان البُلْقِيْني، ثم عُزل بفخرالدين عثمان البكري المعروف بالطاغي الذي عُزل أيضاً سنة ٨٢٦ واستقر مكانه الحافظ ابن حجر. وكان سبب عزل البُلْقِيْني والطاغي هو تفريطهما في حفظها، فقد نقصت في زمن البُلْقِيني ثلاثين ومئة مجلد، وفي زمن الطاغي أربع مئة مجلد، مع أن الواقف شرط أن لا يخرج شيء من كتبها عن نِطاق المدرسة.

إنباء الغُمْر ٤/٨ ــ ٥؛ الدرر الكامنة ١/٤٠، ٥/٩٧؛ الضوء اللامع ٥/١٤٣؛ وانظر: بذل المجهود في خِزانة محمود ١٣٤ ــ ١٣٦.

(٢) إنباء الغُمْر ٤/٨.

(٣) المواعظ والاعتبار ٢/٣٧١.

(٤) المصدر السابق ٢/٣٩٢.

والأمير علم الدين سَنْجر الدَّوَيْدار بنى مدرسة ودار حديث بدمشق.

والأمير سيف الدين مَنْكُوْتَمُر الحُسَامي نائب السلطنة بمصر بنى مدرسة، وجعل فيها خِزانة كتب.

والأمير سعدالدين بشير أنشأ مدرسة بالقاهرة، ووقف عليها خِزانة كتب.

والأمير الطَّواشِي سابق الدين أنشأ مدرسة بالقاهرة، ووضع فيها خِزانة كتب.

والأمير علاء الدين طَيْبَرْس أنشأ مدرسة بالقاهرة، وضم إليها خِزانة كتب.

والأمير شرف الدين عيسى الهَكَّارِي أنشأ داراً للحديث بالقُدُس.

كما وقف عدد آخر من أمراء المماليك مدارس في مصر، ودمشق. فممن وقف بدمشق الأمير ناصرالدين محمد ابن الأمير مبارك، والأمير نائب الشام قَجْماس الإسحاقي، والأمير سيف الدين مَنْجَك، وغيرهم. وفي مصر الأمير علاء الدين أَقْبُغا عبدالواحد، والأمير حسام الدين طُرُنْطَاي نائب السلطنة بمصر، والأمير شمس الدين قراسُنْقر نائب السلطنة بمصر، والأمير صلاح الدين خليل بن عَرَّام نائب المماليك بالإسكندرية، والأمير سيف الدين طُغْجي، والأمير علم الدين سَنْجر الجاولي، والأمير شمس الدين الفارقاني، وغيرهم.

وقد أنشأت تتر الحجازية ابنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون مدرسة بمصر، ووقفت عليها خِزانة كتب حسنة.

وكان يوجد بدمشق في عهد المماليك دوراً للحديث[1] كثيرة أوقفها العلماء، والتجار، والأغنياء وغيرهم كدار الحديث السكرية ودار الحديث القُوْصية ــ وقد بقيت من عهد الأيوبيين ــ ودار الحديث السَّامِريّة، ودار الحديث الحمصية، ودار الحديث الشقيقية، ودار الحديث العُرْوية وبها خِزانة كتب، ودار الحديث النَّفِيْسِيَّة، ودار الحديث البَهَائية.

---

(١) جمع ابن طُوْلُون جزءاً ذكر فيه دور الحديث بدمشق.

ـ **العلماء**: ليس ذكر اهتمام العلماء بإقامة المراكز العلمية من شرطي ـ كما سبق ـ ولكنني أذكر منهم هنا رجلين فقط عاشا في عهد الدولة الأيوبية، وكان لهما دور بارز في هذا المضمار وهما:

(١) الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي أخو الإمام موفق الدين، الذي أنشأ مدرسة بصالحية دمشق، وقد اعتنى بهذه المدرسة العلماء والناس من بعده فكانوا يزيدون في بنائها وأثاثها حتى صارت من أعظم المدارس في بلاد الإسلام، ووقف أبو عمر عليها مكتبة عظمت كثيراً من بعده أيضاً لأن العلماء كانوا يكثرون من وقف الكتب عليها.

وقد بقي من هذه المكتبة جملة كبيرة توجد الآن في المكتبة الظاهرية بدمشق.

(٢) والحافظ الكبير ضياء الدين محمد بن عبدالواحد المقدسي الذي أنشأ بصالحية دمشق المدرسة الضيائية، ووقف عليها خِزانة كتب جليلة، كثير منها بخطه.

(٣) دول المغرب والأندلس:

ـ الخلفاء والملوك:

(أ) **الأندلس**: عُني الخلفاء والملوك الأندلسيون عناية فائقة بنشر العلم والمعرفة في ربوع جزيرتهم الواسعة، فبنوا المعاهد العلمية، وأنشئوا المكتبات العظيمة، وشجعوا العلماء.

فالأمير عبدالرحمٰن بن الحكم بن هشام الأُموي شغف بجمع الكتب، وبعث الرسل إلى المشرق لانتقائها، وابتياعها، واستنساخها، حتى أنشأ في قصر قرطبة مكتبة كبيرة كانت حينئذ أجل مكتبات الأندلس، ويعتبر ابن الحكم هذا أول أمراء الأندلس الذين اعتنوا بجمع الكتب.

وقد سار على منواله في هذا الشأن الخليفة الناصر عبدالرحمٰن بن

محمد بن عبدالله، فأثرى مكتبة القصر بمجموعات كبيرة من الكتب جُمعت له من الآفاق.

ثم تولى الملك من بعده ابنه الخليفة الحَكَم المستنصر بن عبدالرحمن بن محمد فتقدمت في عهده الحركة العلمية تقدماً عظيماً لم يعهد من قبل في الأندلس، فقد أنشأ المدارس الكثيرة، حتى صار معظم أهل قرطبة متعلمين، وشغف بجمع الكتب شغفاً لم يبلغه أحد من أسلافه، فقد أرسل الوفود الكثيرة إلى دمشق، وبغداد، والقاهرة، وخُراسان وغيرها من البلاد ينتقون له الكتب، ويشترونها، كما كان له وراقون في كثير من مدن المشرق يستنسخون له الكتب النفيسة، والأسفار الثمينة، حتى استطاع أن يجعل مكتبة القصر في قرطبة من أعظم مكتبات الدنيا، وكان كثير من علماء الشرق والغرب يهدون كتبهم للحكم المستنصر لما يرون من علمه، وحبه للكتب، وقد قُدر عدد الأسفار في مكتبة القصر القرطبي بـ ٤٠٠٠٠٠ وقيل ٦٠٠٠٠٠ مجلد.

وقد أشار القَلْقَشَنْدي إلى عظم هذه المكتبة فقال: «ويقال إن أعظم خَزائن الكتب في الإسلام ثلاث خَزائن:

إحداها: خِزانة الخلفاء العباسيين ببغداد...

الثانية: خِزانة الخلفاء الفاطميين بمصر...

الثالثة: خِزانة خلفاء بني أمية بالأندلس، وكانت من أجل خَزائن الكتب أيضاً، ولم تزل إلى انقراض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس، فذهبت كتبها كل مذهب»[1].

أما ملوك الطوائف فقد اهتموا كثيراً بإنشاء المراكز العلمية، وخاصة المكتبات.

ففي إِشْبِيْلِيَة كانت مكتبة بني عَبَّاد العظيمة.

وفي بَطَلْيَوْس كانت مكتبة المظفر بن الأفطس الزاخرة بنفائس الأسفار.

---

(١) صبح الأعشى ٤٦٧/١.

وفي طُلَيْطِلة كانت مكتبة بني ذي النون الجليلة.

وفي منطقة المَرِيَّة وُجدت المكتبات القيمة، وكذلك في سائر مدائن الأندلس.

واهتم بهذا الأمر أيضاً بنو الأحمر ملوك غَرناطة.

(ب) **المغرب**: حرص الخلفاء والملوك في المغرب على إقامة المعاهد والمكتبات، فأبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن صاحب الدولة الموحدية أنشأ في مَرَّاكُش مكتبة عظيمة. وملوك المَرِيْنيون بنوا المدارس الكثيرة، وشجعوا الحركة العلمية.

ـ **الوزراء والأمراء**: لقد قيض الله سبحانه وتعالى لبلاد الأندلس وزراء نابهين، وحجاباً صالحين، وأمراء نجباء، ساعدوا على رفع المستوى العلمي في بلادهم، ومن أجلّ هؤلاء الحاجب المنصور (محمد بن أبي عامر) أعظم وزراء الأمويين في الأندلس، الذي أنشأ دور العلم بقرطبة، وبالغ في الإنفاق عليها، وتكريم أهلها من علماء وطلبة، وكان رحمه الله تعالى محباً للعلم والمعرفة، يؤثر علوم الشرائع والعربية، ويبغض علوم الأوائل، وقد استخرج من مكتبة القصر كتب الفلسفة التي جمعها الحكم المستنصر وأحرقها فجزاه الله خير الجزاء، وكان مغرماً بجمع الكتب، له خِزانة كتب عظيمة تشتمل على أمهات الأسفار ونفائسها.

وقد تنافس الأمراء والأعيان في قرطبة، وخاصة في عهد الحكم المستنصر، في تأسيس المكتبات في دورهم، حتى غدت أسواق الكتب في قرطبة من أعظم الأسواق الكتبية وأحفلها في العالم.

وقد قيل إنه كان يوجد في الأندلس حوالي ٧٠ مكتبة عامة.

وكان يوسف بن نغرالة اليهودي أحد وزراء بني مَنَاد البربر في غَرناطة جمّاعة للكتب، أنشأ لنفسه مكتبة عظيمة.

الفقرة الثانية:

أسباب ضعف الحركة العلمية في ديار الإسلام

تختلف وجهات نظر الباحثين في تحديد بدء ضعف الحركة العلمية في ديار الإسلام لاختلاف مشاربهم، فالباحثون المسلمون الواعون يرجعون ذلك إلى عهد المأمون العباسي الذي نشر علوم الزنادقة والفلاسفة في قلب المجتمع الإسلامي. أما الباحثون الآخرون فإنهم يجعلون بدء الضعف من وقت تدمير المنشآت العلمية من معاهد، ومدارس، ومكتبات، وقتل العلماء على يد الصليبيين، والتتار، وغيرهم.

والرأي الثاني لا يرفضه بكامله أصحاب المذهب الأول، إنما يرفضون منه جعله قاعدة البدء، ولا أريد الخوض في جميع عوامل ضعف الحركة العلمية عند المسلمين، وإنما أتكلم عن عاملين أساسيين فقط ـ مضت الإشارة إليهما ـ وهما:

(١) جَلْب علوم الأوائل الفاسدة إلى ديار المسلمين، وانصراف كثير من العلماء إليها.

(٢) نَكْبة المسلمين في أنفسهم، وبلادهم، ومراكزهم العلمية من أعدائهم الكفرة، والمنتسبين للإسلام، ونكبتهم في ذلك أيضاً عند تغيّر دولهم، ونكبتهم أيضاً عند حلول قوارع الزمن.

فالعامل الأول: كان له أثر كبير في وهن البنيان السليم للحركة العلمية

في بلاد المسلمين، لأنه أراد تغيير مسارها الطبيعي إلى حيث الجدليات العقيمة، والمخاضات المهلكة، والغياهب المتلفة التي شتتت أفكار المسلمين، وأوقعت بينهم العداوة والبغضاء. فبدل أن ينصرف جميع طلبة العلم إلى تعلم العلوم الشرعية، والعربية، والتاريخية، وعلوم الطب، والهندسة وما إلى ذلك من علوم نافعة تقيم الحضارة، وترفع من شأن المجتمعات، راح الكثير منهم يتخبطون في دراسة نظريات أرسطو، وأفلاطون المظلمة التي تفسد العقائد، وتضل الأذهان.

وقد حُكي أن ملوك الروم لما دخلوا في النصرانية جمعوا كتب الفلاسفة من نواحي ممالكهم، ووضعوها في مخازن سرية موصدة كي لا يطلع عليها أحد من الناس، خوفاً من فساد المعتقد، وذهاب الدين، لكن يحيى بن خالد البرمكي الفارسي الزنديق أحد وزراء العباسيين طلب من ملوك الروم تلك الكتب فبذلوها إليه، وإلى المأمون من بعده، لا يريدون بذلك إلا إضلال المسلمين، وتحويلهم عن دينهم القويم.

أما **العامل الثاني**: فيمكن تفصيل الكلام فيه من خلال تقسيمه إلى عدة نقاط، وهي: نوائب التتار، وقواصم الصليبيين، وقوارع الباطنيين، ومهالك العابثين المفسدين، وتبدل دول المسلمين، وحوالك الزمان.

(١) نوائب التتار:

لم تُرْزَأ أمة من أمم الأرض قاطبة بمثل تلك الرَّزيئة المهُولة التي فُجع بها المسلمون عند دخول التتار إلى بلادهم، فقد أهلك هؤلاء الكفرة الحَرْث والنسل، وعم فسادهم السهل والوَعْل، وجعلوا مدن الإسلام المشرقية خراباً يَبَاباً، بعد أن كانت آمنة مطمئنة، وعامرة مخضرة، فدمروا عمرانها، ونهبوا أموالها وثرواتها، وقتلوا رجالها، واسترقوا صبيانها، واستحيوا نساءها، وجعلوها كأن لم تكن.

وكان ياقوت الحموي ممن عاين هذه الفاجعة المُرَوِّعة، وشاهد

شدائدها، وعايش وقائعها حيث كان بخُوارَزم، ولما وصل إلى المَوْصل هارباً، كتب إلى الوزير في حلب القاضي جمال الدين أبي الحسن القِفْطي رسالة بليغة طويلة، يصف فيها حاله، وحال البلاد التي عدا عليها التتار، وعاثوا فيها الفساد، ومن جملة ما فيها: «. . . إلى أن حدث بخراسان ما حدث من الخراب، والويل المُبير والتَّباب، وكانت لعَمْر الله بلاداً مُونقة الأرجاء، رائعة الأنحاء، ذات رياض أَرِيْضة، وأهوية صحيحة مَرِيْضة، قد تغنت أطيارها، فتمايلت طرباً أشجارها، وبكت أنهارها، فتضاحكت أزهارها، وطاب رَوْح نسيمها، فصح مِزاج إقليمها. . . وجملة أمرها أنها كانت أُنموذج الجنة بلامَيْن، فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ العين، قد اشتملت عليها المكارم، وارْجَحَنَّت في أرجائها الخيرات الفائضة للعالم، فكم فيها من حَبْر راقت حِبَرُه، ومن إمام تَوَّجت حياة الإسلام سِيَرُه، آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبة، وفضائلهم في محاسن الدنيا والدين محسوبة. . . أطفالهم رجال، وشبابهم أبطال، ومشايخهم أبدال، شواهد مناقبهم باهرة، ودلائل مجدهم ظاهرة. . . فجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والإلحاد، وتحكم في تلك الأبشار أولو الزَّيْغ والعِناد، فأصبحت تلك القصور، كالممحوّ من السطور، وآضت تلك الأوطان، مأوى الأصداء والغِرْبان، تتجاوب في نواحيها البُوم، وتتناوح في أراجيها الريح السَّموم. . . فإنا لله وإنا إليه راجعون من حادثة تقصم الظهر، وتهدم العمر، وتفت في العَضُد، وتُوهي الجلْد، وتضاعف الكَمَد، وتشيب الوليد. . . وجملة الأمر أنه لولا فُسْحة في الأَجَل، لعز أن يقال سلم البائس ـ (يقصد ياقوت نفسه) ـ أو وَصَل، ولصَفَق عليه أهل الوِداد صَفْقَة المَغْبون، وألحق بألف ألف ألف ألف هالك بأيدي الكفار أو يزيدون. . . »[1] انتهى.

فهذه صورة وجيزة صادقة عن حال تلك البلاد قبل خروج التتار، وما آلت

---

(١) وفيات الأعيان ٦/١٣٤ ـ ١٣٧.

إليـه بعد هجمتهم البئيسـة، وانقضاضهم عليهـا كانقضـاض الذئب على الفريسة.

وقد أسهب أيضاً المـؤرخ عزالدين بن الأثير في وصف هول هذه الوقعة التي عاصرها، ولابس أخبارها، وشافه عدداً ممن ذاق مرارتها، وإليك بعض وصفه المجمل: «فلو قال قائل: إن العالَمَ مذ خَلَق الله سبحانه وتعالى آدم، وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها. . . ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج، وأما الدجال فإنه يُبْقي على من اتبعه، وَيُهْلك من خالفه، وهـؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء، والرجال، والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنّة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

وقد سبق في هذه المقدمة شرح حال التتار، ودخولهم المَهِيل إلى بلاد الإسلام، وما اقترفوا فيها من عظائم، وما اجترحتـه أيديهم من سيئـات، فلا داعي لإعادته، إلا ما تمس حاجة البحث إليه من بيان إعدامهم للعلماء، وتدميرهم للمعاهد العلمية، وإحراقهم للمكتبات، وإتلافهم لها.

فعندما تمكن جنكيزخان من بلاد ما وراء النهر، وضع السيف في رقاب أهلها حتى استأصلهم، وفيهم ما لا يحصى من الأئمة، والعلماء الأفذاذ الذين طار ذكرهم في الآفاق، وضربت إليهم آباط الإبل من كل مكان.

ولم يقنع جنكيزخان وقبيله بهذا الأمر، بل أرادوا أن يمحوا كل أثر للإسلام في تلك الديار، ويزيلوا منها كل معلم يشهد بحضارة المسلمين، وينطق بمآثرهم، فعمدوا إلى المدارس، والمساجد، ودور العلم فطمسوا آثارها، وخربوا عمرانها، وجعلوها قاعاً صفصفاً، ثم أضرموا النار في خَزائن الكتب العامرة حتى صارت رماداً تذروه الرياح.

---

(١) الكامل ٣٥٨/١٢ ـ ٣٥٩.

وتقدم التتار بعد ذلك ـ بأمر من ملكهم جنكيزخان ـ إلى بلاد خُوارزم، وبلاد خُراسان الواسعة، وبلاد الجبال، وبلاد أَذْرَبيجان، وبلاد أَرَّان، وغيرها ففعلوا فيها مثل ما فعلوه في بلاد ما وراء النهر. ولا يشعر بعظم هذه المصيبة القاصمة إلا من علم ما كانت تشتمل عليه تلك البلاد من مدن وقرى كثيرة عامرة، وما كانت تحويه هذه المدن والقرى من خلق عظيم لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، وما كان في هذا الخلق من علماء الدين، وأئمة المسلمين، وأحبارهم الذين تعجز الأسفار العظيمة عن الوفاء بأسمائهم فضلاً عن تراجمهم.

وليست هذه وحدها حادثة التتار، بل إنهم لعنهم الله تقدموا في عهد ملكهم هولاكو إلى عاصمة الإسلام، وقاعدة الدنيا، وموئل الأنام، بغداد، فجاسوا خلال ديارها، وقضوا على قضاتها وفقهائها وعلمائها ـ وناهيك بهم جلالة وكثرة ـ ودمروا مدارسها، ومساجدها، وربطها، وجعلوا من خزائنها العظيمة، ودور كتبها الحافلة طعمة للنيران، ومعابر لخيولهم على دجلة، ومرابط لحمرهم، وقد ذكر ابن خلدون، وابن الساعي، والقَلْقَشَنْدي صُوَراً من جرائمهم، وعبثهم في مكتبات بغداد الضخمة وبخاصة بيت الحكمة، فقال ابن خلدون: «وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم جميعها في دجلة، وكان شيئاً لا يعبر عنه»[1]. وقال ابن الساعي: «بنوا إسطبلات الخيول، وطوالات المعالف بكتب العلماء عوضاً عن اللبِن»[2]. وقال القَلْقَشَنْدي: «خِزانة الخلفاء العباسيين ببغداد: فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة، ولا يقوم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد، وقَتَل ملكُهُم هولاكو المستعصمَ آخرَ خلفائهم ببغداد، فذهبت خِزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها، وأعفيت آثارها»[3].

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٣/٥٣٧.

(٢) خَزائن الكتب القديمة في العراق لكوركيس عواد ١٠٢ نقلاً عن مختصر أخبار الخلفاء المنسوب لابن الساعي.

(٣) صبح الأعشى ١/٤٦٦.

ولما تحقق لهولاكو مراده من بغداد، توجه إلى بلاد الشام، وقصد مدينة حلب، فدخلها، ووضع السيف في جميع أهلها، ودمر مراكزها العلمية، ثم استولى على سائر مدن الشام.

وبعد فترة من الزمن أرسل طائفة من جنده إلى مدينة المَوْصل من بلاد الجزيرة، ففعلوا فيها مثل ما فعله في حلب.

وفي سنة ٦٩٤ تولى غازان التتري مُلك المشرق، ودخل في الإسلام مع جماعة كبيرة من قومه، لكن انتسابه لهذا الدين لم يمنعه من الاعتداء على البلاد الإسلامية، ففي سنة ٦٩٩ زحف بجنده إلى الشام، واستولى على جميع مدائنها، وإليه تنسب الوقعة الشهيرة في كتب التاريخ بوقعة غازان، وفي هذه الوقعة الأليمة نهبت مكتبات دمشق، كمكتبة الرباط الناصري ـ نسبة إلى الملك الناصر بن قلاوون ـ ومكتبة المدرسة الضيائية، وخِزانة ابن البُزُوري، وغيرها من مكتبات المدارس والمساجد في دمشق والصالحية، كما أحرقت دار الحديث الأشرفية، وذهب كل ما فيها.

ولم يقتصر أمر التتار على هذا، ففي سنة ٨٠٣ توجه ملكهم وطاغيتهم تيمورلنك لعنة الله عليه إلى بلاد الشام، فاستولى على حلب، وحماه، ودمشق وغيرها من مدن الشام، وقام بقتل جميع أهلها، ودمر مساجدها، ومدارسها، ومكتباتها، وأضرم النار في دورها، وأسواقها، حتى عفت رسومها.

وكانت وقعة تيمورلنك هذه أعظم، وأقسى، وأشد وقائع التتار على بلاد الشام.

ثم توجه تيمورلنك إلى بغداد، فأهلك كل من لم يمكنه الهرب من أهلها، ثم قضى على كل أثر للعلم والحضارة والحياة فيها، حيث خرب المدارس، والمساجد، والربط، والدور، والأسواق، وكان لعنه الله قد ورد بغداد سنة ٧٩٥ فقتل، ونهب، وخَرّب.

(٢) قواصم الصليبيين:

لقد نعم النصارى بالأمن والطمأنينة في ظل دولة الإسلام قروناً طويلة، حُفظت لهم فيها الحقوق، وسلموا من الظلم والجَوْر اللذين عاملهم ملوكهم قبل الإسلام بهما.

فأهل الذمة منهم لقوا من المسلمين سماحة وعدلاً لم يعهدوهما في سابق أيامهم فلم تهدم كنائسهم، ولم يمنعوا من أداء عباداتهم، ولم يُمس أحد من قساوستهم بأذى، بل شاهدوا بأم أعينهم أن حكم الإسلام العادل كان يردع كل من سولت له نفسه ظلمهم.

وكان حقاً على النصارى أن يعاملوا المسلمين بما عوملوا به، لكنهم لما ظهرت دولتهم، وتمكنوا من بلاد الإسلام، جازوا المسلمين جزاء سِنِمَّار، فأرخوا عِنان ظلمهم وبغيهم على المسلمين، فلم يرحموا في بلاد الإسلام التي دخلوا عليها شيخاً أو وليداً، ولم يتركوا فيها للإسلام ركناً مشيداً، بل وضعوا السيف في المسلمين، وأعدموا العلماء والعابدين، وهدموا المساجد على المصلين، ونهبوا كل ما وصلت إليه أيديهم من أموال وثروات، هذا إلى جانب هتكهم للأعراض والحرمات.

لقد وهنت الحركة العلمية وعدمت في البلاد التي دخلها النصارى، لأنهم قتلوا العلماء، وهدموا المدارس، وأحرقوا المكتبات، بعد أن نهبوا منها ما أرادوا.

ـ ففي طرابُلُس الشام: كانت مكتبة بني عمار الفريدة التي ضاهت بل وفاقت أعظم مكتبات الدنيا كثرة ونفاسة، وقد قدر البعض أعداد أسفارها بثلاثة آلاف ألف مجلد، فلما دخل النصارى طرابُلُس أضرموا النار في هذه المكتبة العظيمة، ولم يسلم منها إلا ما أرادوا نهبه.

وقد صور ابن الأثير دخول الصليبيين الفَرَنْجة إلى طرابُلُس بقوله: «فهجموا على البلد، وملكوه عَنْوة وقهراً، ونهبوا ما فيها، وأسروا الرجال،

وسبوا النساء والأطفال، ونهبوا الأموال، وغنموا من أهلها من الأموال والأمتعة، وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يحد ولا يحصى فإن أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالاً وتجارة، وعاقب الفرنج أهلها بأنواع العقوبات، وأخذت دفائنهم وذخائرهم في مكامنهم»[1].

ـ وفي بيت المقْدِس: لما دخل النصارى إليه قتلوا من أهله مقتلة عظيمة، وهدموا المساجد، وأحرقوا المكتبات، قال السيوطي: «وفيها ـ (أي في سنة ٤٩٢) ـ أخذت الفرنج بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف، وقتلوا به أكثر من سبعين ألفاً، منهم جماعة من العلماء، والعباد، والزهاد، وهدموا المساجد. . .»[2].

وقال ابن الأثير: «وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم، وعبادهم، وزهادهم ممن فارق الأوطان، وجاور بذلك الموضع الشريف»[3].

وقد فعل النصارى في مدائن الشام الأخرى مثل ما فعلوه في طرابلس، وبيت المقدس.

ـ وفي الأندلس: لما سقطت غَرناطة سنة ٨٩٧ بيد الأسبان الصليبيين، فَرَّ كثير من علمائهم إلى بلاد المغرب، وكان أصحاب السلطان في غَرناطة قد اتفقوا مع النصارى المحاصرين لبلدهم، على تسليم المدينة بشروط منها: عدم التدخل في شئون المسلمين، ومنحهم الحرية المطلقة في أداء شعائر دينهم، والاحتفاظ بأملاكهم، ومراكزهم العلمية ومعاهدهم، لكن الأسبان الحاقدين لما تمكنوا من المدينة خرقوا كل المواثيق، ونقضوا جميع العهود، وقد أمر أحد كبرائهم وهو الكاردينال خمنيس سنة ٩٠٥ بجمع الكتب من

(١) الكامل ١٠/٤٧٦.
(٢) تاريخ الخلفاء ٢٨٣.
(٣) الكامل ١٠/٢٨٣ ـ ٢٨٤.

جميع المكتبات الإسلامية الخاصة والعامة بغَرناطة ـ مع إيعاده لكل من تستّر على كتاب بالعذاب الشديد، والقتل ـ ولما جمعت له انتقى منها بعض الكتب الطبية، والهندسية وغيرها وأرسلها إلى إحدى الجامعات، ثم أضرم النار في البقية التي تعد بمئات الآلاف في أحد ميادين غَرناطة.

ولم يقتصر الحقد الصليبـي الدفين على هذا العمل المشين بل ضيقوا على المسلمين، وهدموا مساجدهم، ومدارسهم، وأجبروهم على التنصر تحت العذاب الأليم، ومنعوهم من التكلم بالعربية.

وكان النصارى الأسبان قد ارتكبوا مثل هذه الجرائم في المدن الأندلسية الأخرى التي استولوا عليها من قبل، لكن عملهم في غَرناطة كان أشد وأقسى لأن هذه المدينة كانت آخر معقل للمسلمين في جزيرة الأندلس.

ولم يبرح النصارى منذ الحروب الصليبية وإلى الآن يظهرون كل عداء للمسلمين، ويعملون على القضاء على حضارتهم بكل وسيلة ممكنة، فعندما استولى الفرنجيون (الفرنسيون) على قُسَنْطِيْنِيَة إحدى مدن الجزائر في منتصف القرن الثالث عشر، أحرقوا كل ما وقفوا عليه من كتب فيها، كما أن منظمة التحرير الفرنسية السرية التي تشكلت في الجزائر قبيل استقلالها قامت بحرق مكتبة جامعة الجزائر التي كانت تحتوي على أكثر من خمس مئة ألف كتاب.

فهذا هو حال النصارى في القديم والحديث، فما أحرى المسلمين اليوم أن يتنبهوا لمكايد هذه الفئة الضالة، التي بدلت دينها، وتنكبت عن جادة طريقها، ودأبت على تدبير الدسائس، وتحيّن الفرص للنيل من المسلمين، والانتقاص من دينهم، لكن الله ربنا لهم بالمرصاد إن استقمنا على هديه، واحتكمنا لشرعه ﴿ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين﴾[1].

---

(١) الأنفال ٣٠.

(٣) قوارع الباطنيين:

لقد ابتلى الله سبحانه وتعالى المسلمين بأعداء أشداء، قلوبهم كالحجارة بل أشد قسوة، فجاسوا خلال الديار، وجعلوا أعزة أهلها أذلة، فكم من دماء سفكوا، ومن أعراض هتكوا، ومن معالم أزالوا.

وكان من ألد هؤلاء الأعداء، وأعتاهم، الباطنيون، وأعوانهم من غلاة الرافضة.

فالعبيديون حاربوا أهل السنّة، وقتلوا كثيراً من أئمتهم، وعلمائهم، فعبيدالله المهدي المجوسي الذي نصب نفسه خليفة «كان باطنياً خبيثاً، حريصاً على إزالة ملة الإسلام، أعدم العلماء، والفقهاء ليتمكن من إغواء الخلق، وجاء أولاده على أسلوبه»[١].

والقائم بأمر الله بن المهدي ثاني ملوكهم كان «زنديقاً ملعوناً، أظهر سب الأنبياء. . . وقتل خلقاً من العلماء»[٢].

والحاكم بأمر الله لعنه الله كان من أشد ملوكهم إيذاءاً للمسلمين، وعلمائهم.

والمستنصربالله بالغ في محاربة السنّة وأهلها قال ابن تَغْري بَرْدي: «وفي دولته كان الرفض والسب فاشياً مُجْهراً، والسنّة والإسلام غريباً»[٣].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٢٥٩ ــ ٢٦٠.

(٢) المصدر السابق ٢٦٥.

(٣) النجوم الزاهرة ٣/٥. وفي عهد المستنصر المذكور مُنِع الإمام الحافظ أبوإسحاق الحَبَّال المصري من التحديث قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٨/٤٩٧: «وكانت الدولة الباطنية قد منعوه من التحديث، وأخافوه، وهدَّدُوه فامتنع من الرواية ولم ينتشر له كبير شيء. . . قلت: قَبَّح الله دولة أماتت السنة ورواية الأثارة النبوية، وأحيت الرفض والضلال، وبثَّت دُعاتها في النواحي تغوي الناس ويدعونهم إلى نِحْلة الإسماعيلية».

وكان بعض علماء أهل السنّة يدارون هذه الدولة خوفاً من بطشها وسطوتها قال الذهبي في ترجمة الحافظ عبدالغني بن سعيد الأَزْدي المصري في سير أعلام النبلاء ١٧/٢٧١: =

ولم يسلم من الإفساد أحد من ملوك العبيديين إلا من لم يقدر عليه، فعندما ذكر السيوطي بعض الفتن التي أصابت أمة الإسلام قال: «ومن جملة ذلك ابتداء الدولة العبيدية، وناهيك بهم إفساداً وكفراً، وقتلاً للعلماء والصلحاء»[1].

ومن أخطر وأقبح الأمور المنسوبة إليهم أنهم حرضوا النصارى على الدخول إلى بلاد الشام، قال السيوطي: «فقيل: إن صاحب مصر لما رأى قوة السَّلجوقية واستيلاءهم على الشام كاتب الفرنج يدعوهم إلى المجيء إلى الشام ليملكوها»[2].

هذا شيء من خبر باطنيي المغرب، أما أهل المشرق منهم فلم يكونوا أحسن من سابقيهم، حيث لقي المسلمون منهم كل سوء وبلاء، ومن جرائمهم المروِّعة أنهم كمنوا سنة **٥٥٢** لحجاج خراسان وكانوا خلقاً عظيماً فيهم الأئمة، والعلماء، والصالحون، فقتلوهم إلا يسيراً منهم، قال ابن الأثير: «في هذه السنة سار حجاج خراسان، فلما رحلوا عن بِسْطام أغار عليهم جمع من الجند الخراسانية قد قصدوا طَبَرِسْتان، فأخذوا من أمتعتهم، وقتلوا نفراً منهم، وسلم الباقون، وساروا عن موضعهم، فبينما هم سائرون إذ طلع عليهم الإسماعيلية، فقاتلهم الحجاج قتالاً عظيماً، وصبروا صبراً عظيماً، فقتل أميرهم، فانخذلوا، وألقوا بأيديهم واستسلموا، وطلبوا الأمان، وألقوا أسلحتهم مستأمنين، فأخذهم الإسماعيلية، وقتلوهم، ولم يبقوا منهم إلا شِرْذِمة يسيرة، وقتل فيهم من الأئمة، والعلماء، والزهاد، والصلحاء جمع

= «قلت: اتصاله بالدولة العبيدية كان مداراة لهم، وإلا فلو جَمَحَ عليهم لاستأصله الحاكم خليفة مصر... وأظنه ولي وظيفة لهم، وقد كان من أئمة الأثر، نشأ في سنة واتباع قبل وجود دولة الرفض، واستمر هو على التمسك بالحديث، ولكنه دارى القوم، وداهنهم».

(١) تاريخ الخلفاء ٣٥١.

(٢) المصدر السابق ٢٨٣.

كثير، وكانت مصيبة عظيمة عمت بلاد الإسلام، وخصت خراسان، ولم يبق بلد إلا وفيه المأتم»[1].

وقد ساعد الإسماعيليون (الباطنيون) التتار على المسلمين، وأرشدوهم إلى مواطن ضعفهم، فكان ذلك من أسباب ظهور التتار وغلبتهم.

كما أن ابن العلقمي الرافضي وزير المستعصم بالله العباسي هَوَّن لهولاكو دخول بغداد، وصرف كثيراً من جند المسلمين عن قتال التتار.

ولما دخل التتار إلى بغداد، قام نصيرالدين الطوسي الرافضي منجم هولاكو بإتلاف الكتب الشرعية الموجودة في مكتبات بغداد العظيمة، قال ابن تيمية: «لما استولى التتار على بغداد، وكان الطوسي منجماً لهولاكو استولى على كتب الناس الوقف والملك، فكان كتب الإسلام مثل التفسير، والحديث، والفقه، والرقائق يعدمها، وأخذ كتب الطب، والنجوم، والفلسفة، والعربية، فهذه عنده هي الكتب المعظمة»[2].

فهذه نتف من عظائم الباطنيين، وغلاة الرافضة، تدل على زندقة أصحابها، وخبثهم، وعدائهم للإسلام والمسلمين.

(٤) جرائم العابثين المفسدين:

لقد كان لتلك الجرائم أثر كبير في ضعف الحركة العلمية، وتأخرها، قال ابن الأثير عند ذكره لحوادث سنة ٥٥٦: «ذِكر الفتنة بنيسابور وتخريبها: كان أهل العبث والفساد بنيسابور قد طمعوا في نهب الأموال، وتخريب البيوت، حيث خربوا نيسابور بالكلية، ومن جملة ما خُرب مسجد عُقيل كان مجمعاً لأهل العلم، وفيه خَزائن الكتب الموقوفة، وكان من أعظم منافع نيسابور، وخرب أيضاً من مدارس الحنفية ثماني مدارس، ومن مدارس الشافعية سبع

(١) الكامل ١١/٢٢٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/٢٠٧.

عشرة مدرسة، وأحرق خمس خَزائن للكتب، ونهب سبع خَزائن كتب»[1].

ومن أعظم فتن هـؤلاء المفسدين، فتنة الغُزّ[2] الأتراك المسلمين، الذين قاموا سنة ٥٤٨ بغارات واسعة على مدن وقرى خُراسان، فنهبوها، ووضعوا السيف في أهلها، وقتلوا جماعة لا تحصى من القضاة والأئمة والعلماء، وسبوا النساء والذرية، وأحرقوا المكتبات العظيمة في مرو، ونيسابور، وطُوس، وغيرها، وهدموا دور العلم، ولم يسلم من خُراسان في هذه الفتنة إلا هَرَاة ودِهِسْتان.

وكان من خبرهم في نيسابور أنهم لما دخلوا البلد اجتمع الناس في الجامع الكبير، وطلبوا الأمان، فدخل عليهم الغُز وقتلوهم عن آخرهم، وفيهم عدد كبير من الأئمة.

ولم تقتصر غارات الغُز على بلاد خراسان بل تقدموا غرباً إلى الرَّيّ، وأَذْرَبيجان، والجبال، والعراق، فنهبوا، وقتلوا، وسبوا، وارتكبوا كل كبير[3].

ومن فتن المفسدين التي ضيعت جملة كبيرة من تراثنا المكتبـي العظيم، ما حدث في البصرة سنة ٤٨٣ عندما دخلها رجل ادعى أنه المهدي، وحارب أهل البصرة، وشجع عليهم أهل العبث والفساد فنهبوا المدينة، وأحرقوا أعظم مكتباتها قال ابن الجوزي: «ورد البصرة رجل كان ينظر في علوم النجوم، يقال له تِلْيا، واستغوى جماعة، وادعى أنه الإمام المهدي، وأحرق البصرة، فأحرقت دار كتب عملت قبل عضدالدولة وهي أول دار كتب عملت في الإسلام»[4].

---

(١) الكامل ٧٤/٩.

(٢) كان الغُز يسكنون بلاد تُرْكُسْتَان فلما ملك الخِطا بلادهم، أخرجوهم منها، فقصدوا خُراسان، وكانوا خلقاً كثيراً.

(٣) ينظر تفصيل خبر الغُزّ في الكامل ٣٧٧/٩ ـ ٣٩١ و١٧٦/١١ ـ ١٨٣؛ كما أشار السمعاني في مواطن كثيرة من كتاب التحبير إلى قتلهم للعلماء، وإفسادهم في البلاد، ينظر مقدمة تحقيق التحبير ٦١/١ ـ ٦٢.

(٤) المنتظَم ٥٣/٩.

وقال ابن الأثير: «ودخل العرب حينئذ البصرة... وملكوها، ونهبوا ما فيها نهباً شنيعاً... وأحرقوا مواضع عدة، وفي جملة ما أحرقوا داران للكتب إحداهما وقفت قبل أيام عضدالدولة بن بُوَيه... وهي أول دار وقفت في الإسلام، والأخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاه مَردان وكان بها نفائس الكتب وأعيانها»[1].

(٥) تبدل دول المسلمين:

شهد المسلمون حروباً كثيرة ومريرة، كانت تحدث عند تغيّر دولهم، وتبدل ملوكهم وأمرائهم، ولو أراد الإنسان أن يسرد تلك الوقائع، ويصور ما فيها من الشدائد والفظائع، لطال الأمر كثيراً، ولخرج البحث عن مساره السليم، وإني أكتفي هنا بذكر بعض الحوادث التي كان لها أثر مباشر في ضعف الحركة العلمية.

فالخليفة المقتدربالله بن المعتضدبالله العباسي لما اعتلى كرسي الخلافة بعد خلعه عنها أمر بقتل الذين خلعوه، ومنهم قاضي القضاة، وجماعة من العلماء والفقهاء، قال السيوطي وهو يعدد الفتن التي ابتلي بها المسلمون: «ثم فتنة المقتدر لما خلع، وبويع ابن المعتز، وأعيد المقتدر ثاني يوم، وذَبح القاضي، وخلقاً من العلماء، ولم يقتل قاض قبله في ملة الإسلام»[2].

ولما ضعف أمر الخلافة الأموية في الأندلس تمكن الثوار البربر في سنة ٤٠٠ من دخول عاصمة الخلافة قرطبة، وكان من أعظم مفاسدهم فيها نهبهم لمكتبة القصر العظيمة التي كانت تشتمل على نحو من ٤٠٠٠٠٠ مجلد، وقيل ٦٠٠٠٠٠.

وعندما خرج الأمير يونس بَلْطا نائب المماليك على طرابُلُس الشام من

---

(١) الكامل ١٠/١٨٤.

(٢) تاريخ الخلفاء ٣٥١؛ وانظر أيضاً ص ٢٥٢ من نفس الكتاب.

بلده، خرج عليه نائب الغيبة، فتوجه[1] بَلْطا إلى قتاله، ولما تمكن من دخول طرابلس، سام أهلها سوء العذاب، فقتل منهم خلقاً كثيراً فيهم نحو العشرين من الأعيان، والقضاة، والعلماء، وصادر أموال الناس، وسبى الحريم.

ومن الحوادث التي أودت ببعض المكتبات، أن بعض البغداديين دخلوا الكَرْخ عندما قدم طُغْرُلْبَك السَّلجوقي إلى بغداد لاستعادة مجد الخلافة العباسية عقب ثورة البساسيري، وقام هؤلاء البغداديون بحرق دور الكَرْخ وأسواقها، وكان من جملة ما احترق مكتبة الوزير سابور قال ياقوت: «بين السُّورين: اسم لمحلة كبيرة كانت بكَرْخ بغداد، وبها خِزانة الكتب التي وقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاءالدولة بن عضدالدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة، وأصولهم المحررة، واحترقت فيما أحرق من محال الكَرْخ عند ورود طُغْرُلْبَك أول ملوك السَّلجوقية إلى بغداد سنة ٤٤٧»[2].

وقال ابن الجوزي: «ثار الهاشميون، وأهل باب البصرة إلى الكَرْخ فنهبوها، وطرحوا النار في أسواقها ودورها، واحترقت دار الكتب التي وقفها سابور بن أردشير الوزير في سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة، وكان فيها كتب كثيرة»[3].

(٦) حوالك الزمان:

فُجع المسلمون بحوادث أليمة، أدت إلى ضعف في حضارتهم العظيمة، ونقص في تراثهم العريق، فمن تتبع كتب التواريخ رأى أمثلة كثيرة من ذلك، كاحتراق مكتبات بعض العلماء، أو غرقها، أو تلفها بالعُفُونة والرُّطُوبة ونحو ذلك، وأقتصر هنا على ذكر مثالين لذهاب مكتبتين عامتين، وعظيمتين:

---

(١) ينظر خبره في النجوم الزاهرة ١٢/١٩١.

(٢) معجم البلدان ١/٥٣٤.

(٣) المنتظَم ٨/٢٠٥.

فقد قال المقريزي عند ذكره للمدرسة الفاضلية التي بناها القـاضي الفاضل بالقاهرة: «ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم، يقال إنها كانت مئة ألف مجلد، وذهبت كلها، وكان أصل ذهابها أن الطلبة التي كانت بها لما وقع الغلاء بمصر في سنة أربع وتسعين وست مائة، والسلطان يومئذ الملك العادل كَتْبُغا المنصوري مَسَّهم الضر، فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب، ثم تداولت أيدي الفقهاء عليها بالعارية، فتفرقت»[1].

وقال أيضاً متحدثاً عن مصير خِزانة الكتب الكبيرة التي كانت في القلعة بالقاهرة في عهد المماليك: «وقع بها الحريق... سنة إحـدى وتسعين وست مائة فتلف بها من الكتب في الفقه والحديث، والتاريخ، وعامة العلوم شيء كثير جداً كان من ذخائر الملوك، فانتهبها الغلمان، وبيعت أوراقاً محرقة، ظفر الناس منها بنفائس غريبة ما بين ملاحم وغيرها، وأخـذوها بأبخس الأثمان»[2].

---

(١) المواعظ والاعتبار ٣٦٦/٢.

(٢) المصدر السابق ٢١٢/٢.

المـدخـل

ويشتمل على عدة موضوعات هي:

١ ـ ترجمة موجزة للحافظ الذهبي.

٢ ـ الأصول المعتمدة في تحقيق هذه الرسالة.

٣ ـ موضوع هذه الرسالة ومحتواها.

٤ ـ كلمة بين الأمصار ذوات الآثار للذهبي، والإرشاد في علماء البلاد للخليلي.

٥ ـ طبعة سقيمة لرسالة الذهبي هذه.

٦ ـ عملي في الرسالة.

٧ ـ صورة عن النسخة المحمودية، ونسخة مكتبة الحرم المدني الشريف.



ترجمة موجزة للحافظ الذهبي

هو الإمام الكبير، الحافظ الجِهْبِذ، والمؤرخ المحقق، والمقرىء المجود، نسيج وحده، وقريع دهره، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله التُّرْكُماني الفارِقي[1] الأصل[2]، الدمشقي، الشافعي، المعروف بالذهبي[3].

ولد بدمشق في شهر ربيع الآخِر سنة ٦٧٣، وطلب العلم في حداثته، ثم رحل فيه إلى مدائن الشام، ومصر، والحجاز، فسمع من جماعة كبيرة من الأئمة، ثم عاد إلى بلده (دمشق)، فأقام فيها، وتصدر للتحديث، والإقراء، والإفادة، والتدريس. وولي مشيخة عدد من المدارس. واشتغل بالتصنيف، والتخريج، وتآليفه كثيرة وحفيلة من أجلّها ميزان الاعتدال في نقد الرجال، وتذكرة الحفاظ، وسير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، وغيرها.

---

(١) نسبة إلى ميَّافارقين أشهر مدن ديار بَكر.

(٢) يبدو أن جد الذهبي عثمان هو أول من سكن دمشق من أجداد الذهبي، وذلك لأن الذهبي لما ترجم لوالد جده في رسالة أهل المئة فصاعداً ص ١٣٧ لم ينسبه إلى دمشق خلافاً لجده.

(٣) اشتغل الحافظ الذهبي في بادىء أمره بصناعة الذهب، قال سبط ابن حجر في رونق الألفاظ ٢/ ورقة ٣٥ أ: «وتعلّم صِناعة الذَّهب كأبيه، وعَرَف طُرُقَها». ثم ترك الذهبي هذه الصنعة وانصرف للعلم، فبقيت الشهرة بها لأبيه، لذا كان يُعَرِّف نفسه في كتبه بابن الذهبي؛ والعلماء من بعده عَرَّفوه بالأمرين.

وقد أُعجب بالذهبي الأئمةُ من بعده فلهِجَت ألسنتهم وأقلامهم بالثناء عليه، وإليك جملة يسيرة من ذلك تُظهر مكانته العلمية، ومنزلته العَلِيَّة:

قال تلميذه الإمام تاج الدين السبكي: «إمام الوجود حفظاً، وذَهَب العصر معنى ولفظاً، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل، كأنما جُمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها، ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها»[1].

وقال تلميذه المؤرخ صلاح الدين الصفدي: «حافظ لا يجارى، ولافظ لا يبارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأزال الإبهام في تواريخهم والإلباس... ولم أجد عنده جُمود المحدثين، ولا كَوْدَنة[2] النقلة، بل هو فقيه النظر، له دُرْبة بأقوال الناس، ومذاهب الأئمة من السلف، وأرباب المقالات»[3].

وقال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي: «مفيد الشام، ومؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين، وإمام المعدلين والمجرحين... وكان آية في نقد الرجال، عمدة في الجرح والتعديل»[4].

وقال الحافظ ابن حجر: «مهر في فن الحديث، وجمع فيه المجاميع المفيدة الكثيرة، حتى كان أكثر أهل عصره تصنيفاً... ورغب الناس في تواليفه، ورحلوا إليه بسببها، وتداولوها قراءة، ونسخاً، وسماعاً»[5].

وقال أيضاً: «هو من أهل الاستقراء التام في نقد الرجال»[6].

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٩/١٠١.

(٢) يعني بَلادة.

(٣) نَكْت الهِمْيان ٢٤١ ـ ٢٤٢؛ والوافي بالوفيات ٢/١٦٣.

(٤) الرد الوافر ٣١.

(٥) الدرر الكامنة ٣/٤٢٦ ـ ٤٢٧.

(٦) نزهة النظر شرح نُخْبة الفِكَر ٧٥.

وقال الحافظ السيوطي: «إن المحدثين عيال الآن في الرجال، وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر»[1].

ولله دَرُّ الإمام العلّامة شمس الدين أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالكريم بن المَوْصلي الأَطْرابُلُسي حيث يقول فيه:

«ما زِلت بالسمع أَهْواكم وما ذُكرت ... أخباركم قط إلا مِلْت من طَرَبِ
وليس من عجب أن مِلْتُ نحوكم ... فالناس بالطَّبْع قد مالوا إلى الذَّهَبِ»[2]

وقد أضر الإمام الذهبي قبل موته ببضع سنين، وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ذي القعدة من سنة ٧٤٨، ودفن في مقابر باب الصغير بدمشق.

---

(١) طبقات الحفاظ ٥١٨.

(٢) الرد الوافر ٣٢؛ فهرس الفهارس ١/ ٤٢٠، المنهل الصافي ٣/ ورقة ٧٠ أ.

الأصول المعتمدة
في تحقيق هذه الرسالة

(١) نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، وهي ضمن مجموع برقم ٢٦٧٨، وتقع في خمس صفحات وخمسة أسطر، وتشتمل كل صفحة على ٢٥ سطراً، وقد نسخت سنة ١٢٢٠ على يد سعيد بن مرجية باقديم.

ورمزت لها بـ «المخطوط».

وهذه النسخة[١] كثيرة التحريف، والتصحيف، مما يدل على عدم معرفة ناسخها بهذا الفن.

---

(١) وتوجد نسخة أخرى من هذه الرسالة في مكتبة الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة ضمن مجموع برقم ٢/٨ وتقع في ٧ صفحات وسطرين، وتشتمل كل صفحة على نحو عشرين سطراً، وقد قام بنسخها محمد بن عبدالقادر السندي المدني في سنة ١٣١٥.

ولم أعتمد على هذه النسخة لأنها منقولة عن نسخة المحمودية، أو عن أصل اعتمد عليه ناسخ المحودية، ولم يكن عند كاتبها من العلم ما يدفعه إلى تصحيح شيء من الأخطاء الموجودة في النسخة المحمودية، بل إنه زادها تحريفاً وتصحيفاً.

وإليك أمثلة من اشتراكهما في الأخطاء، وزيادة نسخة مكتبة الحرم في التغيير والتبديل:

ـ الأمر الأول: الاشتراك في الوَهَم:

(١) «كعبدالله بن عمرو بن أبـي ذئب». والصواب: «كعبيدالله ـ (أو كعبدالله) ـ وابن أبـي ذئب».

(٢) «والمربـي». والصواب «والمزي».

(٣) «وسعيد بن أبـي حمزة». والصواب: «وشعيب بن أبـي حمزة».

(٤) «وما زال بها بهذا الشأن». والصواب: «وما زال بها هذا الشأن».

(٥) «وشهاب بن نخلة». والصواب: «وسهل بن زَنْجَلَة».

(٦) «ويحيـى بن عبدل». والصواب: «ويحيـى بن عَبْدَك».

(٧) «وعبدالله بن هاشم الذهلي». والصواب: «وعبدالله بن هاشم، والذهلي».

(٨) «ويحيـى بن أحمد». والصواب: «ويحيـى بن يَعْمَر». =

(٢) كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التَّوْريخ: حيث إن السخاوي ضمن رسالة الذهبي فيه، مع التصرف فيها، وقد صرح بذلك عقب ذكره لها بقوله: «وهذا الفصل كله جزء أفرده الذهبي، وصدر بالأمصار ذوات الآثار، وهو مفتقر لقليل تذييل سوى ما ألحقته في أثنائه إما مميزاً أو مدرجاً»[١].

وقد اعتمدت على طبعتي هذا الكتاب، وتقع هذه الرسالة في طبعة القدسي الصادرة عن مطبعة الترقي بدمشق من صفحة ١٣٦ إلى صفحة ١٤٤، ورمزت لها بـ (ع)، وفي الطبعة المنشورة ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنتال ترجمة الدكتور صالح العلي من صفحة ٦٥٩ إلى صفحة ٦٦٨، ورمزت لها بـ (ق).

= (٩) «كعمرو بن هارون». والصواب: «كعمر بن هارون».

(١٠) «وصالح بن محمد جرارة». والصواب: «وصالح بن محمد جَزَرَة».

فهذه الأمثلة تدل على أن نسخة مكتبة الحرم منقولة عن النسخة المحمودية، أو عن أصلها المحرف، وخلاصة القول أنه لا يوجد وَهَم ولا سقط ولا تحريف في النسخة المحمودية إلا وهو موجود في نسخة مكتبة الحرم، اللهم إلا حرفاً أو حرفين.

ـ الأمر الثاني: تفرد نسخة مكتبة الحرم بأوهام وسقط لا يوجدان في النسخة الأخرى:

(١) ففيها: «سنة وخمسين وثلاث مئة». والصواب: «سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة».

(٢) وفيها: «جرير بن عثمان». والصواب: «حَرِيْز بن عثمان».

(٣) وفيها: «الحسن البصيري». والصواب: «الحسن البصري».

(٤) وفيها: «والقرطني». والصواب: «والغِطْريفي».

(٥) وفيها: «الشامي». والصواب: «السامي».

وغير ذلك كثير، والذي أوقعه في بعض الأخطاء هو محاولته نَقْط كثير من الحروف التي أهملت من النَّقْط في النسخة المحمودية.

ومما ألفت النظر إليه أنه يوجد في هذه النسخة زيادة اسم لم يرد في النسخة المحمودية، ولا في الإعلان بالتوبيخ وهو «محمد بن إدريس» فقد ذُكر في هراة بين «الحسين بن إدريس» و «محمد بن المنذر»، وأظن أن ذكره كان على سبيل الوَهْم وسبق الذهن، وذلك أن كاتب النسخة لما مر أمام نظره اسم الحسين بن إدريس، واسم محمد بن المنذر متتاليين تكون في ذهنه اسم ثالث وهو «محمد بن إدريس» فكتبه، ويؤكد هذا أنه لا يوجد في كتب الأعلام من اسمه محمد بن إدريس وهو من هراة، بل يوجد محمد بن إدريس أبو لَبيد السَّامي السَّرْخَسي، وسَرْخَس بعيدة عن هَرَاة.

(١) ص ٦٦٨.

موضوع هذه الرسالة ومحتواها

تناول الذهبي رحمه الله تعالى في هذه الرسالة القيّمة النادرة، ذكر المدن الكبيرة، والأمصار، والأقاليم التي كان يوجد فيها علم الحديث والأثر.

فقد أورد اسم تسع[1] وعشرين مدينة وإقليماً، وذكر تحت كل[2] واحدة منها بعض مشاهير أئمتها، وأعلام حفاظها، وأعيان محدثيها، وعُني في معظم هذه البلدان بذكر أزمنة ابتداء العلم، وذيوعه، وشيوعه، ونقصه، وعُدْمه منها، وكان يشير في كثير من الأحيان إلى سبب ضعف العلم وعَدَمه. وقد تعرض في مكانين فقط لذكر بعض التواريخ الرجالية المختصة بهَمَذَان، وخُوارَزْم، وليته فعل ذلك في جميع البلاد، لأنه أمر نافع ومفيد. كما ضمن كلامه بعض الفوائد التاريخية والجغرافية كزمن بناء، وفتح المدن، ومدة استيلاء الكفار عليها، وصفتها ككونها أكبر مدائن أحد الأقاليم، وشَبَهها لمدينة ما في السَّعَة.

ثم ذكر عدة مدن وأقاليم وُجد فيها الحديث بقدْر يسير، لكنه لم يسم أحداً من علمائها، وهي شِيْراز، وكَرْمان، وسِجِسْتان، والأَهْواز، وتُسْتَر،

---

(١) هي: المدينة المشرفة، ومكة، وبيت المقدس، ودمشق، ومصر، والإسكندرية، وبغداد، وحمص، والكوفة، والبصرة، واليمن، والأندلس، والمغرب، والجزيرة، والدِّيْنَوَر، وهَمَذَان، والرَّي، وقَزْوين، وجُرْجان، ونيسابور، وطُوْس، وهَرَاة، ومَرو، وبَلْخ، وبُخارى، وسَمَرْقَنْد، والشاش، وفِرْياب، وخُوارَزْم.

(٢) عدا إقليم الجزيرة.

وقُوْمَِس، وقُهُسْتان، وقد صرح في شِيراز بقلة حَديثها، وفي قُوْمِس بخروج جماعة من المحدثين فيها، واكتفى في كَرْمان، وسِجِسْتان، والأَهْواز، وتُسْتَر بذكر أسمائها فقط، واهتم عند ذكره لقُوْمِس وقُهُسْتان بالإشارة إلى بعض مدنهما الكبيرة والصغيرة والمتوسطة، وبيان جهتهما وحدودهما، وقد كان دقيقاً في تحديده لموقع إقليم قُهُسْتان الذي أراده، مما يدل على إلمامه بعلم الجغرافية.

ولم يقنع الذهبي بما سبق بل أضاف إليه تسمية معظم الأقاليم التي لم تعرف بالحديث.

ثم أشار إلى ما آل إليه الحال في زمنه من فقدان وضعف هذا العلم في كثير من الأمصار التي كانت مشتهرة ومعروفة به؛ وأتبع ذلك بذكر الأقاليم والمدن التي بقي ـ أي في زمنه ـ الحديث فيها ولو بقلة.

وختم هذه الرسالة المفيدة بذكر العلوم الشرعية الأخرى التي راج أمرها في العصور المتأخرة، وانتشرت في شرق الأرض وغربها، لكنه نبه إلى الزَّغَل الذي أصابها في بعض البلاد بسبب ما داخلها من علوم فاسدة ومُبْتَدَعة.

كلمة بين الأمصار ذوات الآثار للذهبي والإرشاد في علماء البلاد للخليلي

يبدو أن الذهبي رحمه الله تعالى استقى أصل رسالته «الأمصار ذوات الآثار» من كتاب «الإرشاد[1] في علماء البلاد» للإمام الحافظ أبي يعلى الخليل بن عبدالله القزويني المعروف بالخليلي والمتوفى سنة ٤٤٦.

ومن ألقى نظرة فاحصة في الكتابين انقدح في نفسه صدق هذه الدعوى، وتبين له صحتها، ولا أريد الإطالة باستيعاب البراهين على ذلك، بل أكتفي بذكر دليلين واضحين قويين هما:

(١) تقارب ترتيب البلدان في الكتابين:

ففي كتاب الأمصار ذوات الآثار رُتبت على هذا النحو: المدينة، مكة، بيت المقدس، دمشق، مصر، الإسكندرية، بغداد، حمص، الكوفة، البصرة، اليمن، الأندلس، المغرب، الجَزيرة، الدِّيْنَوَر، هَمَذان، الرَّي، قَزوين، جُرجان، نيسابور، طُوس، هَرَاة، مَرو، بَلْخ، بُخاري، سَمَرْقَنْد، الشاش، فِرْياب، خُوَارَزْم.

وفي كتاب الإرشاد سِيقت على الشكل التالي: المدينة، مكة، مصر، الشام، البصرة، الكوفة، واسط، المدائن، بغداد، المَوْصل، حُلْوان،

(١) رتب الخليلي كتابه هذا على البلدان، وذكر تحت كل بلد مشاهير أئمته، وكبار علمائه وحفاظه ومحدثيه، وأورد لهم تراجم يغلب عليها الإيجاز.

الدِّيْنَوَر، هَمَذَان، الري، قَزوين، أَبْهَر، زَنْجَان، أَذْرَبِيجان، قُمّ، سَاوة، جُرجان، آمِد، نيسابور، طُوس، هَرَاة، مَرو، بَلْخ، سَرْخَس، بُخارى، سَمَرْقَنْد، الشاش.

فقد افتتحا بالمدينة المنورة، ثم ذكرا مكة، ثم مصر والشام، ثم العراق، لكن الذهبي أدخل حمص بين مدن العراق، وقدم الشام على مصر.

ولو حُذف الزائد من البلدان بين الدِّيْنَوَر والشاش من كتاب الخليلي لَتَمَاثَل الترتيب بين الكتابين في ثلاثة عشر بلداً.

(٢) اعتماد الذهبي على الخليلي في إيراد أسماء العلماء ضمن البلدان: فالذهبي قصد في رسالته «الأمصار ذوات الآثار» عند ذكره للبلدان تسمية بعض أكابر ومشاهير العلماء والحفاظ في كل بلد، لذا ترى معظمهم مذكورين في كتابيه سير أعلام النبلاء، وتذكرة الحفاظ. إلا أنه أبعد النُّجْعَة عندما أورد رجالاً خفيت أمورهم، وضنت الكتب بتراجمهم، ولم يشتهروا عنده في كتبه، وهؤلاء جميعاً مذكورون في كتاب الإرشاد للحافظ الخليلي مما يدل على أصالة هذا الكتاب في عمل الذهبي.

وإليك نماذج من ذلك تثبت قَوَام ما أجملته:

لما ذكر الذهبي مدينة هَرَاة أورد تحتها اسم الفضل بن عبدالله الهروي، ولم أجد ترجمة هذا الرجل إلا في كتاب الإرشاد.

وعندما ذكر مدينة الدِّيْنَوَر أورد اسم محمد بن عبدالعزيز الدِّيْنَوَري، ولم أقف على ترجمة هذا الرجل إلا في كتاب الإرشاد، وكتب الضعفاء كميزان الاعتدال.

وعند ذكره لجُرجان سمى عدداً من العلماء، منهم إسحاق بن إبراهيم الطلْقي، ومحمد بن عيسى الدَّامَغاني، فالأول توجد ترجمته في الإرشاد، وفي مستدرك السهمي على تاريخ جرجان، وكتاب الجرح والتعديل، ولسان

الميزان، والثاني لم أقف على ترجمته إلا في كتابـي الإرشاد، والجـرح والتعديل. ومن نظر ترجمة هٰذين الرجلين في كتاب الجرح والتعديل لم ير فيهما ما يدل على مكانتهما، مما يـؤكد أن الذهبـي تبع الخليلي في ذكرهما، والله أعلم.

فهٰذان برهانان قائمان يثبتان أصالة كتاب الإرشاد للخليلي في عمل الذهبـي. وليس معنى هذا أن الذهبـي اكتفى بهذا الكتاب عن غيره، بل إنه أضاف فوائد كثيرة، وزيادات وفيرة، وبلداناً لم يتعرض لها الخليلي على الإطلاق.

طبعة سقيمة
لرسالة الذهبي هذه

لقد عم البلاء في هذا الوقت بإخراج كتب العلم ونشرها في صور مُشَوَّهَة ومُزَيَّفَة، يَعْتَريها التحريف والتبديل، ويَشُوبها الزَّغَل والدَّخَل، ولعل السبب في ذلك ينحصر في أمرين:

(١) التسرع والعجلة: وقد أحسن القائل:

قد يُدرك المتأني جلّ مقصده وقد يكون مع المستعجل الزَّلل

(٢) الجهل: ولله دَرُّ القائل:

ما كل من نال المعالي ناهضاً فيها ولا كل الرجال فحول

وقال آخر:

احفظ لسانك أن تقول فتبتلى إن البلاء مُوكل بالمنطق

وقال آخر:

ما تفعل الأعداء في جاهل ما يفعل الجاهل في نفسه

وأمر التصنيف والتأليف والتحقيق خطير، فهو أمانة يُسأل الإنسان يوم القيامة عن حسن أدائها، كما أنه شهادة على صاحبه في الدنيا، فإن أحسن شكره الناس، وإن كثرت إساءته أَغْمضوا فيه، وقد قال الجاحظ: «من صَنَّف فقد استَهْدَف، فإن أحسن فقد استَعْطَف، وإن أساء فقد استَقْذَف»[1].

---

(١) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ١١٤.

وقد سمعت منذ مدة يسيرة بأن رسالة الذهبي هذه قد حققت، ونشرت في دمشق، فبحثت عنها في مكتبات الرياض التجارية فلم أجدها، إلى أن وقفت عليها منذ بضعة أيام فلما تصفحتها وجدتها كثيرة الأوهام والأخطاء، ومَدْعاة للانتقاد والاعتراض، سواء في أصلها المُحَقق[1] أو في التعليقات عليها، علماً بأني لم أقرأ من التعليقات إلا القليل.

ورأيت من الأمانة أن أشير إلى بعض تلك الأوهام والمؤاخذات منظمة ليُتَنَبَّه لها ولما خلفها، وإليك هذا الأمر:

(أ) ضبط البلدان والتعريف بها:

ففي صفحة ١١١ من المطبوعة «والخُطى»: كتبها المحقق بالألف المقصورة، وشكل الخاء بالضم، وعرفها بأنها موضع بين الكوفة والشام. وكل هذا خطأ، والصواب «الخِطا» بكسر الخاء، وألف ممدودة، والخِطا جنس من التُّرك تقع بلادهم شرقي نهر سَيْحون، والذهبي أورد ذكر هذه الناحية في الأقاليم التي لا حديث بها، والموضع الذي بين الكوفة والشام ليس إقليماً. ولفظ «الخِطا» بالألف الممدودة موجود في الأصول المعتمدة عند المحقق.

وفي صفحة ١١٢ «وسَرَاة»: كتبها بالتاء المربوطة، وارتبك في تعريف هذا البلد، فنقل عن ياقوت عدة أقوال تدور حول كونها ناحية جبلية تقع في الجزيرة العربية وتمتد شَمالاً أو جَنوباً. وكل هذا خطأ أيضاً، والصواب «سَرَاي» بالياء، وهي بلاد تقع شَمال بحر الخَزَر. وقد ضبطت بالياء أيضاً في نسخة مكتبة الحرم المدني التي اعتمد عليها المحقق.

وفي صفحة ١١٣ «والبَجَاوَة»: ذكرها بالواو، وعلق عليها في الحاشية بقوله: «قلت: في الأصل، والإعلان بالتوبيخ للسخاوي ص ١٤٣: والبجاه؛ وهو خطأ من النساخ والصواب ما أثبته» اهـ. قلت أنا: أخطأ المحقق في

---

(١) اعتمد المحقق في إخراج الكتاب على أصلين فقط هما: نسخة مكتبة الحرم المدني الشريف؛ وكتاب الإعلان بالتوبيخ للسخاوي.

ضبطه للباء بالفتح، وفي تخطئته للنساخ، وذلك أن الصواب في الباء ضمها، وأنه يصح البُجَاوة والبُجَاه.

كما أنه أخطأ في ضبط بعض البلدان الأخرى:

ففي صفحة ٥٥ «بَجَاية» بفتح الباء والصواب كسرها.

وفي صفحة ٥٥ أيضاً «تِلْمِسان» بتسكين اللام وكسر الميم، والصواب عكس ذلك أي «تِلِمْسَان».

وفي صفحة ١٠٦ «الدامْغان» بتسكين الميم، والصواب فتحها.

وفي صفحة ١١٢ «قَرْم» بفتح القاف وتسكين الراء، والصواب كسرهما.

وفي صفحة ١١٢ أيضاً «النَّوبة» بفتح النون، والصواب ضمها.

وقد غفل المحقق عن ضبط بعض البلدان[1]:

ففي صفحة ٥٤ «إِفْرِيْقِيَّة» لم يضبط الياء الثانية.

وفي صفحة ٥٤ أيضاً «القَيْرَوَان» لم يضبط الراء.

وفي صفحة ١١٢ «القَفْجَاق» لم يضبط حروفها، وجعل جيمها حاءً.

وفي صفحة ١١٣ «أُسْوان» لم يضبط الألف.

وفي صفحة ١١٣ أيضاً «الزَّنج» لم يضبط الزاي، مع أن الشائع نطقها بالكسر، فالضبط ضروري.

(ب) ضبط الأسماء والأنساب والتعريف بها:

لقد ادعى المحقق في مقدمته أنه ترجم للأعلام الذين دعت الضرورة إلى ترجمتهم، وليس الأمر كما قال، فقد أغفل تراجم أسماء كثيرة تدعو إليها الضرورة في نظر الناس جميعاً:

ففي صفحة ١٤ «كعبدالله بن عمرو بن أبـي ذئب»: فالمحقق تبع وَهَم

---

(١) ضبط أسماء البلدان في هذه الفقرة ليس من المحقق كما هو واضح.

النسخة المخطوطة في هذا الأمر، ولو ترجم للرجل لعرف أنه رجلان، وصواب العبارة «كعبيدالله ــ (أو كعبدالله) ــ وابن أبي ذئب».

وفي صفحة ٤٨ «قُدامة بن مُنَبِّه»: وليت المحقق ترجم لهذا الرجل كي يعرف، لأنني بحثت في عشرات الكتب فلم أعثر على من اسمه قُدامة في بني مُنَبِّه، وغالب ظني أنه تصحف عن همام بن مُنَبِّه.

وفي صفحة ٦٧ «كثير بن هشام»: هكذا ذكره المحقق اعتماداً على الأصول التي عنده، ولو ترجم للرجل لعرف أن الصواب فيه «كثير بن شهاب».

بل إن المحقق لم يحالفه الصواب في بعض التراجم التي عقدها:

ففي صفحة ٢٠ ترجم للأَزْرقي بأنه محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن الوليد صاحب كتاب أخبار مكة. وهذا خطأ والصواب أنه جَدُّ المذكور.

وفي صفحة ٨١ أحال على مصادر ترجمة الفضل بن عبدالله الهروي بما يجانب الصواب، لأن الذي أحال عليه ليس هو الذي قصده الذهبي والله أعلم.

وفي صفحة ٩٧ أثبت في الأصل كلام الذهبي التالي: «خوارزم: بلد كبير، رأيت المجلد الأول من تاريخها لرجل معاصر لأبي القاسم بن عساكر من ثمان مجلدات». وقد علق عليه في الحاشية بقوله: «قلت: جاء في كشف الظنون لحاجي خليفة ١/٣٩٣، ٣٩٤ ما نصه: تواريخ خوارزم: منها الكافي... وتاريخ محمد محمود بن محمد أرسلان العباسي الخوارزمي الحافظ، المتوفى سنة ثمان وستين وخمس مئة، بسط الكلام في وصف خوارزم وأهلها حتى بلغ إلى ثمانين مجلداً...» ثم قال المحقق عقب هذا: «ولعل المعني بكلام الذهبي هو تاريخ الخوارزمي الأخير... ولعل لفظة ثمان مجلدات التي في كتابنا محرفة على يد الناسخ من ثمانين مجلدة والله أعلم» انتهى كلام المحقق.

قلت: أخطأ في عدة أمور، فاسم الخوارزمي ليس كما ذكر، بل الصواب «أبو محمد محمود بن محمد بن العباس بن أَرْسلان العباسي»، كما أن ابن أرسلان المذكور هو الذي قصده الذهبي يقيناً لا شكاً، وكتابه في ثمان مجلدات لا في ثمانين مجلدة، والناسخ لم يحرف بل نقل الصواب.

ومن أخطاء المحقق في هذا الباب أيضاً:

أنه في صفحة ١٩ شكل «الزنجي» بكسر الزاي، والصواب فتحها.

وفي صفحة ٦٩ شكل «الدامغاني» بتسكين الميم، والصواب فتحها.

ومن تسرعات المحقق وعثراته أيضاً:

أنه في أول سطر من كتاب الذهبي أسقط بضع كلمات، مع أنها موجودة في الأصول التي اعتمدها.

وفي صفحة ٢٧ بَدَّل قول الذهبي «ثم كثر بعد ذلك» وجعله «ثم تكاثر بعد ذلك» مع أن القول الأول مذكور في الأصول التي اعتمدها.

وفي صفحة ٢٩ أسقط كلمة «وخمسين» من قول الذهبي «سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة» وهذه اللفظة موجودة في الأصول التي اعتمدها.

ومن أوهامه أيضاً:

أنه في صفحة ١٠١ لم يستطع فهم كلام الذهبي، حيث وضع كلامه التالي: «كَرْمان، سِجِسْتان، الأَهْواز، تُسْتَر، قُوْمَس في سطر واحد وبخط عريض ـ كما هي عادته في البلدان التي يكون للذهبي كلام عليها ـ ثم ذكر تحت هذه الأسماء قول الذهبي «إقليم واسع...»، فدل هذا الصنيع على أن قول الذهبي «إقليم واسع...» يعود إلى البلدان الخمسة المذكورة، والصواب أنه يعود إلى قُوْمَس وحدها.

وفي صفحة ١٠٦ أسقط لفظة «منه» من نص المخطوط، وادعى أنها خطأ، مع أنه لا يصح الكلام إلا بها.

وفي صفحة ١٠٨ ـ ١٠٩ أثبت المحقق كلام الذهبي التالي: «قُهُسْتان: أكبر مدائن هذا الإقليم، ثم زَنْجان...» وعلق في الحاشية على لفظة «الإقليم» بقوله: «أي إقليم الجبال» وهذا خطأ لأن الذهبي يتكلم عن إقليم قُهُسْتان لا الجبال، وأمر آخر وهو أن العبارة التي أثبتها فيها سقط، وصوابها كما في الإعلان بالتوبيخ: «أكبر مدائن هذا الإقليم الرَّيّ، ثم زَنْجَان...».

وفي صفحة ١١٠ أثبت قول الذهبي: «فالأقاليم التي لا حديث بها يُروى، ولا عرفت بذلك الصين، أغلق الباب. والهند والسند...» وصورة ذلك عنده أنه وضع نقطة بعد قوله «أغلق الباب» وابتدأ الكلام التالي بسطر جديد موهماً أن الكلام غير مرتبط بسابقه ارتباطاً تاماً، والأمر خلاف ما فعل.

كما أن المحقق أدخل في أصل رسالة الذهبي جُملاً من كلام السخاوي.

أما الحاشية فقد أثقلها المحقق بالتراجم الطويلة المملة؛ والمخلة في بعض الأحيان، كما يلاحظ اعتماده في تراجم كثيرة على الكتب الحديثة كالأعلام للزِّرِكْلي، ويلاحظ عليه أيضاً إثقال الحواشي بما لا فائدة منه عند التعريف بالبلدان، وقد ولع فيها بالنقل دون تحقيق وتدقيق.

وأما المقدمة فلم تسلم من بعض الأوهام الشديدة، حيث قال فيها:

«ثبت لنا من خلال المقابلة التي أجريناها بين نسختنا من الكتاب، وما أثبته السخاوي في كتابه، بأن السخاوي رحمه الله اعتمد على نسخة فيها الكثير من النقص والزيادة...». وهذه دعوى فاسدة لأن السخاوي صرح عقب ذكره لرسالة الذهبي هذه بأنه تصرف فيها.

هذا ومن وراء ما ذكرته أمور كثيرة أُغْمض الطرف عنها خشية الإسهاب في الإطالة، مُتَمثلاً قول بعضهم:

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

عملي في الرسالة

قمت بنسخها من مصوَّرة المحمودية، وقابلت المنسوخ بها، ثم عارضته بما نقله السخاوي في الإعلان بالتوبيخ، وأثبت ما غلب على ظني أن الذهبي أراده، دون التزام نص معين.

ثم قمت بترجمة جميع الأعلام الواردة ـ سواء أكانت صريحة أو مهملة أو مبهمة ـ بإيجاز واف بالغرض، يُظهر مكانة الرجل العلمية، ومنزلته العدلية، مع ذكر كنيته، واسمه، واسم أبيه ـ وجده في كثير من الأحيان ـ ونسبته، وسنة وفاته[1]، كما ذكرت في كثير من التراجم بعض مصنفات أصحابها.

وقمت بعد ذلك بالتعريف بالبلدان عدا المدينة المشرفة، ومكة المكرمة، وبيت المقدس، ودمشق، والإسكندرية، وبغداد، وحمص، والكوفة، والبصرة، والأندلس، لأنها مشهورة الآن ومعروفة، إلا أنني عرفت ببعض

---

(١) فإن كان الذهبي رحمه الله تعالى ذكر وفاة الرجل أو اسمه أو كنيته أو نحو ذلك، فإني أهمل المذكور من الحاشية إلا إذا دعت الحاجة. كما أني لم أقف في بعض التراجم اليسيرة على جميع ما تحتاج إليه الترجمة، وبالنسبة للوفيات فلم أتعرض لذكر الاختلاف فيها إلا إذا لم يتبين لي الصحيح أو الراجح.

البلدان المشتهرة لكون حدودها تختلف في عرفنا اليوم عما كانت عليه سابقاً، وذلك كمصر واليمن والبحرين.

وقد بذلت غاية الجُهْد في تحديد البلدان، وتعيين جهتها وموضعها، حتى كنت أحياناً أجلس اليوم واليومين في تعريف البلد الواحد، مع مراعاتي للنظر في الخرائط الجغرافية، واستخلاص بعض الفوائد منها مما لم يذكر في معاجم البلدان لعدم الحاجة إليه في الزمن السابق.

ولم يقتصر عملي في البلدان على ذلك، بل ذكرت بعض الكتب المؤلفة في علماء ومحدثي كل بلد استطعت الوقوف على شيء من التصانيف المفردة[1] فيه.

ونهضت أيضاً لخدمة ما تبقى من النص فوضحت مبهمه، وبينت مشكِله، وشرحت مختصره، ونبهت على بعض فوائده.

كما حَرَصْت على ضبط جميع[2] الأعلام والبلدان المشكِلة ــ الواردة في الأصل والحاشية ــ بالشكل، لأنه كما قيل: «إعجام الكتب يمنع من استعجامها، وشكلها يصونُها عن إشكالها».

هذا ولا أدعي الصحة في جميع ما كتبته، وإنما هو جُهْد المقل، ووُسْع المُزْجى البِضاعة، القليل العلم بهذه الصناعة.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على رسوله سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه.

□ □ □

---

(١) لم أتعرض لذكر الكتب المشتملة على تراجم علماء عدة بلاد كطبقات ابن سعد؛ وتاريخ ابن أبي خيثمة؛ ومشاهير علماء الأمصار لابن حبان؛ والإرشاد للخليلي.

(٢) إلا ما لم أقف على ضبطه وهو يسير جداً.

بسم الله الرحمن الرحيم قال الامام الحافظ المحدث النقاد شمس الدين محمد بن احمد
بن عثمان الذهبي ما لفظه الامصار ذوات الاثار المدينة المشرفة
دار الهجرة كان العلم وافرا بها في زمن الصحابة من القران والسنن وفي زمن
التابعين كالفقهاء السبعة وفي زمن صغار التابعين كزيد بن اسلم وربيعة
الرازي ويحيى بن سعيد وابي الزناد ثم في زمن تابعي التابعين كعبيد الله بن عمر و

ابن ابي ذئب وابن عجلان وجعفر الصادق ثم الامام مالك ومقريها الامام نافع
وابراهيم بن سعد وسليمان بن بلال واسماعيل بن جعفر ثم تناقص العلم بها جدا في
الطبقة التي بعدهم ثم تلاشى مكة كان العلم بها يسيرا في زمن الصحابة ثم
كثر في اواخر عصر الصحابة وكذلك في ايام التابعين كمجاهد وعطاء بن ابي رباح
وسعيد بن جبير وابن ابي مليكة وفي زمن اصحابهم كعبد الله بن ابي نجيح وابن
كثير المقرئ وحنظلة بن ابي سفيان وابن جريج ونحوهم وفي زمن الرشيد
مسلم بن خالد الزنجي والفضيل بن عياض وابن عيينة ثم ابي عبد الرحمن
المقرئ والازرقي والحميدي وسعيد بن منصور ثم في اثناء المائة الثالثة
تناقص علم الحرمين وكثر بعدها بيت المقدس نزلها جماعة من الصحابة
كعبادة بن الصامت وشداد بن اوس وما زال بها علم يسير بالكثير ثم نقص
عند انه ملكها النصارى سبعين عاما ثم اخذها المسلمون دمشق نزلها
عدة من الصحابة منهم بلال الصحابي المؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وغيره وكثر بها العلم في زمن معاوية ثم في زمن عبد الملك واولاده وما
زالت بها الفقهاء والمقرئون والمحدثون في زمن الصحابة وتابعيهم ثم الى
ايام ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري وهشام ودحيم وسليمان
بن بنت شرحبيل ثم اصحابهم وعصرهم وهي دار قران وحديث
وفقه وتناقص العلم بها في المائة الرابعة والخامسة وكثر بعد ذلك
ولا سيما في دولة نور الدين وايام محدثها ابن عساكر والمقادسة
النازلين بسفحها ثم كثر بعد ذلك بابن تيمية والمزي واصحابهما
ولله الحمد مصر افتتحها عمرو بن العاص في زمن عمر رضي الله عنه وسكنها
خلق من الصحابة وكثر العلم بها في زمن التابعين ثم ازداد في زمن عمرو
بن الحارث ويحيى بن ايوب وحيوة بن شريح والليث بن سعد وابن
لهيعة والى زمن ابن وهب والامام الشافعي وابن القاسم واصحابهم
وما زال بها علم جم الى ان ضعف ذلك باستيلاء العبيديين الرافضة
عليها سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وبنوا القاهرة وشاع التشيع بها

الورقة الأولى من نسخة المكتبة المحمودية

وفي الحديث والسنة الى ان وليها امرا السنة النبوية وضعف الروافض
الاسكندرية تبعي لمصر ما زال بها الحديث قليلا حتى سكنها السلفي
مرحولا اليها في الحديث والقراءات ثم نقص بعد ذلك بغداد بنيت
ايام التابعين واول من بث فيها الحديث هشام بن عروة وبعده شعبة
وهشيم وكثر بها هذا الشان فلم تزل معمورة بالاثر والحنابلة من العلم
احمد بن حنبل ثم اصحابه وهي دار الاسناد العالي والحفظ الى ان استوصلت
في كاينة التتار الكفرة فبقيت على نحو الربع حمص نزلها خلق من الصحابة
وانتشر بها الحديث في زمن التابعين والى ايام حريز بن عثمان وعبد بن ابي
حمزة ثم اسمعيل بن عياش وبقية وابي المغيرة وابي اليمان ثم اصحابهم
ثم تناقص ذلك في المائة الرابعة وتلاشى الكوفة نزلها جماعة من الصحابة
كابن مسعود وعمار بن ياسر وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم وخلق من الصحابة
ثم كان بها من التابعين كعلقمة ومسروق وعبيدة والاسود ثم الشعبي
والنخعي والحكم بن عتيبة وحماد وابي اسحق ومنصور والاعمش ولجماعتهم
وما زال العلم بها متوفرا الى زمن ابن عقدة ثم تناقص شيئا فشيئا وتلاشى
وهي الان دار الروافض البصرة نزلها ابو موسى الاشعري وعمران
بن الحصين وابن عباس وعدة من الصحابة فكان خاتمتهم خادم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه انس بن مالك ثم الحسن البصري ومحمد بن
سيرين وابو العالية ثم قتادة وايوب وثابت البناني ويونس وابن عون
ثم حماد بن سلمة وحماد بن زيد واصحابهما وما زال بها هذا الشان وافرا
الى راس المائة الثالثة وتناقص جدا وتلاشى اليمن دخلها معاذ بن جبل وابو
موسى الاشعري اصله من تهامة اليمن وخرج منها ائمة التابعين وتفرقوا
في الاقاليم وكان بها جماعة من التابعين كوهب بن منبه واخوه همام بن منبه
وطاوس وابنه ثم معمر واصحابه ثم عبد الرزاق واصحابه وعدم منها
بعدهم الاسناد الاندلس كقرطبة واشبيلية وغرناطة وبلنسية
فتحت في ايام الوليد بن عبد الملك وطلب العلم اليها لكن اشتهر بها العلم والحديث

7

في المائة الثالثة بابن حبيب ويحيى بن يحيى واصحابهما ثم بقي بن مخلد ومحمد
بن وضاح وخرج منها مثل ابن عبد البر وابي عمرو الداني وابن حزم الظاهري
وابي الوليد الباجي وابي علي الغساني ولم تزل بها اثارة من علم الى ان
استولى على قرطبة واشبيلية النصارى فتناقص بها العلم اقليم المغرب
الادنى اقليم افريقية وامها هي مدينة القيروان كان بها سحنون
صاحب الفقه واما بجاية وتلمسان وفاس ومراكش وغالب
مداين المغرب فالحديث بها قليل وبها المسائل الجزئية اكبر مدائنها الموصل
خرج منها جماعة من المحدثين وحران والرقة وعدة مدن خرج منها
حفاظ وائمة ثم تناقص ثم انطوى البساط الدينور خرج منها
حفاظ كمحمد بن عبد العزيز الدينوري وابي محمد بن قتيبة وعبد الله بن محمد
بن وهب وعمر بن سهل المتوفى سنة ٣٣٣ وابي بكر بن السني همذان كانت
السنة بها ذات رونق لصالح بن احمد الحافظ ولشيرويه بن شهردار بن شيرويه
الديلمي وصار بها علما من سنة ٥٥٠ وعلم صار وختمتها الحافظ ابي العلاء
العطار والان دثر ثم استباحها التتار والجنكزخانية الري صارت
دار علم بجرير بن عبد الحميد وامثاله ثم بابن حميد وابن مهران الحمال وابراهيم
بن موسى وشهاب بن مخلد ثم بابن وارة وابي زرعة وابي حاتم وابنه
الى اثناء المائة الرابعة وذهب ذلك قزوين ذكرت في المائة الثالثة
وخرج منها محمد بن سعيد بن سابق القزويني وعلي بن محمد الطنافسي
وعمرو بن رافع واسمعيل بن توبة ويحيى بن عبدك وكثير بن هشام
وخلق بعدهم ثم ابن ماجة وصاحبه ابو الحسن القطان جرجان
صار بها حديث كثير في المائة الثالثة اسحق بن ابراهيم الطلقي ومحمد
بن عيسى الدامغاني ثم بابي نعيم بن عدي واسحق بن ابراهيم البحتري
وابي احمد بن عدي وابي بكر الاسمعيلي والغطريفي واصحابهم ثم
اغلق الباب نيسابور دار السنة والعوالي صارت بابراهيم بن طهمان
وحفص بن عبد الله ثم يحيى بن يحيى وابن راهويه ومحمد بن رافع وعثمان

الورقة الثانية من نسخة المكتبة المحمودية

بن بشر وعبد الله بن هاشم الذهلي واحمد بن يوسف ومسلم وابراهيم بن
ابي طالب وابي عبد الله البوشنجي ثم بابن خزيمة وابي العباس السراج
وابن الشرقي وما زال بها رجالها واخر شيوخها المؤيد الطوسي الى ان
دخلها التتار ثم مدينة كانت لم تكن طوس صارت دار علم بعد ان
كان بها محمد بن اسلم الطوسي واصحابه الى ان كان اخر الائمة بها الامام حجة
الاسلام الغزالي وهي بقدر جاه لحنا هراة منها ابو رجا عبد الله بن
الفضل بن عبد الله الهروي واحمد بن نجدة ومحمد بن عبد الرحمن الشامي الحسين
بن ادريس ومحمد بن المنذر وما زال بها علم وحديث وعالي اسناد الى ان
ختمت بابي روح عبد المعز بن محمد ودثرت مرو بلد كبير من اقاليم
خراسان خرج منها الائمة وكان بها بريدة بن الحصيب صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وطائفة من الصحابة ثم عبد الله بن بريدة ويحيى بن
وعدة من التابعين ثم الحسين بن واقد وابو حمزة السكوني وعبد الله
بن المبارك والفضل بن موسى وابو تميلة وعلي بن الحسن بن شقيق وعبدان
بن عثمان واصحابهم ثم نقص في المائة الرابعة ولم ينقطع الى خروج التتار
وفتر عن ذلك بلخ صار بها على اواخر المائة الثانية كعمر بن هارون
ومكي بن ابراهيم وخلف بن ايوب وقتيبة بن سعيد ومحمد بن ابان وعيسى
بن احمد العسقلاني ومحمد بن علي بن طرخان ثم نقص ذلك وتلاشى
بخارى نزلها عيسى بن موسى غنجار واحمد بن حفص الفقيه ومحمد بن سلام
البيكندي وعبد الله بن محمد المسندي وابو عبد الله البخاري وصالح بن محمد
جزرة واصحابهم وما زال بها صبابة حتى دخلها العدو بالسيف سمرقند
بها ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ثم محمد بن نصر المروزي وعمر
بن محمد بن بجير واخرون الشاش وهي اخر بلاد الاسلام التي بها
الحديث منها الحسن بن صاحب الشاشي والهيثم بن كليب ومحمد بن علي
ابو بكر القفال الشاشي ثم فرغ ذلك وعدم فرياب خرج منها
جماعة من العلماء اقدمهم محمد بن يوسف الفريابي صاحب الثوري ومنهم القاضي

[illegible] الفرهياني صاحب التصانيف سمع بعرفات سنة ٢٢٦ خوارزم
[illegible] المجلد الاول من تاريخها لرجل معاصر لابي القاسم بن عساكر
[illegible] خرج منها جماعة من العلماء من اقدمهم الحافظ عبد الله
[illegible] خرج منها جماعة من الفقهاء وحديثها قليل وقل من يحمل
[illegible] سجستان الاهواز تستر قومس اقليم واسع
[illegible] منه حديثا منه مدينة كبيرة وسمنان مدينة صغيرة وبسطام
مدينة متوسطة وهذه المداين الدامغان اول بلد من خراسان من
[illegible] الغربية قهستان اكبر مداين هذا الاقليم ثم زنجان وابهر
والعلم قهستان من اصفهان الاقليم قومس وهو غربي قومس وهو شرقي
[illegible] الراي متاخر لقزوين فالاقاليم التي لا حديث بها يروى
ولا عرفت بذلك الصين اغلق الباب والهند والسند والخطا وبلغار
[illegible] القفجاق وسراي وقرم وبلاد التكرور والحبشة والنوبة
وبجاوة والزنج والى اسوان وحضرموت والبحرين وعند ذلك واما
اليوم فقد كاد يعدم علم الاثر من العراق وفارس واذربيجان بل لا
يوجد ما ثم ان وجيلان وارمينية والجبال وخراسان التي كانت دار
الاثار واصبهان التي كانت تضاهي بغداد في علو الاسناد وكثرة
الحديث والاثر والباقي من ذلك في مصر ودمشق حرسها الله تعالى وملاطفها
وشيء يسير بمكة وشيء بغرناطة وما القروش بسبتة وشيء بتونس
[illegible] الخاتمة لكن القرآن وفروع الفقه موجود كثير شرقا
وغربا لكن ذلك [illegible] في المشرق وغيره بعلوم الاوائل واراء المتكلمين
والمعتزلة فالامر لله تعالى وهذا تصديق لقول الصادق المصدوق صلى الله
عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقل العلم ويكثر الجهل فنسال الله تعالى العظيم
علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا حلالا واسعا طيبا وحسن الخاتمة لنا
ولجميع المسلمين اجمعين امين وصلى الله على سيدنا محمد الامين وعلى اله وصحبه اجمعين
تم المقول بحمد الله وعونه وحسن توفيقه [illegible] اولا واخرا وظاهرا وباطنا

الورقة الثالثة من نسخة المكتبة المحمودية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام الحافظ المحدث النقاد شمس الدين محمد بن احمد
ابن عثمان الذهبي ما لفظه الامصار ذوات الآثار المدينة النبوية

دار الهجرة كان العلم وافرا بها في زمن الصحابة من القرآن والسنن
وفي زمن التابعين كالفقهاء السبعة وزمن صغار التابعين
كزيد بن اسلم وربيعة الرأي ويحيى بن سعيد وابي الزناد ثم
في زمن تابعي التابعين كعبد الله بن عمر وابن ابي ذئب وابن عجلان وجعفر
الصادق ثم الامام مالك ومقرئها الامام نافع وابراهيم بن سعد وسليمان
بن بلال واسماعيل بن جعفر ثم تناقص العلم بها جدا في الطبقة التي بعدهم
ثم تلاشى. مكة كان العلم بها يسيرا في زمن الصحابة ثم كثر في اواخر
عصر الصحابة وكذلك في ايام التابعين كمجاهد وعطاء بن ابي رباح وسعيد
ابن جبير وابن ابي مليكة وزمن اصحابهم كعبد الله بن ابي نجيح وابن كثير
المقرئ وحنظلة بن ابي سفيان وابن جريج ونحوهم وفي زمن الرشيد كمسلم
ابن خالد الزنجي والفضيل بن عياض وابن عيينة ثم الى عبد الرحمن المقرئ
والازرقي والحميدي وسعيد بن منصور ثم في اثناء المائة الثالثة تناقص
علم الحرمين وكثر بعدهما. بيت المقدس نزل بها جماعة من الصحابة كعبادة
ابن الصامت وشداد بن اوس وما زال بها علم ليس بالكثير ثم نقص
جدا ثم ملكها النصارى سبعين عاما ثم اخذها المسلمون. دمشق نزلها
عدة من الصحابة منهم بلال الصحابي المؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وغيره وكثر بها العلم في زمن معاوية ثم في زمن عبد الملك واولاده ولم تزل
بها الفقهاء والمقرئون والمحدثون في زمن الصحابة وتابعيهم ثم الى ايام
ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري وهشام ودحيم وسليمان بن بنت
شرحبيل ثم اصحابهم وعصرهم وهي دار قرآن وحديث وفقه وتناقص
العلم بها في المائة الرابعة والخامسة وكثر بعد ذلك ولاسيما في

بعده بغيرهما

الورقة الأولى من نسخة مكتبة الحرم النبوي الشريف

او ابو تميلة وعلي بن الحسن بن شقيق وعبدان بن عثمان واصحابهم
ثم نقص في المائة الرابعة ولم ينقطع الى خروج التتار وفرغ ذلك .
بلخ صار بها علماء اواخر المائة الثانية كعمرو بن هارون ومكي بن
ابراهيم وخلف بن ايوب وقتيبة بن سعيد ومحمد بن ابان وعيسى
ابن احمد العسقلاني ومحمد بن علي بن طرخان ثم نقص ذلك وتلاشى
بخارى نزلها عيسى بن موسى غنجار واحمد بن حفص الفقيه ومحمد بن
سلام البيكندي وعبد الله بن محمد المسندي وابو عبد الله البخاري
وصالح بن محمد جزره واصحابهم وما زال بها صبابة حتى دخلها العدو بالسيف
سمرقند بها ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ثم محمد
ابن نصر المروزي وعمر بن محمد بن بجير وآخرون الشاش وهي آخر
بلاد الاسلام التي بها الحديث منها الحسن بن صاحب الشاشي
والهيثم بن كليب ومحمد بن علي ابو بكر القفال الشاشي ثم نزع ذلك
وعدم فرياب خرج منها جماعة من العلماء اقدمهم محمد بن يوسف
الفريابي صاحب الثوري ومنهم القاضي جعفر بن محمد الفريابي صاحب
التصانيف سمع بفرياب كس خوارزم بلد كبير رايت المجلد
الاول من تاريخها لرجل معاصر لابي القاسم بن عساكر من ثمان مجلدات
خرج منها جماعة من العلماء من اقدمهم الحافظ عبد الله بن ابي
شيراز خرج منها جماعة من الفقهاء وحديثها اقل واقل من رحل
اليها كرمان سجستان الاهواز تستر قومس صغيرة
اقليم واسع خرج منه محدثون منه مدينة كبيرة وسمنان مدينة
وبسطام مدينة متوسطة وهذه المدائن الدامغان اوائل مدن

تعليل صح

خراسان

خراسان من الجهة الغربية قهستان ... اكبر مدائن هذا الاقليم ثم زنجان
والجبل اقليم قهستان ملاصق لاقليم قومس وهو غربي قومس وهو
شرق متشامل عن العراق متاخم لقزوين فالاقاليم التي لا احدث
بها يروى ولا عرفت بذلك الصين اغلق الباب والهند والسند
والخطا وبلغار وصحراء القفجاق وسراي وقدم وبلاد التكرور
والحبشة والنوبة والبجاه والزنج والى اسوان وحضرموت والبحرين
وغير ذلك واما اليوم فقد كاد يعدم علم الاثر من العراق وفارس
واذربيجان بل لا يوجد باران وجيلان وارمينية والجبال وخراسان
التي كانت دار الاثار واصبهان التي كانت تضاهي بغداد في علو
الاسناد وكثرة الحديث والاثر والباقي من ذلك في مصر ودمشق
حرسها الله تعالى وما تاخمها وشيء يسير بمكة وشيء بغرناطة وبالعقبة
وشيء بسبتة وشيء بتونس نسال الله حسن الخاتمة وغربا ذلك
مكدر في المشرق وغيره بعلوم الاوائل واراء المتكلمين والمعتزلة
فالامر لله تعالى وهذا تصديق لقول الصادق والمصدوق صلى الله
عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقل العلم ويكثر الجهل فنسال الله تعالى
العظيم علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا حلالا واسعا طيبا وحسن الخاتمة
لنا ولجميع المسلمين اجمعين امين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الامين
واله وصحبه اجمعين ٥٥٥ تم المنقول بحمد الله وعونه وحسن توفيقه
والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا وكان الفراغ من كتابته يوم الاثنين
خامس شهر شوال المكرم الذي هو من شهور سنة ... الهجرية على صاحبها الصلاة والتحية

الورقة الثانية من نسخة الحرم النبوي الشريف

واشبيلية النصارى فتناقص بها العلم اقليم المغرب

فادناه اقليم افريقية وامها هي مدينة القيروان كان بها سحنون

ابن سعيد الفقيه واما بجاية وتلمسان وفاس ومراكش وغالب

مداين المغرب فالحديث بها قليل وبها المسائل الجزيرة اكبر

مدائنها الموصل خرج منها جماعة من المحدثين وحران والرقة وغير

ذلك خرج منها حفاظ وائمة ثم تناقص ثم انطوى البساط الدينور

خرج منها حفاظ كمحمد بن عبد العزيز الدينوري وابي محمد بن قتيبة

وعبد الله بن محمد بن وهب وعمر بن سهل المتوفي سنة ٣٣ وابي بكر

ابن السني همذان دار السنة لها تاريخ لصالح بن احمد الحافظ ولشيرويه

ابن شهردار بن شيرويه الديلمي وصار لها علما من سنة ٢٥٥

وهلم جرا وختمت بالحافظ ابي العلاء العطار واولاده ثم استباحها

التتار والجنكزخانية الري صارت دار علم بجرير بن عبد الحميد

وامثاله ثم بابن حميد وابن مهران الجمال وابراهيم بن موسى

وشهاب بن مخلد ثم بابن وارة وابي زرعة وابي حاتم واستمر

الى اثناء المائة الرابعة وذهب ذلك قزوين ذكرت في المائة

الثانية وخرج منها محمد بن سعيد بن سابق القزويني وعلي بن محمد

الطنافسي وعمرو بن رافع واسماعيل بن توبة ويحيى بن عبدك وكثير

بن هشام وخلق بعدهم ثم ابن ماجه وصاحبه ابو الحسن القطان

جرجان صار بها حديث كثير في المائة الثالثة باسحاق بن ابراهيم

الطلقي ومحمد بن عيسى الدامغاني ثم بابي نعيم بن عدي واسحاق بن

ابراهيم السجزي والى احمد بن عدي وابي بكر الاسماعيلي [illegible] ولابي احمد

واصحابهم ثم اغلق الباب نيسابور دار السنة والعوالي

صارت بابراهيم بن طهمان وحفص بن عبد الله ثم يحيى بن يحيى

وابن راهويه ومحمد بن رافع وعبد الرحمن بن بشر وعبد الله

ابن هاشم الذهلي واحمد بن يوسف ومسلم وابراهيم بن ابي طالب

وابي عبد الله البوشنجي ثم بابن خزيمة وابي العباس السراج

وابن الشرقي وما زال يرحل اليها وآخر شيوخها المؤيد الطوسي

الى ان دخلها التتار ثم مضت كان لم تكن طوس صارت دار

علم بعد المائتين كان بها محمد بن اسلم الطوسي واصحابه الى ان كان

آخر الائمة بها الامام حجة الاسلام الغزالي وهي [illegible]

ظنا هراة منها ابو رجاء عبد الله بن واقد والفضل بن عبد الله

الهروي واحمد بن نجدة ومحمد بن عبد الرحمن الشامي والحسين

ابن ادريس ومحمد بن ادريس ومحمد بن المنذر وما زال بها

علم وحديث وعوالي اسناد الى ان ختمت بابي روح عبد المعز بن

محمد ودثرت مرو بلد كبير من اقاصي خراسان خرج

منها ائمة وكان بها بريدة بن الحصيب صاحب رسول الله

صلى الله عليه وسلم وطائفة من الصحابة ثم عبد الله بن

بريدة ويحيى بن احمد وعدة من التابعين ثم الحسين بن واقد

وابو حمزة السكري وعبد الله بن المبارك والفضل بن موسى

ابراهيم

الورقة الثالثة من نسخة الحرم النبوي الشريف

محدثها

دولة نور الدين وايام محدثها ابن عساكر والمقادسة النازلون بسفحها
ثم كثر بعد ذلك بابن تيمية والمزي واصحابهما ولله الحمد مصر
افتتحها عمرو بن العاص في زمن عمر رضي الله عنه وسكنها خلق من الصحابة
وكثر العلم بها في زمن التابعين ثم ازداد في زمن عمرو بن الحارث
ويحيى بن ايوب وحيوة بن شريح والليث بن سعد وابن لهيعة
والى زمن ابن وهب والامام الشافعي وابن القاسم واصحابهم
وما زال بها علم جم الى ان ضعف ذلك باستيلاء العبيديين
الرافضة عليها سنة خمسين وثلثمائة وبنوا القاهرة وشاع
التشيع بها وقل الحديث والسنة الى ان وليها امراء السنة النبوية
وضعف الروافض والحمد لله الاسكندرية تبع لمصر ما زال بها الحديث
قليلا حتى سكنها السلفي فصارت مرحولا اليها في الحديث والقرآن
ثم نقص بعد ذلك بغداد بنيت في آخر ايام التابعين واول من بث
بها الحديث هشام بن عروة وبعده شعبة وهشيم وكثر بها هذا الشأن
فلم تزل معمورة بالاثر والخبر الى زمن الامام احمد بن حنبل ثم اصحابه
وهي دار الاسناد العالي والحفظ الى ان استؤصلت في كائنة التتار
الكفرة فبقيت على نحو الربع حمص نزلها خلق من الصحابة وانتشر بها الحديث
في زمن التابعين والى ايام جرير بن عثمان وسعيد بن ابي حمزة ثم اسمعيل
ابن عياش وبقية والى المغيرة والى اليمان ثم اصحابهم ثم تناقص ذلك
في المائة الرابعة وتلاشى الكوفة نزلها جماعة من الصحابة كابن مسعود
وعمار بن ياسر وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم وخلق من الصحابة

ثم كان

ثم كان بها من التابعين كعلقمة ومسروق وعبيدة والاسود
ثم الشعبي والنخعي والحكم بن عتيبة وحماد وابي اسحاق ومنصور
والاعمش واصحابهم وما زال العلم بها متوفرا الى زمن ابن عقدة
ثم تناقص شيئا فشيئا وتلاشى وهي الآن دار الروافض ∴
البصرة نزلها ابو موسى الاشعري وعمران بن الحصين وابن عباس
وعدة من الصحابة وكان خاتمتهم خادم رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وصويحبه انس بن مالك ثم الحسن البصري ومحمد بن
سيرين وابو العالية ثم قتادة وايوب وثابت البناني ويونس
وابن عون ثم حماد بن سلمة وحماد بن زيد واصحابهما وما زال بها
هذا الشأن وافرا الى راس المائة الثالثة وتناقص جدا وتلاشى
اليمن دخلها معاذ بن جبل وابو موسى الاشعري اصله من تهامة
اليمن وخرج منها ائمة التابعين وتفرقوا في الارض وكان بها جماعة
من التابعين كوهب بن منبه واخوه همام بن منبه وطاوس
وابنه ثم معمر واصحابه ثم عبد الرزاق واصحابه وعدم منها
بعدهم الاسناد الاندلس كقرطبة واشبيلية وغرناطة وبلنسية
فتحت في ايام الوليد بن عبد الملك وجلب العلم اليها لكن اشتهر
بها العلم والحديث في المائة الثالثة بابن حبيب ويحيى بن يحيى
واصحابهما ثم بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح وخرج منها مثل ابن
عبد البر وابي عمرو الداني وابن حزم الظاهري وابي الوليد الباجي
وابي علي الغساني ولم تزل بها آثارة من علم الى ان استولى على قرطبة

الورقة الرابعة من نسخة الحرم النبوي الشريف



الأمصار ذوات الآثار

للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان
الذهبي الدمشقي
(٦٧٣ - ٧٤٨هـ)

حققه وعلق عليه
قاسم علي سعد



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام، الحافظ، المحدث، النقّاد، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ما لفظه:

«الأمصار ذوات الآثار»

المدينةُ المشَرَّفة*[1]:

دار الهجرة، كان العلم وافراً بها في زمن الصحابة من القرآن

---

*١ جمع تاريخ رجالها وعلمائها عدد من المؤرخين منهم:

الحافظ المؤرخ عفيف الدين أبو جعفر وأبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد الأنصاري الخَزْرجي السَّعْدي العُبَادي المدني، ابن الحافظ جمال الدين المَطَري، المتوفى سنة ٧٦٥، وسماه: «الإعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام».

والحافظ المؤرخ شمس الدين أبو الخير وأبو عبدالله محمد بن عبدالرحمٰن السَّخاوي القاهري، المتوفى سنة ٩٠٢ وسماه: «التُّحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة».

والقاضي المؤرخ بدرالدين أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون اليَعْمُري المدني، المتوفى سنة ٧٦٩ وسماه «نصيحة المُشَاوِر وتَعْزِية المجاوِر».

والمحدث المؤرخ جلال الدين وأمين الدين أبو عبدالله وأبو طَيْبَة محمد بن أحمد بن أمين الأَقْشَهْري ثم القُونَوي ثم المدني، المتوفى سنة ٧٣٩ وسماه: =

والسنن، وفي زمن التابعين كالفقهاء السَّبعة[1]، وزمن صغار التابعين

= «الروضة الفِردوسية والحَضِيْرَة القُدسية» ذكر فيه أسماء من دُفن بالبقيع.

والعلّامة مجدالدين أبو الطاهر وأبو عبدالله محمد بن يعقوب الفِيْرُوْزَآبَاذي، الشِّيرازي، اللُّغوي، المتوفى سنة ٨١٧ وسماه «المغانم المُطابة في معالم طَابة» وهو يشتمل على التراجم، والأمكنة وغير ذلك.

الدرر الكامنة ٢/٣٩١، ٣/٣٩٨، التُّحفة اللطيفة ١/٢٠، ٢/٣٨٧، ٣/٤٠٣، ٣/٤٦٣، الضوء اللامع ١٠/٨٢، الإعلان بالتوبيخ ٦٤٣.

(١) الفقهاء السبعة هم:

١ ــ الإمام، العلم، الحجة، سيد التابعين، أبو محمد سعيد بن المسيِّب القُرشي، المخزومي، المدني، المتوفى سنة ٩٤.

سير أعلام النبلاء ٤/٢١٧، تذكرة الحفاظ ١/٥٤، تهذيب التهذيب ٤/٨٤.

٢ ــ والإمام، الثقة، أبو عبدالله عُرْوة بن الزبير بن العَوّام القُرشي، الأَسَدي، المدني، المتوفى سنة ٩٤.

سير أعلام النبلاء ٤/٤٢١، تذكرة الحفاظ ١/٦٢، تهذيب التهذيب ٧/١٨٠.

٣ ــ والإمام، الثقة، أبو سَلَمة بن عبدالرحمٰن بن عَوْف القُرشي، الزُّهْري، المدني، المتوفى سنة ٩٤.

سير أعلام النبلاء ٤/٢٨٧، تذكرة الحفاظ ١/٦٣، تهذيب التهذيب ١٢/١١٥.

٤ ــ والإمام، الثقة، أبو عبدالله عُبَيْدالله بن عبدالله بن عُتْبة بن مسعود الهُذَلي، المدني، المتوفى سنة ٩٨.

سير أعلام النبلاء ٤/٤٧٥، تذكرة الحفاظ ١/٧٨، تهذيب التهذيب ٧/٢٣.

٥ ــ والإمام، الثقة، أبو زيد خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، المدني، المتوفى سنة ١٠٠، وقيل: سنة ٩٩.

سير أعلام النبلاء ٤/٤٣٧، تهذيب التهذيب ٣/٧٤.

٦ ــ والإمام، الحجة، أبو محمد، وأبو عبدالرحمٰن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصِّديق القُرشي، المدني، المتوفى سنة ١٠٦. =

«كزيد بن أسلم[1]، وربيعة[2] الرأي[3]، ويحيى بن سعيد[4]،

= سير أعلام النبلاء ٥/٥٣، تذكرة الحفاظ ١/٩٦، تهذيب التهذيب ٧/٣٣٣.

٧ ــ والإمام، الثقة، أبو أيوب، وقيل: أبوعبدالرحمٰن، وقيل: أبوعبدالله سليمان بن يَسَار المدني، المتوفى سنة ١٠٧.

فهؤلاء هم الفقهاء السَّبعة عند الأكثر من علماء الحجاز، كما نَصَّ عليه أبوعبدالله الحاكم في كتابه «معرفة علوم الحديث» ص ٤٣.

لكن الإمَامَ عبدَالله بن المبارك جعل بدلَ أبي سَلَمة بن عبدالرحمٰن، الإمامَ، الزاهد، الثبت، أبا عمر، وأبا عبدالله سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي، المدني، المتوفى سنة ١٠٦.

سير أعلام النبلاء ٤/٤٥٧، تذكرة الحفاظ ١/٨٨، تهذيب التهذيب ٣/٤٣٦، علوم الحديث لابن الصلاح ٢٧٤.

كما أن الحافظ أبا الزِّناد عبدالله بن ذَكْوان جعل بدلَ أبي سلمة، وسالم، الإمامَ، الثقة، أبا بكر بن عبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، المدني، المتوفى سنة ٩٤.

سير أعلام النبلاء ٤/٤١٦، تذكرة الحفاظ ١/٦٣، تهذيب التهذيب ١٢/٣٠، علوم الحديث لابن الصلاح ٢٧٤.

(١) هو الإمام، الثقة، الفقيه، أبوعبدالله، أو أبو أسامة العدوي، المدني، مولى عبدالله بن عمر، المتوفى سنة ١٣٦.

سير أعلام النبلاء ٥/٣١٦، تذكرة الحفاظ ١/١٣٢، تهذيب التهذيب ٣/٣٩٥.

(٢) هو الإمام، الثقة، الفقيه، أبوعثمان ربيعة بن أبي عبدالرحمٰن فَرّوخ المدني، المعروف بربيعة الرأي وذلك لاجتهاده وبصره بالرأي والفقه. وقد توفي سنة ١٣٦.

سير أعلام النبلاء ٦/٨٩، تذكرة الحفاظ ١/١٥٧، تهذيب التهذيب ٣/٢٥٨.

(٣) في المخطوط (الرازي) وهو تحريف.

(٤) هو الإمام، الحافظ، الحجة، أبوسعيد الأنصاري، المدني، المتوفى سنة ١٤٣. =

وأبي الزِّناد[1]، ثم في زمن تابعي التابعين»[2] كعبيدالله بن عمر[3]، وابن أبي ذئب[4]، وابن عجلان[5]، وجعفر

= سير أعلام النبلاء ٥/٤٦٨، تذكرة الحفاظ ١/١٣٧، تهذيب التهذيب ١١/٢٢١.

(١) هو الإمام، الفقيه، الحافظ، الثقة، أبو عبدالرحمٰن عبدالله بن ذَكْوان المدني، الملقب بأبي الزِّناد، المتوفى سنة ١٣١ وقيل غير ذلك.
سير أعلام النبلاء ٥/٤٤٥، تذكرة الحفاظ ١/١٣٤، تهذيب التهذيب ٥/٢٠٣.

(٢) ما بين الشَّوْلتين المزدوجتين ساقط من (ق) و(ع)، والصواب إثباته.

(٣) هو الإمام، الحافظ، الثبت، أبو عثمان عبيدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني المتوفى سنة ١٤٧.
سير أعلام النبلاء ٦/٣٠٤، تذكرة الحفاظ ١/١٦٠، تهذيب التهذيب ٧/٣٨.
وقد وقع في المخطوط، و(ق) و(ع): (كعبدالله بن عمر) وهو تصحيف فيما أرى، وعبدالله هو أخو عبيدالله:
الإمام أبو عبدالرحمٰن بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، المتوفى سنة ١٧١، وهو ضعيف الحديث.
سير أعلام النبلاء ٧/٣٣٩، تهذيب التهذيب ٥/٣٢٦، تقريب التهذيب ١/٤٣٥.
فتأخرُ وفاة عبدالله، وضعفُهُ حملاني على عدم إثباته ـ والله أعلم ـ.
ملاحظة: عبيدالله بن عمر، وابن عجلان، وجعفر الصادق، من صغار التابعين، أما ابن أبي ذئب فإنه من تابعي التابعين.

(٤) هو الإمام، الثبت، الفقيه، أبو الحارث محمد بن عبدالرحمٰن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب القرشي، المدني، المتوفى سنة ١٥٩.
سير أعلام النبلاء ٧/١٣٩، تذكرة الحفاظ ١/١٩١، تهذيب التهذيب ٩/٣٠٣.

(٥) هو الإمام، الصدوق، الصالح، أبو عبدالله محمد بن عَجْلان المدني، المتوفى سنة ١٤٨. =

الصادق[1]؛ ثم الإمام مالك[2]، ومقرئها الإمام نافع[3]، وإبراهيم بن سعد[4]، وسليمان بن بلال[5]، وإسماعيل بن جعفر[6]؛ ثم تناقص

= سير أعلام النبلاء ٣١٧/٦، تذكرة الحفاظ ١٦٥/١، تهذيب التهذيب ٣٤١/٩.

(١) هو الإمام، الفقيه، الصدوق، أبو عبدالله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، المدني، المعروف بجعفر الصادق، توفي سنة ١٤٨.
سير أعلام النبلاء ٢٥٥/٦، تذكرة الحفاظ ١٦٦/١، تهذيب التهذيب ١٠٣/٢، تقريب التهذيب ١٣٢/١.

(٢) هو سيد الحفاظ، الفقيه، الحجة، أبو عبدالله مالك بن أنس الأَصْبَحي، المدني، المتوفى سنة ١٧٩.
سير أعلام النبلاء ٤٨/٨، تذكرة الحفاظ ٢٠٧/١، تهذيب التهذيب ٥/١٠.

(٣) هو المقرىء الكبير، أبو رُوَيْم ـ وقيل في كنيته غير ذلك ـ نافع بن عبدالرحمٰن بن أبي نعيم، أحد القراء السبعة، ومقرىء أهل المدينة، وهو ثبت حجة في القراءة، صدوق في الحديث، توفي سنة ١٦٩.
سير أعلام النبلاء ٣٣٦/٧، تهذيب التهذيب ٤٠٧/١٠، تقريب التهذيب ٢٩٦/٢.

(٤) هو الإمام، الحافظ الكبير، الحجة، أبو إسحاق بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمٰن بن عوف القرشي، الزُّهري، المدني، نزيل بغداد، المتوفى سنة ١٨٣ وقيل غير ذلك.
تاريخ بغداد ٨١/٦، سير أعلام النبلاء ٣٠٤/٨، تذكرة الحفاظ ٢٥٢/١، تهذيب التهذيب ١٢١/١.

(٥) هو الإمام، الحافظ، الثقة، أبو محمد، وقيل: أبو أيوب المدني، المتوفى سنة ١٧٢.
سير أعلام النبلاء ٤٢٥/٧، تذكرة الحفاظ ٢٣٤/١، تهذيب التهذيب ١٧٥/٤.

(٦) هو الإمام، الحافظ، المقرىء، الثبت، أبو إسحاق الأنصاري مولاهم المدني =

العلم بها جداً في الطبقة التي بعدهم، ثم تلاشى(1).

مكـــة*١:

كان العلم بها يسيراً في زمن الصحابة، ثم كثر في أواخر عصر الصحابة، وكذلك في أيام التابعين كمجاهد(2)، وعطاء بن

= ثم البغدادي المتوفى سنة ١٨٠.

تاريخ بغداد ٦/٢١٨، سير أعلام النبلاء ٨/٢٢٨، تذكرة الحفاظ ١/٢٥٠، تهذيب التهذيب ١/٢٨٧.

(١) قال السخاوي في الإعلان بالتوبيخ، ص ٦٦٠ عقب كلام الذهبي هذا ما نصه: «قلت: سيما وقد سكنها جماعة من الروافض، وتحكموا بها، وغلب أمرهم عليها.

ولكن نشأ بها في القرنين الثامن، والتاسع أفراد من العلماء في غالب المذاهب والفنون، انتفع بهم أهل السنة، وفيهم ممن صنّف عدد يسير، والسنة بحمد الله الآن ـ أي في زمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ بالمدينة المنورة ـ مُعْتضِدة بمن شاء الله من فضلاء أهلها، من قضاتها، وغيرهم».

*١ صنف في رجال مكة وعلمائها عدد من الأئمة والمؤرخين منهم الإمام التقي الفاسي أبو الطيب محمد بن أحمد المكي المتوفى سنة ٨٣٢، وسمى كتابه: «العِقْد الثمين في تاريخ البلد الأمين» وقد ذيل عليه نجم الدين أبو القاسم عمر بن محمد بن محمد القرشي المكي المعروف بابن فهد والمتوفى سنة ٨٨٥ وسماه: «الدر الكمين بذيل العقد الثمين» وذيل على هذا الذيل ابن نجم الدين الحافظ عزالدين أبو الخير وأبو فارس عبدالعزيز المكي المعروف بابن فهد أيضاً والمتوفى سنة ٩٢١ تقريباً. الإعلان بالتوبيخ ٦٥٠ ـ ٦٥١.

(٢) هو الإمام، المقرىء، المفسر، الحافظ، الثقة، أبو الحجاج بن جَبْر المكي، المتوفى سنة ١٠٣ وقيل غير ذلك.

سير أعلام النبلاء ٤/٤٤٩، تذكرة الحفاظ ١/٩٢، تهذيب التهذيب ١٠/٤٢.

أبـي رَباح[1]، وسعيد بن جُبير[2]، وابن أبـي مُلَيْكَة[3]، وزمن أصحابهم كعبـدالله بن أبـي نَجيـح[4]، وابن كثيـر المقـرىء[5]، وحنـظلة بن أبـي سفيان[6]، وابن جُرَيْج[7]، ونحوهم.

---

(١) هو الإمام، العَلَم، الثقة، أبو محمد بن أبي رباح أسلم، مفتي مكة، ومحدثها، المتوفى سنة ١١٤.
سير أعلام النبلاء ٥/٧٨، تذكـرة الحفاظ ١/٩٨، تهـذيب التهذيب ٧/١٩٩.

(٢) هو الإمام، الحافظ، المقرىء، الفقيه، المفسر، الثبت، أبو محمد، ويقال: أبو عبدالله الكوفي، المقتول سنة ٩٥.
سير أعلام النبلاء ٤/٣٢١، تذكرة الحفاظ ١/٧٦، تهذيب التهذيب ٤/١١.

(٣) هو الإمام، الحافظ، الحجة، أبو بكر، وقيل: أبو محمد عبدالله بن عبيدالله بن أبـي مُلَيْكة زهير القرشي المكي، المتوفى سنة ١١٧.
سير أعلام النبلاء ٥/٨٨، تذكرة الحفاظ ١/١٠١، تهذيب التهذيب ٥/٣٠٦.

(٤) هو الإمام، المفسر، الثقة، أبو يسار بن أبـي نَجيح يسار المكي، المتوفى سنة ١٣١. سير أعلام النبلاء ٦/١٢٥، تهذيب التهذيب ٦/٥٤.

(٥) هو الإمام، العَلَم، أبو مَعْبد عبدالله بن كثير، مقـرىء مكة، وأحـد القراء السبعة، صدوق في الحديث، ثبت في القراءة. توفي سنة ١٢٠.
سير أعلام النبلاء ٥/٣١٨، تهذيب التهذيب ٥/٣٦٧.

(٦) هو الإمام، الحافظ، الثبت، الجُمحي المكي، المتوفى سنة ١٥١.
سير أعلام النبلاء ٦/٣٣٦، تذكرة الحفاظ ١/١٧٦، تهذيب التهذيب ٣/٦٠.

(٧) هو الإمام، الحافظ، الفقيه، الثقة، أبو خـالد، وأبـو الوليـد عبدالملك بن عبدالعزيز بن جُرَيْج المكي، صاحب التصانيف، بل هو أول من صنف الكتب بمكة، توفي سنة ١٥٠.
تاريخ بغداد ١٠/٤٠٠، سير أعلام النبلاء ٦/٣٢٥، تذكرة الحفـاظ ١/١٦٩، تهذيب التهذيب ٦/٤٠٢.

وفي زمن الرشيد[1] كمسلم بن خالد الزَّنْجي[2]، والفُضيل بن عياض[3]، وابن عُيَيْنة[4]، ثم أبي عبدالرحمٰن المقرىء[5]، والأَزْرَقي[6]،

---

(١) هو أمير المؤمنين، الخليفة العباسي، النبيل، الفاتح، الغازي، أبو جعفر هارون الرشيد بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، الهاشمي، استخلف سنة ١٧٠، وكان له نظر في العلم والأدب، يحب العلماء، ويحسن إليهم، وكان يحج عاماً ويغزو عاماً، ومات غازياً بخُراسان، ودفن بطُوْس سنة ١٩٣.

تاريخ بغداد ١٤/٥، سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٩، تاريخ الخلفاء ١٨٨.

(٢) هو الإمام، الفقيه، أبو خالد الزَّنجي المكي، ولقب بالزَّنجي لسواده، وقيل: كان أشقر فلقب بالضد، وقيل: لقب بذلك لحبه للتمر.

وهو صدوق، كثير الأوهام كما قال ابن حجر. توفي سنة ١٨٠ وقيل سنة ١٧٩.

سير أعلام النبلاء ١٧٦/٨، تذكرة الحفاظ ٢٥٥/١، تهذيب التهذيب ١٢٨/١٠، تقريب التهذيب ٢٤٥/٢.

(٣) هو الإمام، العلم، الزاهد، العابد، الثبت، أبو علي الخراساني ثم المكي المجاور، توفي سنة ١٨٧.

سير أعلام النبلاء ٤٢١/٨، تذكرة الحفاظ ٢٤٥/١، تهذيب التهذيب ٢٩٤/٨.

(٤) هو الإمام، العلم، الحافظ الكبير، الحجة، أبو محمد سفيان بن عُيينة الهِلالي، الكوفي ثم المكي، المتوفى سنة ١٩٨.

تاريخ بغداد ١٧٤/٩، سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٨، تذكرة الحفاظ ٢٦٢/١، تهذيب التهذيب ١١٧/٤.

(٥) هو الإمام، المقرىء، الحافظ، الحجة، شيخ الحرم، عبدالله بن يزيد بن عبدالرحمٰن الأَهْوازي الأصل، البصري، ثم المكي، المتوفى سنة ٢١٣.

سير أعلام النبلاء ١٦٦/١٠، تذكرة الحفاظ ٣٦٧/١، تهذيب التهذيب ٨٣/٦.

(٦) هو الإمام، الثقة، أبو محمد أو أبو الوليد أحمد بن محمد بن الوليد بن عُقبة بن الأزرق الغساني، المكي، المعروف بالأَزْرقي، جدّ أبي الوليد محمد بن =

والحُمَيْدي[1]، وسعيد بن منصور[2].

ثم في أثناء المئة الثالثة تناقص علم الحرمين، وكثر بغيرهما[3].

بيت المَقْدِس*١:

نزلها جماعة من الصحابة كعُبَادة بن الصامت[4]، وشَدَّاد بن

= عبدالله بن أحمد الأزرقي صاحبِ تاريخ مكة، توفي سنة ٢١٧، وقيل: سنة ٢٢٢، وقيل غير ذلك.

الأنساب ١/٢٠١، تهذيب التهذيب ١/٧٩، تقريب التهذيب ١/٢٥.

(١) هو الإمام، الفقيه، الحافظ، الثبت، شيخ الحرم، أبو بكر عبدالله بن الزبير بن عيسى القرشي، الأسَدي، الحُمَيْدي، المكي، من كبار أصحاب الشافعي، وصاحب المسند، المتوفى سنة ٢١٩.

سير أعلام النبلاء ١٠/٦١٦، تذكرة الحفاظ ٢/٤١٣، تهذيب التهذيب ٥/٢١٥.

(٢) هو الإمام، الحافظ، الحجة، شيخ الحرم، أبو عثمان الخُراساني، المَرْوزي، ويقال: الطَّالَقاني، ثم البلْخي، ثم المكي، مصنف كتاب السنن وغيره، المتوفى سنة ٢٢٧.

سير أعلام النبلاء ١٠/٥٨٦، تذكرة الحفاظ ٢/٤١٦، تهذيب التهذيب ٤/٨٩.

(٣) في المخطوط (بعدهما)، والصواب ما أثبته عن (ق) و(ع).

*١ صنف في تاريخ بيت المقدس الحافظ أبو القاسم بن الرميلي مكي بن عبدالسلام المقدسي، الذي استشهد سنة ٤٩٢ على يد الفرنجة، وللحافظ شمس الدين أبي بكر محمد بن عبدالله المقدسي الحنبلي ابن المحب المتوفى سنة ٧٨٩ كتاب «تجريد من نزل بيت المقدس». الإعلان بالتوبيخ ٦٢٤ـ ٦٢٥.

وللقاضي مجيرالدين عبدالرحمٰن بن محمد العُليمي المقدسي المتوفى سنة ٩٢٨ كتاب: «الأنس الجليل بتاريخ القُدُس والخليل» ترجم فيه لمجموعة كبيرة من علماء البلدين إلى جانب الحوادث التاريخية.

(٤) هو أحد أئمة الصحابة، وعلمائهم، وفقهائهم، ومقرئيهم، أبو الوليد الأنصاري =

أَوْس[1]؛ وما زال بها علم ليس بالكثير، ثم نقص جداً، ثم ملكها النصارى[2] تسعين[3] عاماً، ثم أخذها المسلمون[4].

دِمَشْق*١:

نـزلها عـدة من الصحابـة، منهم: بـلال الصحـابـي[5] المؤذن

= الخزرجي، شهد بدراً والمشاهد كلها، وهو أحد النقباء ليلة العقبة الأولى، بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام معلماً ومفقهاً، فأقام بفلسطين، وتوفي بالرملة سنة ٣٤. الإصابة ٢/ ٢٦٠، سير أعلام النبلاء ٢/ ٥.

(١) هـو أحد أئمـة الصحـابـة، وعلمـائهم، وصـالحيهم، أبـو يعلى، وقيـل: أبو عبدالرحمٰن الأنصاري الخزرجي، نزيـل بيت المقدس، والمتـوفى بها سنة ٥٨. الإصابة ٢/ ١٣٨، سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٦٠.

(٢) وذلك في سنة ٤٩٢. الكامل في التاريخ ١٠/ ٢٨٢. والضمير في قولـه (ملكها) يعود إلى القدس.

(٣) في المخطوط (سبعين)، والصواب ما أثبته عن (ق) و(ع).

(٤) وذلك في سنة ٥٨٣، حيث استردها صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب. الكامل في التاريخ ١١/ ٥٤٦.

*١ جمع تاريخ رجالها الحافظ الكبيـر أبو القـاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ وسماه «تاريخ دمشق»، وقد ذيل على هذا الكتاب ولد أبـي القاسم أبو محمد القاسم المتوفى سنة ٦٠٠ لكنه لم يكمله، كما ذيل عليه أيضاً الحافظ عزالدين أبو الفتح عمر بن محمد الدمشقي ابنُ الحاجب، المتوفى سنة ٦٣٠، والإمامُ صدرالدين الحسن بن محمد البكري المتوفى سنة ٦٥٦.

وللحافظ أبـي شامة شهاب الدين أبـي القاسم عبدالرحمٰن بن إسماعيل الدمشقي المتوفى سنة ٦٦٥ مختصران لتاريخ أبـي القاسم كبير وصغير، وقد ذيل على مختصر أبـي شامة الحافظ، الإمام، عالم الدين أبو محمد القاسم بن محمد البِرْزالي المتوفى سنة ٧٣٩، كما أن للحافظ الذهبـي مختصراً لتاريخ ابن عساكر.

الذيل على الروضتين ٣٩، مقدمة الوافي ١/ ٤٨، الإعلان بالتوبيخ ٦٣١.

(٥) هو أحد الصحابة المشهود لهم بالجنة أبو عبدالكريم، وقيل: أبو عبدالله، =

لرسول الله ﷺ، وغيره، كثر بها العلم في زمن معاوية[1]، ثم في زمن عبدالملك[2]، وأولاده[3]، وما زالت بها الفقهاء، والمقرئون، والمحدثون في زمن التابعين[4]، وتابعيهم، ثم إلى أيام أبي مُسْهِر[5]،

= وقيل: أبو عمرو بلال بن رباح، أعتقه أبو بكر الصديق، وشهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها، ولما توفي رسول الله ﷺ خرج مجاهداً، وتوفي بالشام بداريا أو بحلب، وذلك في سنة ٢٠ أو ٢١.

الإصابة ١/١٦٩، سير أعلام النبلاء ١/٣٤٧.

(١) هو الصحابي الجليل، أمير المؤمنين، وملك الإسلام، وكاتب رسول الله ﷺ، أحد الموصوفين بالدهاء، والحِلْم، الفقيه أبو عبدالرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب القرشي الأموي، أسلم هو وأبوه يوم الفتح، وكان من المؤلَّفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه، وقيل: إنه أسلم وقت عُمرة القضاء، ولم يظهر إسلامه قبل يوم الفتح، توفي سنة ٦٠ على الصحيح.

الإصابة ٣/٤١٢، سير أعلام النبلاء ٣/١١٩، تاريخ الخلفاء ١٣٠.

(٢) هو الخليفة، الفقيه، العالم أبو الوليد عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي، استخلف في سنة ٦٥، ولم يكن محمود السيرة بعد الخلافة. وتوفي في سنة ٨٦. تاريخ بغداد ١٠/٣٨٨، سير أعلام النبلاء ٤/٢٤٦، تهذيب التهذيب ٦/٤٢٢، تاريخ الخلفاء ١٤٣.

(٣) أولاد عبدالملك هم:

الخليفة الفاتح أبو العباس الوليد، استخلف بعد موت أبيه، وتوفي سنة ٩٦، والخليفة العادل أبو أيوب سليمان، استخلف بعد موت أخيه الوليد، وتوفي سنة ٩٩، والخليفة أبو خالد يزيد، استخلف بعد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وتوفي سنة ١٠٥، والخليفة أبو الوليد هشام، استخلف بعد أخيه يزيد، وتوفي سنة ١٢٥.

(٤) في المخطوط (الصحابة)، والصواب ما أثبته عن (ق) و(ع).

(٥) هو الإمام، الحافظ، الفقيه، الثبت، الفاضل، عبدالأعلى بن مُسْهِر الغساني، الدمشقي، امتحن بمسألة خلق القرآن، وتوفي في سجن المأمون سنة ٢١٨.

تاريخ بغداد ١١/٧٢، سير أعلام النبلاء ١٠/٢٢٨، تذكرة الحفاظ ١/٣٨١، تهذيب التهذيب ٦/٩٨.

ومروان بن محمد الطَّاطَري[1]، وهشام[2]، ودُحَيْم[3]، وسليمان بن بنت شُرَحْبيل[4]، ثم أصحابهم، وعصرهم.

وهي دار قرآن، وحديث، وفقه.

وتناقص العلم بها في المئة[5] الرابعة، والخامسة، وكثر بعد ذلك

---

(١) هو الإمام، الحافظ، الثبت، الخيّر، أبو بكر، ويقال: أبو حفص، ويقال: أبو عبدالرحمٰن الدمشقي، المتوفى سنة ٢١٠.
سير أعلام النبلاء ٥١٠/٩، تذكرة الحفاظ ٣٤٨/١، تهذيب التهذيب ٩٥/١٠.

(٢) هو الإمام، الحافظ، المقرىء، المفتي، البليغ، أبو الوليد هشام بن عمار السُّلمي، خطيب دمشق وعالمها، قال فيه ابن حجر: «صدوق، كبر فصار يتلقن، فحديثه القديم أصح»، وقال فيه الذهبي: «صدوق، مكثر له ما ينكر». وتوفي سنة ٢٤٥.
سير أعلام النبلاء ٤٢٠/١١، تذكرة الحفاظ ٤٥١/٢، ميزان الاعتدال ٣٠٢/٤، تهذيب التهذيب ٥١/١١، تقريب التهذيب ٣٢٠/٢.

(٣) هو الإمام، الحافظ، الفقيه، الثبت، المتقن، محدث الشام، أبو سعيد عبدالرحمٰن بن إبراهيم بن عمرو الدمشقي، المعروف بدُحَيْم ابن اليتيم، ولي قضاء الأردن وفلسطين، وكان ينتحل في الفقه مذهب الأوزاعي، وله تصانيف منها كتاب الطبقات، توفي بالرملة سنة ٢٤٥.
تاريخ بغداد ٢٦٥/١٠، سير أعلام النبلاء ٥١٥/١١، تذكرة الحفاظ ٤٨٠/٢، تهذيب التهذيب ١٣١/٦، تاريخ داريا ٤٤ و ٨٩ و ١٠٠.

(٤) هو الإمام، الحافظ الكبير، الثقة، محدث الشام، أبو أيوب بن عبدالرحمٰن بن عيسى الدمشقي، ابن بنت شُرَحْبيل، وشُرَحْبيل هو ابن مسلم الخولاني، الحمصي، التابعي، المحدث. وتوفي سليمان سنة ٢٣٣.
سير أعلام النبلاء ١٣٦/١١، تذكرة الحفاظ ٤٣٨/٢، ميزان الاعتدال ٢١٢/٢، تهذيب التهذيب ٢٠٧/٤.

(٥) كذا في المخطوط، و (ع)، والأصوب كما في (ق): (المئتين)، ويبدو أن الذهبي أراد الأول ـ والله أعلم ـ.

ولا سيما في دولة نورالدين[1]، وأيام محدثها ابن عساكر[2]، والمقادسة[3]

---

(١) هو الملك العادل، ليث الإسلام، التقي، العابد، الورع، المجاهد، الشجاع، الجواد، الزاهد، مظهر السُّنّة، وقامع البدعة، ومذل الرافضة، نورالدين أبو القاسم محمود بن زَنْكي الشهيدِ، صاحبُ الشام، والموصل، وديار الجزيرة، ومصر، واليمن، والحجاز، قال فيه ابن الأثير في التاريخ الباهر ص ١٦٣: «طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا، فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين، وعمر بن عبدالعزيز ملكاً أحسن سيرة من الملك العادل نورالدين». وكان قد تولى الملك سنة ٥٤١، وتوفي سنة ٥٦٩.

التاريخ الباهر ١٦١، الكامل في التاريخ ١١/٤٠٢، كتاب الروضتين ج ١ ق ٢ ص ٥٨٠، سير أعلام النبلاء ٢٠/٥٣١، البداية والنهاية ١٢/٢٧٧.

(٢) هو الإمام، الحافظ، الجِهْبذ، الحجة، العابد، القانت، فريد عصره، وقريع دهره، محدث الشام، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي، المعروف بابن عساكر، وعساكر لقب وقيل: اسم لأحد أجداده.

صنف تاريخ دمشق وغيرَه من التصانيف المتقنة الحافلة. وتوفي سنة ٥٧١.

وفيات الأعيان ٣/٣٠٩، سير أعلام النبلاء ٢٠/٥٥٤، تذكرة الحفاظ ٤/١٣٢٨.

(٣) ومن أبرزهم:

ـ الإمام، الحافظ، الزاهد، تقي الدين أبو محمد عبدالغني بن عبدالواحد بن علي الجمَّاعيلي المقدسي، ثم الدمشقي الصالحي، صاحب كتاب الكمال في معرفة أسماء الرجال، والمتوفى سنة ٦٠٠.

ـ والإمام، الفقيه، المقرىء، المحدث، القدوة، الزاهد، شيخ الإسلام أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجمَّاعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، المتوفى سنة ٦٠٧.

ـ والإمام، الحافظ، الفقيه، عزالدين أبو الفتح محمد ابن الحافظ الكبير عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي ثم الدمشقي الصالحي، المتوفى سنة ٦١٣. =

النازلين (1)

= – والإمام، الفقيه، المحدث، الزاهد، العابد، عمادالدين أبو إسحاق، وأبو إسماعيل إبراهيم بن عبدالواحد بن علي المقدسي الجمَّاعيلي، ثم الدمشقي أخو الحافظ عبدالغني، والمتوفى سنة ٦١٤.

– والإمام، العلّامة، المجتهد، المحدث الكبير، القدوة، شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المقدسي الجمّاعيلي، ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، صاحب المغني، وغيره من الكتب الحافلة. توفي سنة ٦٢٠.

– والإمام، الحافظ، الفقيه، المفيد، جمال الدين أبو موسى عبدالله ابن الحافظ الكبير عبدالغني بن عبدالواحد الجمّاعيلي المقدسي، ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، المتوفى سنة ٦٢٩.

– والإمام، الحافظ، المحقق، الحجة، القدوة ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي الجمّاعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، صاحب التصانيف «كالمختارة» المتوفى سنة ٦٤٣.

– والإمام، الحافظ، المتقن، الصالح سيف الدين أبو العباس أحمد ابن المحدث الفقيه مجدالدين عيسى ابن الإمام موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الصالحي الحنبلي، المتوفى سنة ٦٤٣.

وغير هؤلاء الكثير مما لا أطيل بذكرهم، ومن أراد الاطلاع على أسمائهم وتراجمهم فلينظر كتاب القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لمحمد بن طولون، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب – ابتداء من وفيات المئة السابعة –.

(1) في المخطوط (النازلون)، والمثبت هو من (ق) و (ع).

وقد نزل جمع من المقادسة بسفح قاسِيون من دمشق في منتصف القرن السادس، وقصة ذلك: أن الصليبيين لما استولوا على بيت المقدس ونواحيها أخذوا يسومون الناس سوء العذاب، فقتلوا، وذبحوا، ونهبوا، وأفسدوا.

وكان الشيخ العالم الزاهد أحمد بن محمد بن قدامة الجمّاعيلي، النابُلسي، المقدسي، يثير نفوس المسلمين على تلك الفئة الظالمة العادية، ويحذر الناس من موالاتهم، فتحدث الصليبيون بقتله، لما رأوا من ظهور أمره، وسماع الناس لدعوته؛ فخرج في سنة ٥٥١ من بلده خائفاً يترقب، وبصحبته =

بسَفْحها[1]، ثم كثر بعد ذلك بابن

= والدا الحافظين تقي الدين عبدالغني، وضياء الدين محمد، والفقيهُ محمد بن أبـي بكر وهو ابن أخيه، قاصدين نحو دمشق، فلما وصلوا إليها كتب الشيخ أحمد إلى ابنه أبـي عمر ليهاجر إليه بجميع أهله، فخرج بهم حتى وصلوا إلى دمشق، وكانوا نحواً من أربعين نفساً بين ذكر وأنثى، وصغير وكبير. فأنزلهم الشيخ أحمد بظاهر باب شرقي من دمشق، في مسجد أبـي صالح ـ وهذا المسجد ينسب إلى أحد الصوفية العابدين أبـي صالح الحنبلي الذي كان يلزم هذا المسجد، وقيل إنه هو الذي وقفه ـ ثم أخذت جموع من المقادسة تَقْدم على مُهَاجَر الشيخ أحمد، حتى ضاق عليهم المسجد، وتفشت بهم الأمراض المهلكة، وتَعَادَوْا، فأشير على الشيخ أحمد بالانتقال إلى سَفْح قاسيون فانشرح صدره لذلك، وأمر ببناء الدَّيْر هناك، ليكون سكناً لهؤلاء المهاجرة، فتم بناؤه في عامين، وكان يسمى بدير الحنابلة، ودير الصالحين، ودير المقادسة، ثم انتقل الجميع إليه.

وأصبح السَّفْح يعرف بالصالحية نسبة إلى مسجد أبـي صالح، أو نسبة إلى صلاح المقادسة الذين هم فيه.

وقد اهتم الملك العادل نورالدين محمود رحمة الله عليه بهؤلاء الناقلة، فكان يكثر من زيارتهم، والإحسان إليهم، وبنى لهم مدرسة.

ولم تمض فترة وجيزة حتى ضاهت الصالحية مدينة دمشق في العلم، فكثرت فيها المساجد، والجوامع، والمدارس. ومن أهمها:

المدرسة العُمرية التي بناها الإمام، الفقيه، أبو عمر محمد ابن الشيخ أحمد، وكان بها خَزائن كتب نفيسة، وقفها عدد من العلماء.

والمدرسة الضيائية (دار الحديث) التي بناها الحافظ الضياء، ووقف بها خِزانة كتب قيمة.

ودار الحديث الأشرفية التي بناها الملك الأشرف ابن الملك العادل.

وغيرها من دور الحديث والعلم، حتى غدت الصالحيـة موئلاً لأهل العلم، ومقصداً لطلبته يرحلون إليها، ويرتعون في رياضها.

القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ـ من أماكن كثيرة منه ـ، معجم البلدان ٣/٣٩، مراصد الاطلاع ٣/١٠٥٧.

(١) أي سَفْح جبلها قاسِيون المشرف عليها.

تيمية[1]، والمِزِّي[2]، وأصحابهما[3]، ولله الحمد.

---

(1) هو الإمام، العلامة، الحافظ، الناقد، المفسر، الفقيه، المجتهد، الحجة، بحر العلوم، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني، ثم الدمشقي، صاحب التصانيف البارعة، والمؤلفات الكثيرة النافعة، قال فيه تلميذه الحافظ الذهبي: «كان من بحور العلم، ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد الأفراد، والشجعان الكبار، والكرماء الأجواد». وتوفي سنة ٧٢٨.

المعجم الكبير ورقة ١٠ أ، المعجم المختص ورقة ٧، تذكرة الحفاظ ١٤٩٦/٤، الوافي ١٥/٧، فوات الوفيات ٧٤/١، ذيل طبقات الحنابلة ٣٨٧/٢.

(2) هو الإمام، العلامة، الحافظ، الجهبذ، المحقق، المقرىء، اللغوي، الحجة، محدث الشام، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن زكي الدين عبدالرحمٰن القضاعي، الحلبي الأصل، المِزِّي الدمشقي، صاحب تهذيب الكمال، وتحفة الأشراف وغيرهما من التصانيف البديعة، المتوفى سنة ٧٤٢.

المعجم الكبير ورقة ١٨٢ أ، المعجم المختص ورقة ٩٨ أ، تذكرة الحفاظ ١٤٩٨/٤، الدرر الكامنة ٢٣٣/٥.

ملاحظة: وقع في المخطوط (والمربي) بدل (والمزي) وهو تصحيف، والصواب ما أثبته أعلاه كما في (ق) و (ع).

(3) قال السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ص ٦٦٢ عقب كلام الذهبي هذا ما نصه: «قلت: ثم تناقص شيئاً فشيئاً، ولكن فيها الآن بحمد الله بقية يفهمون العلم، ويتكلمون به».

مِـصْـر*[١]:

افتتحها عمرو بن العاص[(١)] في زمن عمر[(٢)] رضي الله عنه، وسكنها خلق من الصحابة، وكثر العلم بها في زمن التابعين، ثم ازداد في زمن

---

*١ وحدّ مصر كما في معجم البلدان ٥/١٣٧: «طولها من الشجرتين اللتين كانتا بين رَفْح والعريش إلى أُسْوان، وعرضها من بَرْقة إلى أَيْلة».

وقد جمع تاريخ رجالها الحافظ أبو سعيد عبدالرحمٰن بن أحمد بن يونس المصري، المعروف بابن يونس، والمتوفى سنة ٣٤٧ وسماه «تاريخ المصريين»، كما له كتاب «الغرباء» أي الواردين على مصر. ولابن الطحان أبي القاسم يحيى بن علي بن الطحان المتوفى سنة ٤١٦ ذيل على كتابي ابن يونس.

الإعلان بالتوبيخ ٦٤٥، وفيات الأعيان ٣/١٣٧.

وللحافظ جلال الدين أبي الفضل عبدالرحمٰن بن أبي بكر المصري السيوطي المتوفى سنة ٩١١ كتاب حسن المحاضرة في أخبار مِصْر والقاهرة.

(١) هو الصحابي الجليل، أحد دهاة العرب، وممن يضرب به المثل في حسن الرأي، والدهاء، والحزم، والفطنة، والبصر بالحروب، أبو عبدالله، وقيل: أبو محمد عمرو بن العاص القرشي السهمي، أسلم في أوائل سنة ثمان، وولاه رسول الله ﷺ إمرة بعض الجيوش والبلدان، كما ولاه عمر بن الخطاب مثل ذلك، وهو الذي افتتح مصر، وولي إمرتها زمناً طويلاً. وتوفي سنة ٤٣ على الصحيح.

الإصابة ٣/٢، سير أعلام النبلاء ٣/٥٤.

(٢) هو ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد الأئمة المهديين، المشهود لهم بالجنة، من كبار فقهاء الصحابة، وعلمائهم، وزهّادهم، الفاروق أبو حفص عمر بن الخطاب القرشي، العدوي؛ أسلم في السنة السادسة من النبوة، وكان إسلامه فتحا، وفرجاً على المسلمين، وقد كثرت الفتوح في زمن خلافته، وفضائله كثيرة وعظيمة. توفي رضي الله عنه سنة ٢٣.

الإصابة ٢/٥١١، تاريخ الخلفاء ٧٤.

عمرو بن الحارث[1]، ويحيى بن أيوب[2]، وحَيْوة بن شُرَيْح[3]، والليث بن سعد[4]، وابن لَهِيعة[5]، وإلى زمن ابن وهب[6]، والإمام

---

(١) هو الإمام، الحافظ، الفقيه، الثبت، أبو أمية الأنصاري، المدني الأصل، المصري، عالم الديار المصرية، ومفتيها، المتوفى سنة ١٤٨.
سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٦، تذكرة الحفاظ ١٨٣/١، تهذيب التهذيب ١٤/٨.

(٢) هو الإمام، الفقيه، أبو العباس الغافقي، المصري، وهو في الحديث: «صدوق ربمع أخطأ» كما قال ابن حجر. وقد توفي سنة ١٦٨.
سير أعلام النبلاء ٥/٨، تذكرة الحفاظ ٢٢٧/١، تهذيب التهذيب ١٨٦/١١، تقريب التهذيب ٣٤٣/٢.

(٣) هو الإمام، الفقيه، الثبت، الزاهد، أبو زرعة التُّجِيْبي، المصري، المتوفى سنة ١٥٨.
سير أعلام النبلاء ٤٠٤/٦، تذكرة الحفاظ ١٨٥/١، تهذيب التهذيب ٦٩/٣.

(٤) هو الإمام، الحافظ، الفقيه، الحجة، الجواد، عالم الديار المصرية، أبو الحارث، المتوفى سنة ١٧٥.
سير أعلام النبلاء ١٣٦/٨، تذكرة الحفاظ ٢٢٤/١، تهذيب التهذيب ٤٥٩/٨.

(٥) هو الإمام، الحافظ، أبو عبدالرحمٰن عبدالله بن لَهيعة، محدث الديار المصرية، وعالمها، قال فيه الذهبي: «العمل على تضعيف حديثه». وقد توفي سنة ١٧٤.
سير أعلام النبلاء ١١/٨، تذرة الحفاظ ٢٣٧/١، الكاشف ١٢٢/٢، تهذيب التهذيب ٣٧٣/٥.

(٦) هو الإمام، الحافظ، الفقيه، المجتهد، الحجة، العابد، الزاهد، أبو محمد عبدالله بن وهب المصري، صاحب التصانيف كالموطأ والجامع. توفي سنة ١٩٧.
سير أعلام النبلاء ٢٢٣/٩، تذكرة الحفاظ ٣٠٤/١، تهذيب التهذيب ٧١/٦.

الشافعي[1]، وابن القاسم[2]، وأصحابهم، وما زال بها علم جمّ إلى أن ضعف ذلك باستيلاء العبيديين الرافضة عليها سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة، وبنوا القاهرة، وشاع التشيع بها، وقل الحديث[3] والسُنّة إلى

---

(١) هو الإمام المجتهد، حبر الأمة، وفقيه الملة، وتاج العلماء، وناصر الحديث، الحجة، أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المُطّلبي، الشافعي، المكي، صاحب التصانيف في الأصول والفروع. وقد توفي سنة ٢٠٤.

تاريخ بغداد ٢/٥٦، سير أعلام النبلاء ١٠/٥، تذكرة الحفاظ ١/٣٦١.

(٢) هو الإمام، الفقيه، الثقة، المتقن، الزاهد، عالم الديار المصرية أبو عبدالله عبدالرحمن بن القاسم العُتَقي مولاهم المصري، صاحب الإمام مالك، وأحد رواة الموطأ عنه، وهو من أفقه وأعلم تلامذته، توفي سنة ١٩١.

ترتيب المدارك ٣/٢٤٤، الديباج المذهب ١/٤٦٥، سير أعلام النبلاء ٩/١٢٠، تذكرة الحفاظ ١/٣٥٦، تهذيب التهذيب ٦/٢٥٢.

(٣) لا ريب أن الذي يلعن صحابة رسول الله ﷺ الذين نقلوا أخباره ﷺ إلينا هو ممن يبغض الحديث، ويكره شيوعه، وقد كان هذا حال الرافضة من مبدأ أمرهم وإلى يومنا هذا، فقام حكامهم الظالمون بمحاربة علماء الآثار، وقتلهم، وإخراجهم من بلادهم، وإحراق كتبهم، وقد أشار الذهبي إلى هذا الفساد من تلك الشرذمة الضالة في كتابه «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» فبعد أن سرد أسماء مشاهير النقاد من الطبقة التاسعة الذين انقضت آجالهم قبل نهاية القرن الرابع قال: ـ وذلك في ص ١٩٥ ـ «ومن هذا الوقت تناقص الحفظ وقلّ الاعتناء بالآثار، وركن العلماء إلى التقليد، وكان التشيع والاعتزال والبدع ظاهرة بالعراق، لاستيلاء آل بُوَيْه ثَمَّ، وبمصر والشام والمغرب لاستيلاء بني عُبيد الباطنية، نسأل الله العافية».

وقال في هذه الرسالة أيضاً، عقب ذكر الطبقة العاشرة ص ١٩٦ ما نصه: «كانت السنة قائمة الدولة بالأندلس وبخراسان، وقلّ أمرها، وضعف بمصر، والشام، والمغرب وبالعراق، وما ذاك إلا لظهور دولة الشيعة والعُبيدية، فللّه الأمر جميعاً».

أن وليها أمراء[1] السُنّة النبوية، وضعف الروافض، والحمد لله[2].

الإسكنـدريـة*١:

تَبع لمصر، ما زال بها الحديث قليلاً حتى سكنها السِّلَفي[3]، فصارت

---

(١) زالت دولة الروافض من مصر والشام في سنة ٥٦٧ على يد السلطان المجاهد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب فاتح القُدُس وأحد أمراء الملك العادل نورالدين محمود في ذلك الوقت.
الكامل في التاريخ ١١/٣٦٨، التاريخ الباهر ١٥٦، كتاب الروضتين ج ١ ق٢ ص ٥٠٩.

(٢) قال السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ص ٦٦٢ عقب كلام الذهبي هذا ما نصه: «وهي الآن أكثر البلاد عمارة بالفضلاء من سائر المذاهب والفنون». انتهى.
وقد كان عهد الأيوبيين والمماليك في مصر زاهرين بعلماء الآثار والشريعة.

*١ جمع تاريخ هذه المدينة الحافظ وجيه الدين أبو المظفر منصور بن سُلَيْم الإسكنداني الشافعي المتوفى سنة ٦٧٣. مقدمة الإحاطة ١/٨٢ ـ ٨٣، الإعلان بالتوبيخ ٦١٥.

(٣) هو الإمام، العلاّمة، الحافظ، الجِهْبذ، الثبت، المتقن، المحقق، المقرىء، الفقيه، المفتي، النَّحْوي، اللغوي، الرُّحَلَة، الرُّحْلَة، المُعَمَّر، أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلَفي الأصبهاني، صاحب المعاجم، والتصانيف الفائقة، والذي انتهى إليه علو الإسناد في زمنه.
والسِّلَفي نسبة إلى سِلَفَه لقب أحد أجداد أبـي طاهر، وهي كلمة عجمية معناها: ثلاث شفاه لأن الملقب بها كانت إحدى شفتيه مشقوقة، فصارت مثل شفتين، وذكر الذهبـي أن معناها: الغليظ الشفة.
وقد دخل السِّلَفي الإسكندرية سنة ٥١١، وسكنها حتى مات رحمه الله.
وتوفي سنة ٥٧٦ وكان قد جاوز المئة.
التقييد لابن نقطة ورقة ٦٤، وفيات الأعيان ١/١٠٥، سير أعلام النبلاء ٢١/٥، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٩٨، الوافي ٧/٣٥١.

مرحولاً إليها في الحديث والقراآت[1]، ثم نقص بعد ذلك[2].

بـغـداد*١ :

بنيت في آخر[3] أيام التابعين، وأول من بَثَّ فيها الحديث هشام بن عُروة[4]،

---

(١) في المخطوط: (والقرات) وهذا سهو قلم.

(٢) قال السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ص ٦٦٢ عقب كلام الذهبي هذا ما نصه: «قلت: الآن عُدم إلا من بعض الغرباء، وغالبهم مالكيون».

*١ جمع تاريخها وتاريخ رجالها الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣، وكتابه مشهور باسم تاريخ بغداد، وقد ذيل عليه الحافظ أبو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢، وذيل على هذا الذيل الحافظ أبو عبدالله محمد بن سعيد الدُّبيثي المتوفى سنة ٦٣٧ واستدرك عليه. وللحافظ محب الدين أبي عبدالله محمد بن محمود البغدادي المعروف بابن النجار والمتوفى سنة ٦٤٣ ذيل على تاريخ الخطيب جمع فيه بين كتابي ابن السمعاني وابن الدُّبيثي وزاد عليهما، وهو أحفل الذيول. كما ذيل على كتاب الخطيب عدد آخر من العلماء.

هذا، وللحافظ أبي بكر محمد بن عمر، المعروف بابن الجِعابي، المتوفى سنة ٣٥٥ كتاب أسماء محدثي بغداد.

تاريخ بغداد ١/٩٠، الإعلان بالتوبيخ ٦٢٢ ـ ٦٢٣، مقدمة الوافي ١/٤٧، مقدمة الإحاطة ١/٨٢.

(٣) وقد بناها ثاني خلفاء بني العباس أبو جعفر المنصور (عبدالله بن محمد) المتوفى سنة ١٥٨.

تاريخ بغداد ١/٦٦، تاريخ الخلفاء ١٧٣ ـ ١٧٤، تاريخ الإسلام للذهبي ٦/٢٠.

(٤) هو الإمام، الفقيه، الحافظ، الحجة، أبو المنذر بن عُروة بن الزبير بن العوّام القرشي المدني، نزيل بغداد، والمتوفى بها سنة ١٤٦.

تاريخ بغداد ١٤/٣٧، سير أعلام النبلاء ٦/٣٤، تذكرة الحفاظ ١/١٤٤، تهذيب التهذيب ١١/٤٨.

وبعده شُعبة[1]، وهُشَيْم[2]، وكثر بها هذا الشأن، فلم تزل معمورة بالأثر، والخبر إلى زمن الإمام أحمد بن حنبل[3]، ثم أصحابه، وهي دار الإسناد العالي، والحفظ، إلى أن استُؤْصلت في كائنة[4] التتار الكفرة، فبقيت على نحو الرُّبُعُ[5].

---

(١) هو الإمام، الحافظ، الجِهْبِذ، الحجة، أمير المؤمنين في الحديث أبو بسطام شُعبة بن الحجاج الواسطي المنشأ والمولد، والبصري الدار والموطن. قدم إلى بغداد مرتين وحدث فيها. وهو أول من وسع الكلام في الرجال، وتصدى لهذا الأمر من بعده يحيى بن سعيد القطان، وقد توفي شعبة سنة ١٦٠.
تاريخ بغداد ٩/٢٥٥، سير أعلام النبلاء ٧/٢٠٢، تذكرة الحفاظ ١/١٩٣، تهذيب التهذيب ٤/٣٣٨.

(٢) هو الإمام، الحافظ، الثبت، أبو معاوية هُشَيْم بن بَشير الواسِطي، نزيل بغداد، ومحدثها، المتوفى سنة ١٨٣.
تاريخ بغداد، ١٤/٨٥، سير أعلام النبلاء ٨/٢٨٧، تذكرة الحفاظ ١/٢٤٨، تهذيب التهذيب ١١/٥٩.

(٣) هو الإمام المجتهد، الحافظ، الجِهْبذ، الفقيه، الحجة، الزاهد، الصابر، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المَرْوزي، ثم البغدادي، صاحب التصانيف الكثيرة. توفي سنة ٢٤١.
تاريخ بغداد ٤/٤١٢، سير أعلام النبلاء ١١/١٧٧، تذكرة الحفاظ ٢/٤٣١، تهذيب التهذيب ١/٧٢.

(٤) وقعت هذه الكائنة، القاصمة، الحالقة في مستهل سنة ٦٥٦.
البداية والنهاية ١٣/٢٠٠، تتمة المختصر في أخبار البشر ٢/٢٨٢.

(٥) قال السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ص ٦٦٣ عقب كلام الذهبي هذا، ما نصّه: «ثم تزايد خرابها حتى لم يبق فيها من يعرف شيئاً من العلم، والأمر لله».

حمص*١:

نزلها خلق من الصحابة، وانتشر بها الحديث في زمن التابعين، وإلى أيام حَرِيْز بن عثمان[١]، وشعيب[٢] بن أبي حمزة[٣]، ثم إسماعيل بن عَيّاش[٤]، وبَقيّة[٥]، وأبي المغيرة[٦]، وأبي

---

*١ صنف في تاريخ رجالها أبو بكر أحمد بن محمد بن عيسى البغدادي، المتوفى سنة ٢٥٧، وسمى كتابه «تاريخ الحمصيين». وللقاضي الحافظ أبي القاسم عبدالصمد بن سعيد الكندي، المتوفى سنة ٣٢٤ كتاب: «تاريخ من نزل حمص من الصحابة، ومن دخلها، ومن ارتحل عنها، ومن أعقب ولم يعقب، وحدث ولم يحدث». تاريخ بغداد ٥/٦٣، مقدمة الإحاطة ١/٨٢.

(١) هو الحافظ، المتقن، الثبت أبو عثمان الرَّحَبي الحِمصي، وقد رُمي بالنصب، وتوفي سنة ١٦٣.

تاريخ بغداد ٨/٢٦٥، سير أعلام النبلاء ٧/٧٩، تذكرة الحفاظ ١/١٧٦، تهذيب التهذيب ٢/٢٣٧.

(٢) في المخطوط (وسعيد) وهو وَهَمٌ بيِّن، والمثبت هو الصواب كما في (ق) و (ع).

(٣) هو الإمام، الحافظ، المتقن، الحجة، أبو بشر بن أبي حمزة دينار الحمصي، المتوفى سنة ١٦٣، وقيل: ١٦٢.

سير أعلام النبلاء ٧/١٨٧، تذكرة الحفاظ ١/٢٢١، تهذيب التهذيب ٤/٣٥١.

(٤) هو الإمام، الحافظ، محدث الشام، أبو عتبة الحمصي، «صدوق في روايته عن أهل بلده، مُخَلِّط في غيرهم» كما قال ابن حجر. توفي سنة ١٨٢.

سير أعلام النبلاء ٨/٣١٢، تذكرة الحفاظ ١/٢٥٣، تهذيب التهذيب ١/٣٢١، تقريب التهذيب ١/٧٣.

(٥) هو الإمام، الحافظ، أبو يُحْمِد بن الوليد الكَلاعي الحمصي، «صدوق كثير التدليس عن الضعفاء» كما قال ابن حجر. توفي سنة ١٩٧.

سير أعلام النبلاء ٨/٥١٨، تذكرة الحفاظ ١/٢٨٩، تهذيب التهذيب ١/٤٧٣، تقريب التهذيب ١/١٠٥.

(٦) هو الإمام، الثقة، التقي، محدث الشام، ومُسْنِد حمص، عبدالقدوس بن الحجاج الخَوْلاني، الحمصي، المتوفى سنة ٢١٢.

سير أعلام النبلاء ١٠/٢٢٣، تذكرة الحفاظ ١/٣٨٦، تهذيب التهذيب ٦/٣٦٩.

اليمان(١)، ثم أصحابهم، ثم تناقص ذلك في المئة الرابعة، وتلاشى(٢).

الكوفة:

نزلها جماعة من الصحابة كابن مسعود(٣)، وعَمّار بن ياسر(٤)، وعلي بن أبي طالب(٥) رضي الله عنهم، وخلق من الصحابة، «ثم كان بها من

---

(١) هو الإمام، الحافظ، الحجة، الحكم بن نافع البَهْراني، الحمصي، المتوفى سنة ٢٢١، وقيل: ٢٢٢.
سير أعلام النبلاء ١٠/٣١٩، تذكرة الحفاظ ١/٤١٢، تهذيب التهذيب ٢/٤٤١.

(٢) قال السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ص ٦٦٣ عقب كلام الذهبي هذا ما نصّه: «ثم عَدِم بالكلية».

(٣) هو أحد أحبار الصحابة، وعلمائهم، ومقرئيهم، وفقهائهم، وأئمتهم، وقانتيهم أبو عبدالرحمٰن عبدالله الهُذلي، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها، ومن ثَمّ فتوح الشام، وكان مختصاً بالنبي ﷺ، وصاحب سره، وفراشه، وسواكه، ونعليه، وطهوره في السفر، بعثه عمر رضي الله عنه إلى الكوفة معلماً، وكان يُشَبَّه بالنبي ﷺ في هديه، وسَمْته. وتوفي بالمدينة سنة ٣٢.
الإصابة ٢/٣٦٠، سير أعلام النبلاء ١/٤٦١.

(٤) هو أحد أئمة الصحابة، أبو اليقظان العَنْسي، المكي، مولى بني مخزوم، كان من السابقين الأولين، شهد بدراً والمشاهد كلها، وولاه عمر رضي الله عنه على الكوفة، وقُتل بصفين سنة ٣٧، ومناقبه كثيرة.
الإصابة ٢/٥٠٥، سير أعلام النبلاء ١/٤٠٦.

(٥) رابع الخلفاء الراشدين، وأحد الأئمة المهديين المشهود لهم بالجنة، من فقهاء الصحابة، وعلمائهم أبو الحسن، وأبو تراب علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب، أول الناس إسلاماً على قول الكثيرين، شهد بدراً والمشاهد كلها إلا تبوك فقد خلفه رسول الله ﷺ حينها على المدينة المشرفة، وكان أحد الفرسان الشجعان، ومناقبه كثيرة. توفي سنة ٤٠.
الإصابة ٢/٥٠١، تاريخ الخلفاء ١١٢.

التابعين»[١]، كعلقمة[٢] ومسروق[٣]، وعَبِيْدة[٤]، والأَسْود[٥]، ثم الشعبي[٦]،

---

(١) كذا في المخطوط، وفي (ق) و (ع): (ثم كان بها أئمة التابعين).

(٢) هو الإمام، الحافظ، الفقيه، المقرىء، الثبت، أبو شِبْل علقمة بن قيس بن عبدالله بن مالك النَّخَعي الكوفي، لازم ابن مسعود رضي الله عنه وتفقه به، وتصدى بعده للفتيا والصحابة حينئذ متوافرون، ولد في أيام الرسالة النبوية، ولم ير النبي ﷺ. وتوفي سنة ٦٢ وقيل غير ذلك.

تاريخ بغداد ٢٩٦/١٢، سير أعلام النبلاء ٥٣/٤، تذكرة الحفاظ ٤٨/١، تهذيب التهذيب ٢٧٦/٧.

(٣) هو الإمام، الفقيه، الثبت، العابد أبو عائشة بن الأَجْدع الهَمْداني الكوفي، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يلقه. ويقال: إنه سُرق وهو صغير ثم وُجد فسمي مسروقاً. توفي سنة ٦٣ وقيل: ٦٢.

تاريخ بغداد ٢٣٢/١٣، سير أعلام النبلاء ٦٣/٤، تذكرة الحفاظ ٤٩/١، تهذيب التهذيب ١٠٩/١٠.

(٤) هو الإمام، الفقيه، الثبت، أبو عمرو بن عمرو السَّلْماني، المرادي، الكوفي، أسلم عام الفتح بأرض اليمن، ولا صحبة له، توفي سنة ٧٢ وقيل: قبل السبعين وقد صحح الأول الذهبي، والثاني ابن حجر.

سير أعلام النبلاء ٤٠/٤، تذكرة الحفاظ ٥٠/١، تهذيب التهذيب ٨٤/٧، تقريب التهذيب ٥٤٧/١.

(٥) هو الإمام، الفقيه، الثبت، العابد، أبو عمرو، وقيل: أبو عبدالرحمن بن يزيد بن قيس النَّخَعي الكوفي، ابن أخي علقمة، وخال إبراهيم النَّخَعي. وكان الأسود مُخَضْرَماً أدرك الجاهلية والإسلام. وتوفي سنة ٧٥.

سير أعلام النبلاء ٥٠/٤، تذكرة الحفاظ ٥٠/١، تهذيب التهذيب ٣٤٢/١.

(٦) هو الإمام، الحافظ، الفقيه، الثبت، علامة التابعين، أبو عمرو عامر بن شَراحيل الهَمْداني، الكوفي، ويعتبر هو ومحمد بن سيرين أول من فَتَّش عن الأسانيد والرجال بعد الصحابة. وتوفي سنة ١٠٤، وقيل غير ذلك.

سير أعلام النبلاء ٢٩٤/٤، تذكرة الحفاظ ٧٩/١، تهذيب التهذيب ٦٥/٥، المحدث الفاصل ٢٠٨.

والنَّخَعي[1]، والحَكَم بن عُتَيبة[2]، وحَمّاد[3] وأبي إسحاق[4]، ومنصور[5]، والأعمش[6]، وأصحابهم، وما زال العلم

---

(١) هو الإمام، الحافظ، الثقة، فقيه العراق أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس الكوفي، المتوفى سنة ٩٦ أو آخر سنة ٩٥.
سير أعلام النبلاء ٤/٥٢٠، تذكرة الحفاظ ١/٧٣، تهذيب التهذيب ١/١٧٧.

(٢) هو الإمام، الحافظ، الفقيه، الثبت، أبو محمد ـ وقيل في كنيته غير ذلك ـ الكوفي، المتوفى سنة ١١٥.
سير أعلام النبلاء ٥/٢٠٨، تذكرة الحفاظ ١/١١٧، تهذيب التهذيب ٢/٤٣٢.

(٣) هو الإمام المجتهد، فقيه العراق، الثقة، أبو إسماعيل بن أبي سليمان مسلم الكوفي، توفي سنة ١٢٠ وقيل: ١١٩.
سير أعلام النبلاء ٥/٢٣١، الكاشف ١/٢٥٢، تهذيب التهذيب ٢/١٦.

(٤) هو الإمام، الحافظ، الثقة، عمرو بن عبدالله السَّبيعي، الهَمْداني، الكوفي، المتوفى سنة ١٢٧.
سير أعلام النبلاء ٥/٣٩٢، تذكرة الحفاظ ١/١١٤، تهذيب التهذيب ٨/٦٣.

(٥) هو الإمام، الحافظ، الحجة، أبو عَتَّاب بن المُعْتَمِر السُّلَمي، الكوفي، المتوفى سنة ١٣٢.
سير أعلام النبلاء ٥/٤٠٢، تذكرة الحفاظ ١/١٤٢، تهذيب التهذيب ١٠/٣١٢.

(٦) هو الإمام، الحافظ، المقرىء، الثبت، العابد، أبو محمد سليمان بن مِهْران الكوفي، الملقب بالأعمش. توفي سنة ١٤٨.
تاريخ بغداد ٩/٣، سير أعلام النبلاء ٦/٢٢٦، تذكرة الحفاظ ١/١٥٤، تهذيب التهذيب ٤/٢٢٢.

بها متوفِّراً إلى زمن ابن عُقدة[1]، ثم تناقص شيئاً فشيئاً، وتلاشى، وهي الآن دار الروافض[2].

البـصـرة:

نـزلهـا أبـو مـوسى الأشعـري[3]، وعِمـران بن الحُصين[4]،

---

(١) هو الحافظ الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي الشيعي، المعروف بابن عُقدة، ــ وعُقدة لقب أبيه وذلك لبراعته في التصريف والنحو ــ صاحب التصانيف، كان نادرة في الحفظ، قال الذهبي في الميزان «ضعفه غير واحد وقواه آخرون». توفي سنة ٣٣٢.

تاريخ بغداد ١٤/٥، سير أعـلام النبلاء ٣٤٠/١٥، تـذكرة الحفـاظ ٨٣٩/٣، ميزان الاعتدال ١٣٦/١.

(٢) قا الذهبي في تذكرة الحفاظ ٨٤٠/٣: «الكوفة تَغْلي بالتشيـع، وتفور، والسُّني فيها طرفة».

(٣) هـو أحد أئمـة الصحابـة، وأحبارهم، ومقـرئيهم، وفقهائهم، وقضـاتهم، ومجاهديهم، وزهادهم، وعبادهم، عبدالله بن قيس، أسلم قديماً لكنه هاجر، وقدم المدينة بعد فتح خيبر، واستعمله النبـي ﷺ على بعض أعمال اليمن، وولاه عمر وعثمان رضي الله عنهما على البصرة والكوفة، وقد شهد فتوح الشام، وفتح الأَهْواز وأَصْبهان وغيرهما، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، توفي سنة ٤٢ وقيل: ٤٤ وقيل غير ذلك.

الإصابة ٣٥١/٢، سير أعلام النبلاء ٣٨٠/٢.

(٤) هـو أحد أئمـة الصحابـة، وعلمائهم، وفقهـائهم، وفضلائهم، أبـو نُجيـد الخُزاعي، أسلم عام خيبر، وغزا مع النبـي ﷺ غير مرة، وبعثه عمر إلى البصرة معلماً، وتوفي سنة ٥٢، وقيل: ٥٣.

الإصابة ٢٧/٣، سير أعلام النبلاء ٥٠٨/٢.

وابن عباس[1]، وعدة من الصحابة، فكان خاتمتهم خادم رسول الله ﷺ، وصُوَيْحِبُهُ أنس بن مالك[2]، ثم الحسن البصري[3]، ومحمد بن سيرين[4]، وأبو العالية[5]،

---

(١) هو الحَبْر، البحر، فقيه الأمة، وإمام التفسير، أبو العبّاس عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم ابن عم رسول الله ﷺ، توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ودعا له النبي ﷺ بالحكمة، وقد ولي البصرة لعلي بن أبي طالب، وفقّه أهلها، توفي بالطائف سنة ٦٨.

الإصابة ٢/٣٢٢، سير أعلام النبلاء ٣/٣٣١.

(٢) هو أحد أئمة الصحابة، ومفتيهم، ومقرئيهم، ومحدثيهم، أبو حمزة الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، خدم رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، إلى وفاته ﷺ، ولازمه أكمل ملازمة، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة، ودعا له النبي ﷺ بكثرة المال والولد، شهد بعد وفاة النبي ﷺ الفتوح، ثم سكن البصرة، وكان آخر الصحابة موتاً بها، توفي سنة ٩٣ على الأصح وله من العمر ١٠٣ سنين.

الإصابة ١/٨٤، سير أعلام النبلاء ٣/٣٩٥.

(٣) هو الإمام، العلم، الحافظ، الحجة، أبو سعيد بن أبي الحسن يسار البصري، المتوفى سنة ١١٠.

سير أعلام النبلاء ٤/٥٦٣، تذكرة الحفاظ ١/٧١، تهذيب التهذيب ٢/٢٦٣.

(٤) هو الإمام، العلم، الحافظ، الحجة، أبو بكر البصري، ويعتبر هو والشعبي أول من فتش عن الأسانيد والرجال بعد الصحابة. توفي سنة ١١٠.

سير أعلام النبلاء ٤/٦٠٦، تذكرة الحفاظ ١/٧٧، تهذيب التهذيب ٩/٢١٤، شرح علل الترمذي ١/٥٢.

(٥) هو الإمام، الحافظ، المقرىء، المفسِّر، الثقة، رُفيع بن مِهْران الرِّياحي البصري، المتوفى سنة ٩٣، وقيل: ٩٠.

سير أعلام النبلاء ٤/٢٠٧، تذكرة الحفاظ ١/٦١، تهذيب التهذيب ٣/٢٨٤.

ثم قتادة[1]، وأيوب[2]، وثابت البُناني[3]، ويونُس[4]، وابن عَوْن[5]،

---

(١) هو الإمام، الحافظ، المفسِّر، النسّـابة، الحجـة، أبو الخـطاب بن دِعامـة السَّدوسي البصري، توفي بواسط سنة ١١٧، أو ١١٨.
سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩، تذكرة الحفاظ ١/١٢٢، تهذيب التهذيب ٨/٣٥١.

(٢) هو الإمام، الحافظ، الجِهْبذ، الحجة، المتقن، أبو بكر بن أبي تميمة كَيْسان السَّخْتِياني، البصري، المتوفى سنة ١٣١.
سير أعلام النبلاء ٦/١٥، تذكرة الحفاظ ١/١٣٠، تهذيب التهذيب ١/٣٩٧.

(٣) هو الإمام، الحافظ، الحجة، العابد، أبو محمد بن أسلم البصري، المتوفى سنة ١٢٣، وقيل: ١٢٧.
سير أعلام النبلاء ٥/٢٢٠، تذكرة الحفاظ ١/١٢٥، تهذيب التهذيب ٢/٢.

(٤) هو الإمام، الحافظ، الحجة، الورع، أبو عبدالله، وقيل: أبو عُبَيْد بن عُبيد البصري، المتوفى سنة ١٣٩.
سير أعلام النبلاء ٦/٢٨٨، تذكرة الحفاظ ١/١٤٥، تهذيب التهذيب ١١/٤٤٢.

(٥) هو الإمام، الحافظ، الجِهْبذ، الحجة، العابد، أبو عون عبدالله بن عون بن أَرْطَبان البصري، المتوفى سنة ١٥١، وقيل: ١٥٠ وقد صحح الأول الذهبي، والثاني ابن حجر.
سير أعلام النبلاء ٦/٣٦٤، تذكرة الحفاظ ١/١٥٦، تهذيب التهذيب ٥/٣٤٦، تقريب التهذيب ١/٤٣٩.

ثم حَمَّاد بن سَلَمة[1]، وحَمَّاد[2] بن زيد[3]، وأصحابهما، وما زال بهـا هذا[4] الشـأن وافراً إلى رأس المئـة الثالثـة، وتنـاقص جـداً، وتــلاشى.

---

(١) هو الإمام، الحافظ، الثقة، النَّحْوي، العابد، أبو سَلَمة بن سَلَمة بن دينار البصري، تغير حفظه بأَخَرة، وتوفي سنة ١٦٧.
سير أعلام النبلاء ٧/٤٤٤، تذكرة الحفاظ ١/٢٠٢، تهذيب التهذيب ٣/١١، تقريب التهذيب ١/١٩٧.

(٢) هـو الإمام، الحـافظ، الحجة، أبـو إسماعيـل بن زيـد بن دِرهم الأزدي، البصري، المتوفى سنة ١٧٩.
مقدمة الجرح والتعديل ١٧٦، سير أعلام النبلاء ٧/٤٥٦، تذكرة الحفاظ ١/٢٢٨، تهذيب التهذيب ٣/٩.

(٣) إذا قيل: «الحمّادان»، فالمراد بهما ابن سلمة وابن زيد، وقد سئـل الإمام أحمد بن حنبل عن الحمادين فقال: «حماد بن سلمة بن دينار، وحماد بن زيد بن درهم، الفضل بينهما كفضل الدينار على الدرهم». كذا في ميزان الاعتـدال ١/٥٩٢، ويوجـد في تهذيب التهـذيب ٣/١١ ما نصّـه: «قال عبدالله بن معاوية الجمحي: حدثنا حماد بن سلمة بن دينار، وحماد بن زيد بن درهم، وفضل ابن سلمة على ابن زيد كفضل الدينار على الدرهم». انتهى. وهذه المفاضلة لا تستقيم إلا إذا قصد بها ناحية الصلاح والدين، لذا قال ابن حبان في كتاب الثقات: «وقد وهم من زعم أن بينهما كما بين الدينار والدرهم، إلا أن يكون القائل أراد فضل ما بينهما مثل الدينار والدرهم في الفضل، والدين، لأن حماد بن سلمة كان أفضل، وأَدْين، وأورع من حماد بن زيد». انتهى نقلاً عن تهذيب التهذيب ٣/١١.

(٤) في المخطوط (بهذا)، والصواب ما أثبته كما في (ق) و (ع).

اليــمن*[1]:

دخلها معاذ بن جَبَل(١)، وأبو موسى الأشعري(٢) ـ أصله من تِهامة اليمن(٣) ـ وخرج منها أئمة التابعين، وتفرقوا في الأرض، وكان بها

---

*١ قال الأصمعي محدداً بلاد اليمن: «حدودها بين عُمان إلى نجران، ثم يلتوي على بحر العرب إلى عَدَن إلى الشِّحْر حتى يجتاز عُمان، فينقطع من بَيْنُوْنَة، وبَيْنُوْنَة بين عُمان والبحرين، وليست بَيْنُوْنَة من اليمن» كذا في معجم البلدان ٥/٤٤٧.

واليمن قسمان: تَهائم ونُجود، فالتهـائم قَصْبتها زَبِيْد، ومن أهم مدنها تَعِز، وعَدَن، وظَفَار، والجَنَد. والنُجود قصبتها صَنْعاء، ومن أهم بلادهـا نَجْران، ومَأْرِب، وحَضْرَمَوْت.

صبح الأعشى ٥/٨ ـ ٤٣، الإعلان بالتوبيخ ٦٦٤.

والنسبة إلى اليمن: يمانيٌ ـ بالتخفيف ـ، ويمني، ويمان.

وقد جمع تاريخ أهل اليمن البهاء أبو عبدالله محمد بن يعقوب بن يوسف الجَنَدي المتوفى سنة ٧٣٢، ورتبه على الطبقات، وسماه «السلوك في أخبار العلماء والملوك». وقد صنف غير واحد في تاريخ اليمن وأهله. انظر الإعلان بالتوبيخ ٦٥٤ ـ ٦٥٦.

(١) هو أحد أحبار الصحابة، وأئمتهم، وفقهائهم، ومقرئيهم، ومفتيهم، وربانيهم، أبو عبدالرحمن الأنصاري، الخزرجي، المدني، شهد العقبة، وبدراً والمشاهد كلهـا، وكان من أجمل الرجال وأكملهم، وأحـد جَمَعَة القـرآن في عهـد النبـي ﷺ، وقد بعثه عليه السلام إلى اليمن أميراً ومعلماً، وكان من أعلم الصحابة بالحلال والحرام، وذا خاصة من النبـي ﷺ، قدم من اليمن في خلافة أبـي بكر الصديق، وتوفي بالطاعون في الأردن سنة ١٨ وقيل غير ذلك. وقد بلغ من العمر ٣٤ عاماً، وقيل غير ذلك.

الإصابة ٣/٤٠٦، سير أعلام النبلاء ١/٤٤٣.

(٢) تقدمت ترجمته عند الحديث عن البصرة، ص ١٧.

(٣) ينظر ما تقدم قريباً من تقسيم اليمن إلى تَهائم ونُجود.

جماعة من التابعين كوَهْب بن مُنَبِّه[1]، وأخوه هَمَّام بن مُنَبِّه[2]، وطاوس[3]، وابنه[4]، ثم مَعْمَر[5]، وأصحابه، ثم

---

(١) هو الإمام، الحافظ، الثقة، أبو عبدالله الصنعاني، عالم أهل اليمن، توفي سنة ١١٤، وقيل: ١١٠، وقيل غير ذلك.
سير أعلام النبلاء ٤/٥٤٤، تذكرة الحفاظ ١/١٠٠، تهذيب التهذيب ١١/١٦٦.

(٢) وقع في المخطوط (قدامة) بدل (همام)؛ وفي (ق) و (ع) لم يُذكر اسما وهب وأخيه، وإنما يوجد فيهما (كابني مُنَبِّه)، وقد بحثت كثيراً عن أولاد مُنَبِّه، فلم أعثر فيهم على من اسمه قُدامة، لذا أرجح أن الذهبي أراد هماماً، فَحُرِّفَت من بعده إلى قُدامة، وقد اخترت هماماً من بين أولاد مُنَبِّه الآخرين لشهرته بالعلم والثقة دونهم، والذهبي لم يذكر في رسالته هذه ـ الأمصار ذوات الآثار ـ إلا المشهورين.
وهمام هو: الثقة، المتقن، أبو عقبة الصنعاني، اليماني، صاحب الصحيفة المشهورة، الصحيحة، عن أبي هريرة، توفي سنة ١٣٢.
سير أعلام النبلاء ٥/٣١١، تهذيب التهذيب ١١/٦٧، تقريب التهذيب ٢/٣٢١.

(٣) هو الإمام، الحافظ، الفقيه، الحجة، العابد، أبو عبدالرحمن بن كَيْسان الفارسي، ثم اليمني، الجَنَدي، ويقال إن اسمه ذكوان، وطاوس لقبه، توفي سنة ١٠٦.
سير أعلام النبلاء ٥/٣٨، تذكرة الحفاظ ١/٩٠، تهذيب التهذيب ٥/٨، تقريب التهذيب ١/٣٧٧.

(٤) هو الإمام، المحدث، الثقة، العابد، أبو محمد عبدالله بن طاوس اليماني، المتوفي سنة ١٣٢.
سير أعلام النبلاء ٦/١٠٣، تهذيب التهذيب ٥/٢٦٧.

(٥) هو الإمام، الحافظ، الحجة، عالم اليمن، أبو عُروة بن راشد البصري، نزيل اليمن، وأول المصنفين فيها، توفي سنة ١٥٣. =

عبدالـرزاق[1]، وأصحابه، وعَدِم منها بعدهم الإسناد[2].

= سير أعلام النبلاء ٥/٧، تذكـرة الحفاظ ١/١٩٠، تهـذيب التهذيب ٢٤٣/١٠.

(١) هو الحافظ الكبير، الثقة، عالم اليمن، أبو بكر بن نافع بن همام الصنعاني، صاحب التصانيف البارعة، كالمصنَّف، توفي سنة ٢١١.

سير أعلام النبلاء ٥٦٣/٩، تذكرة الحفاظ ١/٣٦٤، تهذيب التهذيب ٣١٠/٦.

(٢) قال السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ص ٦٦٤ عقب كلام الذهبـي هذا ما نصّه: «ولم يزل العلماء به ـ (أي باليمن) ـ في عصر الصحابة يتوفرون، والأئمة إليها يرحلون، بل هي في كل عصر في ازدياد من العلم، ولما ظهر مذهب الشافعي، واشتهر به ـ (أي باليمن) ـ رجعوا إلى تقليده، وكان ذلك في المئة الثالثة كما ذكره الجَنَدي، ثم كثر ذلك لا سيما في الدول الأيوبية، وما بعدها حتى الآن، ويوجد في علمائه الحنفيةُ، وكثيرٌ من الزيدية، وهم بصنعاء ونحوها؛ ومن العثمانية، وهم بحضرموت؛ ومن الإسماعيلية وهم بالجبال، وغيرهم من الطوائف».

الأَنْدُلُس*[1] :

كقُرْطُبَة*[2] ،

---

*1 وقد جمع تاريخ رجال الأندلس وعلمائه عدد من الأئمة والمؤرخين:

فللحافظ أبي الوليد عبدالله بن محمد القُرْطبي، المعروف بابن الفرضي، المتوفى سنة ٤٠٣ كتاب «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس».

وللحافظ أبي عبدالله محمد بن أبي نَصْر فُتُوح الحُميدي الأندلسي، المتوفى سنة ٤٨٨ كتاب «جَذْوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس».

وللحافظ أبي القاسم خَلَف بن عبدالملك القُرْطبي، المعروف بابن بَشْكُوال، المتوفى سنة ٥٧٨ ذيل على تاريخ ابن الفرضي، سماه «الصلة».

ولأحمد بن يحيى بن أحمد بن عَمِيرة الضَّبِّي، المتوفى سنة ٥٩٩ «بُغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس» وللحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله القُضاعي، المعروف بابن الأبار، المتوفى سنة ٦٥٨ ذيل على الصلة لابن بَشْكُوال سماه «التكملة لكتاب الصلة».

ولأبي العباس أحمد بن يوسف الفاسي، السَّبْتي، المعروف بابن فَرْتُون، المتوفى سنة ٦٦٠ ذيل على الصلة لابن بَشْكُوال أيضاً.

وللحافظ أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغَرْناطي، المعروف بابن الزبير، المتوفى سنة ٧٠٨ ذيل على كتاب ابن بشكوال أيضاً سماه «صلة الصلة».

وللوزير، الأديب، المؤرخ أبوعبدالله محمد بن عبدالله الغَرْناطي المعروف بلسان الدين بن الخطيب المتوفى ٧٧٦ ذيل على كتاب ابن الزبير، سماه «عائد الصلة».

وللقاضي أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك المَرَّاكُشي، المتوفى سنة ٧٠٣ كتاب «الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة». وهو ذيل على الصلة لابن بشكوال، وتكميل لما فاته، وفات ابن الفرضي في تاريخه.

مقدمة الوافي ١/٤٩، الإعلان بالتوبيخ ٦١٨ ــ ٦١٩، الإحاطة ١/١٩٠، الذيل والتكملة ١/١/٤٣.

*2 «هي مدينة عظيمة بالأندلس، وسط بلادها، وكانت سريراً لملكها، وقَصْبتها، وبها كانت ملوك بني أمية». معجم البلدان ٤/٣٢٤.

=

وإِشْبِيلِيَة*[١]، وغَرْناطة*[٢]، وبَلَنْسِيَة*[٣]

= ولما توزعت بلاد الأندلس على ملوك الطوائف، كانت قُرْطبة من نصيب بني جَهْور. وقد جمع تاريخاً لبعض علماء قُرطبة: الإمام، المؤرخ، أبو مروان حيّان بن خَلَف القُرطبي، المتوفى سنة ٤٦٩ وسماه «تاريخ فقهاء قُرطبة». مقدمة الإحاطة ١/٨٣.

*١ هي مدينة كبيرة، من أمهات البلدان في الأندلس، تقع غربي قُرطبة إلى ناحية الجَنوب، وكانت من نصيب بني عبّاد لما استولى ملوك الطوائف على الأندلس.

معجم البلدان ١/١٩٥، الأنساب ١/٢٦٤، صبح الأعشى ٥/٢٢٥ و ٢٤٩.

وقد جمع تاريخ جماعة من رجالها أبو بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن قسُّوم الإشْبيلي، المتوفى سنة ٦٣٩ وسماه «مجالس الأبرار في معاملة الخيار» يشتمل على أخبار صلحائها. الإعلان بالتوبيخ ٦١٦.

*٢ قال فيها لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة ١/٩١: «هي مدينة كُوْرَة إِلْبِيْرة، وإِلْبيرة من أعظم كُوَر الأندلس». وقال المؤرخ محمد عنان في تعليقاته على كتاب الإحاطة ١/٩١: «إِلْبيرة هي مدينة رومانية قديمة، وكانت عاصمة الولاية التي تسمى بهذا الاسم، ولما فتح المسلمون الأندلس كانت إِلْبيرة مدينة كبيرة عامرة، وإلى جانبها محلة غَرْناطة الصغيرة، ثم تطور الزمن، وعفت إِلْبيرة، وخربت، ونمت غَرْناطة، وأصبحت منذ القرن الخامس الهجري قاعدة الولاية، ثم غدت عاصمة لمملكة غَرْناطة».

وتقع غَرْناطة في الجَنوب الشرقي من قُرطبة، وإِلْبيرة في الجَنُوب الغربي منها، وهما من مدن جَنوبِ الأندلس، وكانت غَرْناطة من نصيب بني زِيْري من البربر لما استولى ملوك الطوائف على بلاد الأندلس.

تقويم البلدان ١٧٧، صبح الأعشى ٥/٢١٣.

وقد جمع الوزير، المؤرخ، الأديب أبو عبدالله محمد بن عبدالله الغَرْناطي المعروف بلسان الدين بن الخطيب، المتوفى سنة ٧٧٦ تاريخاً لغَرناطة ورجالها سماه «الإحاطة في أخبار غَرْناطة».

*٣ هي مدينة في شرق الأندلس، بريّة بحريّة، من أعمالها: مدينة شَاطِبَة، ومدينة دَانِيَة، وهما في جنوبيها. معجم البلدان ١/٤٩٠، تقويم البلدان ١٧٩. =

فتحت في أيام الوليد بن عبدالملك[1]، وجُلب العلم إليها، لكن اشتهر بها العلم والحديث في المئة الثالثة بابن حَبيب[2]، ويحيى بن يحيى[3]، وأصحابهما، ثم ببقيّ بن مَخْلد[5]،

= ولأبي عبدالله محمد بن الخلف بن الحسن الصَّدَفي، البَلَنْسي المعروف بابن علقمة، والمتوفى سنة ٥٠٩ كتاب «تاريخ بَلَنْسِيَة».

مقدمة الوافي ١/٤٩، مقدمة الإحاطة ١/٨٣، الإعلان بالتوبيخ ٦٢٤.

(١) هو الخليفة، الأموي، أبو العباس الدمشقي، منشىء جامع بني أمية، وموسع مسجد رسول الله ﷺ، وفي عهده فتحت بلاد الأندلس بأسرها وذلك سنة ٩٢، وبلاد ما وراء النهر، وخُوارَزم، وغيرها، وكانت أيامه أيام جهاد، وفتوح عظيمة، ولي الخلافة سنة ٨٦ عقب وفاة أبيه عبدالملك بن مروان، وتوفي سنة ٩٦.

سير أعلام النبلاء ٤/٣٤٧، تاريخ الخلفاء ١٤٨.

(٢) هو الإمام، الفقيه الكبير، عالم الأندلس، أبو مروان عبدالملك الأندلسي، القُرْطبي، المالكي، صاحب التصانيف كالواضحة، وهو في الحديث «ليس بمتقن» كما قال الذهبي. توفي سنة ٢٣٩، وقيل: ٢٣٨.

سير أعلام النبلاء ١٢/١٠٢، تذكرة الحفاظ ٢/٥٣٧، تهذيب التهذيب ٦/٣٩٠، ترتيب المدارك ٤/١٢٢.

(٣) هو الإمام الكبير، الفقيه، المفتي، أبو محمد الليثي، الأندلسي، القُرْطبي، راوي الموطأ عن الإمام مالك إلا يسيراً منه فإنه شك في سماعه، وهو في الحديث «صدوق له أوهام» كما قال ابن حجر. وقد توفي سنة ٢٣٤.

ترتيب المدارك ٣/٣٧٩، سير أعلام النبلاء ١٠/٥١٩، تهذيب التهذيب ١١/٣٠٠ وقد ذكره للتمييز.

(٥) هو الإمام، الحافظ، المجتهد، الحجة، الصالح، المجاهد أبو عبدالرحمٰن الأندلسي، القُرْطُبي، صاحب المسند، والتفسير، وغيرهما من جليل المصنفات التي قال فيها ابن حزم «صارت تصانيف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام، لا نظير لها». =

ومحمد بن وَضّاح[1]، وخرج منها مثل ابن عبدالبر[2]، وأبي عمرو الدَّاني[3]، وابن حَزْم الظاهري[4]، وأبي الوليد

= وبقيّ، وابن وضاح صارت الأندلس دار حديث. توفي بقيّ سنة ٢٧٦.
تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ١/١٠٧، جَذْوة المقتبس ١٦٧، سير أعلام النبلاء ١٣/٢٨٥، تذكرة الحفاظ ٢/٦٢٩.

(١) هو الإمام، الحافظ، الصدوق، الزاهد، أبو عبدالله القُرْطُبي، المتوفى سنة ٢٨٧، وقيل غير ذلك.
تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ٢/١٧، جَذْوة المقتبس ٨٧، الديباج المذهب ٢/١٧٩، سير أعلام النبلاء ١٣/٤٤٥، تذكرة الحفاظ ٢/٦٤٦، ميزان الاعتدال ٤/٥٩.

(٢) هو الإمام الكبير، والعلاّمة المتبحر، الحافظ، النقاد، الفقيه، المجتهد، المقرىء، النَّسَّابة، الحجة، محدث المغرب، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النَّمَري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، المعروف بابن عبدالبر، وصاحب التصانيف البارعة ككتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، توفي سنة ٤٦٣.
الصلة ٢/٦٤٠، سير أعلام النبلاء ١٨/١٥٣، تذكرة الحفاظ ٣/١١٢٨، الديباج ٢/٣٦٧.

(٣) هو الإمام، العَلَم، الحافظ المتقن، المقرىء الحاذق، الأديب الفاضل، الثبت، عثمان بن سعيد الأندلسي القُرْطُبي، ثم الداني المالكي، صاحب التآليف الكثيرة المتقنة، توفي سنة ٤٤٤.
الصلة ٢/٣٨٥، سير أعلام النبلاء ١٨/٧٧، معرفة القراء للذهبي ١/٣٢٥، تذكرة الحفاظ ٣/١١٢٠، الديباج المُذْهَب ٢/٨٤.

(٤) هو الإمام الثبت، الفقيه المجتهد، الحافظ الناقد، المتكلم البارع، الأديب، المتبحر في العلوم ذات الفنون، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، الأندلسي، القُرْطُبي، صاحب التصانيف الفائقة، وتوفي سنة ٤٥٦. =

الباجي[١]، وأبـي علي الغَسَّاني[٢]، ولم تزل بها أَثـارة[٣] من علم إلى أن استولى على قرطبة[٤]، وإِشْبِيْلِيَة[٥] النصـارى، فتناقص بهـا الـعـلـم.

= جَذْوة المقتبس ٢٩٠، الصلة ٢/٣٩٥، سير أعلام النبلاء ١٨/١٨٤، تذكرة الحفاظ ٣/١١٤٦.

(١) هو الإمام، العلامة، الحافظ، الفقيه، المتكلم، الأديب، الثبت، القاضي أبـو الوليـد سليمان بن خلف التُجِيْبـي، الأنـدلسي، القـرطبـي، البـاجي، المالكي، صاحب التصانيف الحافلة، توفي سنة ٤٧٤.

الصلة ١/١٩٧، سير أعلام النبلاء ١٨/٥٣٥، تذكرة الحفاظ ٣/١١٧٨، الديباج المذهب ١/٣٧٧.

(٢) هـو الإمام، الحـافظ، الجِهْبذ، الحجـة، ذو الفنون، محـدث الأنـدلس، الحسين بن محمد بن أحمد الأندلسي الجيَّاني، صاحب التصانيف النفيسة المتنوعة منها كتاب تقييد المُهْمَل وتمييز المُشْكِل، وتوفي سنة ٤٩٨.

الصلة ١/١٤١، وفيات الأعيان ٢/١٨٠، سير أعلام النبلاء ١٩/١٤٨، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٣٣، الديباج المذهب ١/٣٣٢.

(٣) أي بقية من علم تُـؤثر.

(٤) استولى النصارى على قُرْطُبة سنة ٦٣٣.

(٥) استولى النصارى على إِشْبِيْلِيَة سنة ٦٤٦.

إقليم المغرب*[1]:

فــأدنـاه إقليم إِفْــرِيْقِيَّة*[2]، وأمهــا هي مـدينــة القَيْـرَوان*[3]،

---

*١ حد المغرب: هو من ضَفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب، إلى آخر بلاد المغرب، وحدّه مدينة سَلا حاضرة البحر المحيط، وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

فقسم من الإسكندرية إلى أَطْرَابُلُس وهو أكبرها وأقلها عِمارة.

وقسم من أَطْرَابُلُس إلى مدينة تِيْهَرْت، وهذا القسم يسمى ببلاد الزاب الأعلى والأسفل أو الغرب الأوسط.

وقسم من تِيْهَرْت إلى مدينة سَلا وهي بلاد طَنْجة أو الغرب الأقصى.

البيان المغرب ١/٥، صبح الأعشى ٥/٩٩ و ١٥٢

وتدخل مصر في حد المغرب في عرف العجم وأهل العراق قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٨/٨٠: «المشرق في عرف المغاربة مِصر، وما بعدها من الشام، والعراق، وغير ذلك، كما أن المغرب في عرف العجم، وأهل العراق أيضاً مصر وما تغرب عنها».

وقد ألف في رجال المغرب ابن وهب، وسمى كتابه تاريخ المغاربة، وللأمير عزالمُلْك محمد بن أبـي القاسم المُسَبِّحي الحراني الأصل، المصري المولد المتوفى سنة ٤٢٠ كتاب تاريخ المغاربة ومصر.

الأنساب ١٢/٢٣٦، الإعلام بمن حلَّ مراكش ١/١١٦.

*٢ وإفرِيْقِيّة ضبطها ياقوت في معجم البلدان بكسر الهمزة، والملك المؤيد في تقويم البلدان بفتحها. وحدها من جهة الشرق قرية «قَصْر أحمد» شرقي أَطْرابُلُس، وغربـي بلاد بَرْقة، ومن الغرب مدينة «بُوْنة» الواقعة على ساحل البحر بين بَنْزَرْت وبِجَايَة.

تقويم البلدان ١٤٠ و ١٤٦، صبح الأعشى ١٠٥ ــ ١٠٦.

*٣ هي مدينة مُصِّرت في أيام معاوية رضي الله عنه، وكانت قاعدة إفريقيّة قبل دخول العُبَيْديين إليها، وهي اليوم تابعة لتُوْنُس. =

كان بها سُحنون بن سعيد الفقيه(1)، وأما بِجايَة*1،

= معجم البلدان 4/420، تقويم البلدان 144.

وقد جمع تاريخ رجال القَيْرَوان، وإفريقيَّة عدد من العلماء منهم:

الحافظ، المؤرخ أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم الإفريقي القَيْرَواني، صنف كتاب «طبقات علماء إفريقية وتُونُس» أو «تاريخ القَيْرَوان». وقد توفي سنة 333.

والحافظ، الإمام، أبو عبدالله محمد بن حارث الخُشَني القَيْرَواني، صنف كتاب «تاريخ القَيْرَوانيين» أو «تاريخ الإفريقيين». وقد توفي سنة 361.

وأبو زيد عبدالرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ، المتوفى سنة 696 صنف كتاب «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان».

والفقيه أبو بكر عبدالله بن محمد، صنف كتاب «رياض النفوس» في علماء إفريقية.

مقدمة الوافي 49، الإعلان بالتوبيخ 639، سير أعلام النبلاء 16/166، لسان الميزان 3/233، الإعلام بمن حلّ مَرّاكُش 1/125.

(1) هو الإمام، العلامة، الزاهد، فقيه المغرب، أبو سعيد عبدالسلام بن سعيد بن حَبيب القَيْرَواني، المالكي، صاحب المُدَوَّنة، وسُحنون لقبه، توفي سنة 240.

ترتيب المدارك 4/45، سير أعلام النبلاء 12/63.

*1 هي مدينة على ساحل البحر بين إفْرِيْقِيَّة والغَرْب الأقصى، وهي قاعدة الغَرْب الأوسط. وقيل: إن القاعدة هي تِلِمْسَان.

معجم البلدان 1/339، تقويم البلدان 136، البيان المغرب 1/200.

وقد جمع تاريخ بعض رجالها أبو العباس بن الغُبْريني أحمد بن أحمد المتوفى سنة 714 وسماه «عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المئة السابعة بِبِجَاية».

ولابن الحاج (لعله أبو عبدالله محمد بن محمد العبدري، الفاسي، المصري، المعروف بابن الحاج والمتوفى سنة 737) تاريخ بِجاية.

مقدمة الإحاطة 1/83، الإعلان بالتوبيخ 620.

فائدة: النسبة المستعملة إلى بِجاية: «البِجائي».

وتِلِمْســـان*[1]، وفــاس*[2]، ومَـــرَّاكُش*[3] وغـالب مــدائن المغــرب،

*1 هي مدينة من الغرب الأوسط، وقيل: من الغرب الأقصى متاخمة للأوسط، تقع بين بِجاية وفاس.

معجم البلدان ٢/٤٤، تقويم البلدان ١٣٦، الإعلان بالتوبيخ ٦٢٦، صبح الأعشى ٥/١٤٩.

وقد جمع تاريخها: المؤرخ، القاضي، أبو عبدالله محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي التِّلِمْساني، المتوفى سنة ٧٣٦، والمؤرخ، اللغوي، النحوي، أبو عثمان سعيد بن عيسى بن الأصفر، المتوفى سنة ٤٦٢.

كما أن للعلامة أبي عبدالله محمد بن محمد الملقب بأبي مريم الشريف التِّلِمْساني المتوفى سنة ١٠١٤ كتاب «البستان في ذكر العلماء والأولياء بتِلِمْسان».

مقدمة الإحاطة ١/٨٣، الإعلان بالتوبيخ ٦٢٦، الإعلام بمن حل مَرَّاكُش ١/١١٤.

*2 هي مدينة من أعظم مدن الغرب الأقصى قبل أن تختط مَرَّاكُش، قال ابن سعيد في المُغْرب: «هي مدينتان: إحداهما بناها إدريس بن عبدالله أحد خلفاء الأدارسة بالمغرب، وتعرف بعُدْوة الأندلس، والأخرى بُنيت بعدها، وتعرف بعُدْوة القَرَوِيين».

معجم البلدان ٤/٢٣٠، صبح الأعشى ٥/١٥٣ ــ ١٥٤.

وقد جمع تاريخ رجالها أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بابن القاضي المِكْنَاسي المتوفى سنة ١٠٢٥ وسمى كتابه «جَذْوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس».

وللمؤرخ أبي الحسن علي بن محمد المعروف بابن أبي زَرْع المتوفى بعد سنة ٧٢٦ كتاب «روض القِرطاس في أخبار المغرب، وتاريخ مدينة فاس».

مقدمة الإحاطة ١/٨٣، الإعلان بالتوبيخ ٦٣٧.

*3 هي أعظم مدينة بالمغرب، وأجلها، اختطها أمير المرابطين يوسف بن تاشِفين سنة ٤٥٤.
=

فـالحديث بهـا قليل[1]، وبهـا المسائل[2][3].

= معجم البلدان ٥/٩٤، صبح الأعشى ٥/١٨٩، تقويم البلدان ١٣٤.

وللمَقَّري أبـي العباس أحمد بن محمد بن أحمد القرشي التِّلِمْسـاني صاحب كتاب نَفْح الطِّيب، المتوفى سنة ١٠٤١، كتاب «روضة الآس، العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مَرّاكُش وفاس». وللعباس بن إبراهيم السملالي المَرّاكُشي المتوفى سنة ١٣٧٨ كتاب «الإعلام بمن حل مَرّاكُش وأَغْمات من الأعلام».

(١) وقد قلَّ كثيراً في العصور المتأخرة، فقد قال الذهبـي في تذكرة الحفاظ ٤/١٤٨٥: «وقد قلَّ من يعتني بالآثار ومعرفتها في هذا الوقت، في مشارق الأرض، ومغاربها على رأس السبعمائة، أما المشرق وأقاليمه فغلق الباب، وانقطع الخطاب ــ (أي بعـد دخول التتـار إليه) ــ والله المستعـان؛ وأما المغرب، وما بقي من جزيرة الأندلس فيندر من يعتني بالرواية كما ينبغي، فضلاً عن الدراية».

وقـد سبق في التعليقة الثـالثة من ص ١٢ ذكـر قلة الاعتناء بـالآثار لما استولى العُبَيْديون الرافضة على بلاد المغرب، وغيرها. فليرجع إليه.

(٢) يعني بالمسائل علم الفقه والفروع.

(٣) قال السخاوي في الإعلان بالتوبيـخ ص ٦٦٥ عقب كلام الذهبـي هذا، ما نصّه: قلت: وكلهم ــ (أي المغاربة) ــ مقلدون لمالك رحمه الله، وطائفة ظاهريون، وفيه بقية من علم».

الجـزيـرة*[1]:

أكبر مدائنهـا المَوْصِـل*[2]، خرج منهـا جماعـة من المحدثين،

---

*1 هي جزيرة أَقُور، الواقعة بين دِجلـة والفرات، تشتمل عى ديار ربيعة، وديار مُضَر، وديار بكر، وقيل بعض ديار بكر لا جميعها، وحدها من الشمال «مَلَطْيَة» قاعدة الثغور، وهي من بلاد الروم، ومن الجنوب الحدود الشمالية لمدينة الأنْبار العراقية، ولو أردت تحديداً دقيقاً للجَنوب الشرقي فإنك تنتقل من شَمال الأنبار إلى تَكْرِيت التي هي آخر مدن الجزيرة من ناحية دجلة. وقيل: إن هِيْت العراقية التي على الفرات ينتهي في شَماليها الحد الجَنوبي للجزيرة.

ومن أمهات مدن الجزيرة حَرَّان، والرُّها، والرَّقة، والمَوْصل، وسِنْجار، وآمِد وغيرها وقد جمع تاريخ رجال الجزيرة: الحافظ أبو عَروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر الحراني المتوفى سنة ٣١٨ وسماه «تاريخ الجزريين»، وللحافظ محدث خراسان أبي الحسن علي بن الحسن بن عـلان الحراني المعروف بابن الحراني، المتوفى سنة ٣٥٥، كتاب تاريخ الجزيرة.

الأنساب للسمعاني ٣/٢٤٨، ٤/٩٦، معجم البلدان ٢/١٣٤، ٢٣٦، تقويم البلدان ٢٧٣ و٢٩٨، صبح الأعشى ٤/٣١٤، الإعلان بالتوبيخ ٦٢٧، تذكرة الحفاظ ٣/٩٢٤.

*2 هي المدينة الشهيرة العظيمة، وقاعدة البلاد الجزرية، تقع على دجلة من الناحية الغربية.

معجم البلدان ٥/٢٢٣، تقويم البلدان ٢٨٤، صبح الأعشى ٤/٣١٥.

وللحافظ أبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي، الموصلي، المتوفى نحو سنة ٣٣٤، كتاب «طبقات المحـدثين من أهل المَـوْصل»، وللحـافظ أبي بكر محمد بن عمر المعروف بابن الجِعابي، المتوفى سنة ٣٥٥ كتاب تاريخ المَوْصل.

تهذيب التهذيب ٩/١٥٤، تاريخ المَوْصل لأبي زكريا ٣٠١.

وحرَّان*[١]، والرَّقة*[٢]، وغير ذلك، خرج منها حفاظ، وأئمة، ثم تناقص، ثم انطوى البِساط.

---

*١ هي قَصْبَةُ ديار مُضَر الجزرية، وقد كانت مدينة عظيمة ثم ضعف شأنها.
معجم البلدان ٢/٢٣٥، تقويم البلدان ٢٧٦.
وقد جمع تاريخ رجالها الحافظ أبو عَروبة الحراني، وهو الذي سبق ذكره باسم تاريخ الجزريين قال السمعاني في الأنساب ٤/٩٦: «حران بلدة من الجزيرة... ولها تاريخ عمله أبو عروبة، ذكر فيه جماعة كثيرة من أهل الجزيرة سماه تاريخ الجزريين»، وكثرة الحرانيين المترجمين فيه حمل الخليلي في الإرشاد ١/٦٣أ على تسميته بتاريخ الحرانيين. وللأمير عزالملك محمد بن أبـي القاسم المُسَبِّحي الحراني الأصل، المصري المولد، المتوفى سنة ٤٢٠ كتاب تاريخ حران. كشف الظنون ١/٢٩١.

*٢ هي مدينة مشهورة على جانب الفرات الشرقي، من ديار مُضَر الجَزَريّة، خربت، وغلب اسمها على رَبَضِها ــ أي الفَضَاء الذي حولها ــ الذي كان يقال له «الرَّافِقَة»، قال ابن خلكان: «ويقال لهما الرَّقَّتان، تغليباً لأحد الاسمين على الآخر، كما قيل: العُمَران، والقَمران، وغير ذلك».
المشترِك وضعاً والمفترِق صُقْعاً ٢٠٨، وفيات الأعيان ٦/٢٢٧، معجم البلدان ٣/١٥ و٥٩ ــ ٦٠، تقويم البلدان ٢٧٦.
وقد ذكر السمعاني في الأنساب ٦/١٥٢ أن الحافظ أبا الحسن بن الحراني ــ الذي مرت ترجمته ــ صنف تاريخ الرقة، وترجم لعلمائها، فيظهر ــ والله أعلم ــ أن هذا الكتاب هو نفس «تاريخ الجزيرة» الذي مر ذكره.
كما أن السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ص ٦٣٢ ذكر لأبـي عروبة الحراني ــ الذي مضت ترجمته ــ كتاب «تاريخ الرقة»، وذكر له السمعاني في التحبير ١/١٦٥ كتاب «تاريخ الرَّقَّتين وأهل حرَّان»، فيبدو ــ والله أعلم ــ أن هذين الكتابين هما نفس كتاب «تاريخ الجزريين» المتقدم ذكره. والرقتان، وحرَّان من أمهات بلاد الجزيرة.
هـذا وللحافظ، المؤرخ أبـي علي محمـد بن سعيـد بن عبـدالرحمٰن القشيري، الحراني، نزيل الرقة، المتوفى سنة ٣٣٤ كتاب «تاريخ الرَّقة».
الإعلان بالتوبيخ ٦٣٢، مقدمة الإحاطة ١/٨٢.

الدِّيْنَـوَر*١:

خـرج منهـا حفــاظ كمحمـد بن عبــدالعـزيــز الـدِّيْنَـوَري(١)، وأبـي محمد بن قُتَيْبة(٢)، وعبدالله بن محمد بن وَهْب(٣)، وعمر بن سهل(٤)

---

*١ هي من مدن بلاد الجَبَل أو الجبال، وتقع غربـي هَمَذان بِمَيْلَة إلى الشَّمال.
الأنساب ٥/٤٠٧، تقويم البلدان ٤١٤.

(١) لم أظفر بترجمته كما ينبغي، وقد ذكره الخليلي في الإرشاد ورقة ١١١ أ وقال: «ضعفوه جداً، فسقط». وقال فيه الذهبـي في ميزان الاعتدال ٣/٦٢٩: «هو منكر الحديث، ضعيف، ذكره ابن عدي، وذكر له مناكير، وكأنه ليس بثقة، يـأتي ببلايـا، ومن موضـوعاتـه: عن قتادة، عن أنس، كـان نقش خاتم النبـي ﷺ: صدق الله».

(٢) هو العلامة الكبير، ذو الفنـون، عبدالله بن مسلم بن قُتَيْبَة الدِّينوري، وقيل: المروزي، الكاتب، سكن بغداد، وتصانيفه كثيرة، وجليلة منها: «المعارف» و«غريب الحديث» و«مشكل القرآن»، و«مشكل الحديث» و«أدب الكاتب» وغيرها. وهو صدوق، وثقه الخطيب وقـال: «قيل: إن أباه مَـرْوَزي، وأما هو فمولده بغداد، وأقام بالدِّينور مُدَّة، فَنُسِب إليها». توفي سنة ٢٧٦.
تاريخ بغداد ١٠/١٧٠، سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٦، ميزان الاعتدال ٢/٥٠٣.

(٣) هو الحافظ البارع، والعلامة الرّحال، أبو محمد الدِّينوري، وينسب إلى جده فيقـال: عبدالله بن وهب، كمـا يقـال لـه: عبـدالله بن حمـدان بن وهب، وهو متروك الحديث، متهم بالكذب. توفي سنة ٣٠٨.
سير أعلام النبلاء ١٤/٤٠٠، تذكرة الحفاظ ٢/٧٥٤، ميزان الاعتدال ٢/٤١٢ و٤٩٤.

(٤) هو الإمام، الحافظ، المجوّد، الحجـة، الفاضـل، الرَّحـال، أبو حفص، وأبو بكر الدِّيْنَوَري، القَرمِيسِيْني ـ وقَرْمِيْسِيْن: بفتح القاف، وقيل بكسرها، بلدة بالجبل قرب الدِّيْنَوَر ـ الملقب بكدو أو كذو.
الإرشـاد ورقـة ١١١ ب، الأنسـاب ١٠/١١٠، سيـر أعــلام النبـلاء ١٥/٣٣٧، تذكرة الحفاظ ٣/٨٧٩.

المتوفى سنة ٣٣٠[١]، وأبي بكر بن السُّنِّي[٢].

هَمَــذان*١:

دار السُّنة، لها تاريخ لصالح بن أحمد الحافظ[٣]، ولشِيْرويه بن شَهْرَدَار بن شِيرويه الدَّيْلَمي[٤]، وصار [بها

---

(١) هكذا هي بالرقم في المخطوط، لكن لم تظهر النقطة، وفي (ق) و(ع) كتبت بالحرف.

(٢) هو الإمام، الحافظ، الثقة، أحمد بن محمد بن إسحاق الدِّيْنَوَري، المعروف بابن السُّنِّي، صاحب التصانيف، ككتاب عمل اليوم والليلة، وكتاب رواية الإخوة بعضهم عن بعض، وكتابَيْ رياضة المتعلمين ورياضة المتعبدين، وغيرها. وهو راوية المجتبى عن الإمام النسائي، لكن الذهبي، والتاج السبكي، وابن ناصرالدين الدمشقي يرون أن المجتبى من عمل ابن السُّني، حيث اختصر فيه السنن الكبرى. وقد توفي سنة ٣٦٤.

سير أعلام النبلاء ٢٥٥/١٦، تذكرة الحفاظ ٩٣٩/٣، طبقات الشافعية الكبرى ٣٩/٣، شذرات الذهب ٤٨/٣، فتح المغيث ١٦٣/٣، المعجم المفهرس لابن حجر ورقة ٣٤ب.

*١ هي مدينة كبيرة من بلاد الجبل، تقع في وسطها.

الأنساب ٤٢٤/١٣، تقويم البلدان ٤١٦.

ولعمران بن محمد الهَمَذاني كتاب «طبقات أهل هَمَذَان»، وكذا لغيره كما سيأتي.

انظر الإعلان بالتوبيخ ٦٥٤.

(٣) هو الإمام، الثبت، أبوالفضل التميمي الهَمَذَاني، صاحب كتابَيْ: طبقات الهَمَذَانيين، وسنن التحديث، توفي سنة ٣٨٤.

تاريخ بغداد ٣٣١/٩، سير أعلام النبلاء ٥١٨/١٦، تذكرة الحفاظ ٩٨٥/٣.

(٤) هو الحافظ، المؤرخ، محدث هَمَذَان أبو شُجاع الهَمَذَاني، الملقب بـ «إِلْكِيا» ـ وهي كلمة فارسية معناها: الكبير ـ صاحب كتاب «طبقات الهَمَذَانيين» وكتاب «الفردوس». توفي سنة ٥٠٩. =

علماء][1] من سنة ٢٠٠[2] وهلمّ جرّا، وختمت بالحافظ أبـي العلاء العطّار[3]، وأولاده[4]، ثم استباحها التتار[5]، والجنكزخانية.

= سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٩٤، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٩٥، التقييد لابن نقطة ورقة ١٠٢ أ.

(١) في المخطوط (لها علماً) وهذا فيه وَهَم بَيِّن، والمثبت هو الصواب كما في (ق) و (ع).

(٢) وقع في المخطوط (٢٥٥) بدل (٢٠٠) وهو وَهَم. ويوجد في (ق) و(ع): (مائتين) هكذا بالحروف، وهو الصواب، وذلك لأن علم الآثار كان له وجود حسن في هَمَذان قبل منتصف القرن الثالث.

(٣) هو الإمام، العلامة، الحافظ البارع، المقرىء الحاذق، اللغوي، النَّحْوي، الأديب، الزاهد، العابد، الصالح، المنفق، الحسن بن أحمد بن الحسن الهَمَذاني، صاحب التصانيف النافعة الحسنة. توفي سنة ٥٦٩.
معجم الأدباء لياقوت ٨/ ٥، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٢٤، غاية النهاية ١/ ٢٠٤، التقييد لابن نقطة ورقة ٨٤.

(٤) ذكر الذهبـي في سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤١ و٤٦ ــ ٤٧ عدداً من أولاد أبـي العلاء العطار، وهم: أحمد، وعبدالبر، ومحمد، وفاطمة.
فأحمد هو أبو عبدالله «ثقة، صحيح السماع» كما قال ابن نقطة، توفي سنة ٦٠٤. التقييد ورقة ٤٩ب ــ ٥٠ أ.
وعبدالبر هو المُسْند أبو محمد، توفي سنة ٦٢٤.
سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٦٣ ــ ٢٦٤، العبر ٥/ ٩٩.
ومحمد هو الحافظ، الرحال، محدث هَمَذان، أبو بكر، توفي سنة ٦٠٥.
سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٦ ــ ٤٧.
وفاطمة هي المحدثة. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام لعمر رضا كحالة ٤/ ٤٠.

(٥) وذلك سنة ٦١٧. الكامل في التاريخ ١٢/ ٣٨٠.

الـرَّيّ*١:

صـارت دار علم بجريـر بن عبـدالحميـد(١)، وأمثالـه، ثم بـابـن حُميـد(٢)، وابن مِهْـران(٣) الجَمَّـال(٤)، وإبـراهيـم بن

---

*١ هي مدينة كبيرة، وعظيمة، من بلاد الجَبَل، وقيل: من بلاد الدَّيْلَم، قرب قُوْمِس من ناحية الغرب. والنسبة إليها «رازي» على غير قياس قال السمعاني: «وألحقوا الزاي في النسبة تخفيفاً، لأن النسبة على الياء مما يشكل، ويثقل على اللسان، والألف لفتحة الراء، على أن الأنساب ما لا مجال للقياس فيها، والمعتبر فيها النقل المجرد».

الأنساب ٦/٤١، تقويم البلدان ٤٢٠.

وقد جمع تاريخ رجال الرّيّ أبـو الحسن بن بابويه، ولأبـي منصور الآبـي تاريخ الري أيضاً.

الإعلان بالتوبيخ ٦٣٢، مقدمة الوافي ١/٤٨، لسان الميزان ١/٢٤١، ٢٦٤، ٣١٦، ٣٦٧، ٤٣٢، كشف الظنون ١/٢٩٥.

(١) هو الإمام، الحافظ، الحجة، محدث الريّ، أبو عبدالله الضَّبِّـي، الكوفي، نزيل الريّ. توفي سنة ١٨٨.

تاريخ بغداد ٧/٢٥٣، سير أعلام النبلاء ٩/٩، تذكرة الحفاظ ١/٢٧١، تهذيب التهذيب ٢/٧٥.

(٢) هو الحافظ الكبير، أبو عبدالله محمد بن حُميد بن حيّان الرازي، ضعيف في الحديث غير معتمد، مع كونه من بحور العلم. توفي سنة ٢٤٨.

تاريخ بغداد ٢/٢٥٩، سير أعلام النبلاء ١١/٥٠٣، تذكرة الحفاظ ٢/٤٩٠، ميزان الاعتدال ٣/٥٣٠، تهذيب التهذيب ٩/١٢٧، تقريب التهذيب ٢/١٥٦.

(٣) هو الإمام، الحافظ، الثقة، الجَوَّال، أبو جعفر محمد الرازي، توفي سنة ٢٣٩ أو قريباً من ذلك.

سير أعلام النبلاء ١١/١٤٣، تذكرة الحفاظ ٢/٤٤٨، تهذيب التهذيب ٩/٤٧٨.

(٤) في المخطوط و (ق) و (ع): «الحَمَّال» بالحاءِ المهملة، وهو وَهَمٌ، والصواب بالجيم المعجمة كما أثبته.

موسى[1]، «وسهل بن زَنْجَلَة»[2]، ثم بابن وَارَة[3]، وأبي زُرعة[4]، وأبي حاتم[5]، وابنه[6]، وإلى أثناء المئة الرابعة، وذهب ذلك.

---

(١) هو الإمام، الحافظ الكبير، الثبت، أبو إسحاق الفراء الرازي، توفي في حدود سنة ٢٣٠.

سير أعلام النبلاء ١١/١٤٠، تذكرة الحفاظ ٢/٤٤٩، تهذيب التهذيب ١/١٧٠.

(٢) في المخطوط (وشهاب بن نخلة)، وهو تحريف؛ والصواب ما أثبته كما في (ق) و (ع).

وسهل بن زَنْجَلَة هو: الإمام، الحافظ، المتقن، أبو عمرو الرازي، ويقال له: سهل بن أبي سهل، وسهل بن أبي الصُّغْدي، له تصانيف منها: المسند الكبير، والسنن. وهو ثقة إن شاء الله. توفي سنة ٢٣٨ فيما قيل.

تاريخ بغداد ٩/١١٦، سير أعلام النبلاء ١٠/٦٩٢، تذكرة الحفاظ ٢/٤٥٢، الكاشف ١/٤٠٧، تهذيب التهذيب ٤/٢٥١، تقريب التهذيب ١/٣٣٦.

(٣) هو الإمام، الحافظ الكبير، الحجة، أبو عبدالله محمد بن مسلم بن عثمان الرازي، المعروف بابن وارة، توفي سنة ٢٧٠.

تاريخ بغداد ٣/٢٥٦، سير أعلام النبلاء ١٣/٢٨، تذكرة الحفاظ ٢/٥٧٥، تهذيب التهذيب ٩/٤٥١.

(٤) هو الإمام، الحافظ الكبير، والناقد البصير، الجِهْبذ، الحجة، عُبيدالله بن عبدالكريم الرازي، محدث الريّ، قال فيه الذهبي: «يعجبني كثيراً كلام أبي زرعة في الجرح والتعديل، يَبِيْنُ عليه الورع، والمَخْبُرَة». توفي سنة ٢٦٤.

مقدمة الجرح والتعديل ٣٢٨، تاريخ بغداد ١٠/٣٢٦، سير أعلام النبلاء ١٣/٦٥، تذكرة الحفاظ ٢/٥٥٧، تهذيب التهذيب ٧/٣٠.

(٥) هو الإمام، الحافظ الكبير، النقَّاد، الجِهْبِذ، الحجة، محمد بن إدريس الحنظلي، الرازي. توفي سنة ٢٧٧.

مقدمة الجرح والتعديل ٣٤٩، تاريخ بغداد ٢/٧٣، سير أعلام النبلاء ١٣/٢٤٧، تذكرة الحفاظ ٢/٥٦٧، تهذيب التههذيب ٩/٣١.

(٦) هو الإمام، الحافظ، العلامة، الناقد، الحجة، أبو محمد عبدالرحمٰن بن =

قَــزْوين*[١]:

ذُكرت في المئة الثالثة[(١)]، وخرج منهامحمد بن سعيد بن سابق[(٢)] القـزويني[(٣)]، وعلي بن محمد الـطَّنَـافِسي[(٤)]، وعمـرو بن رافـع[(٥)]،

= محمد بن إدريس الحنظلي، الرازي، صاحب التصانيف الفائقـة، ككتاب الجرح والتعديل، وكتاب التفسير، وكتاب العلل، وغيرها. توفي سنة ٣٢٧.

سير أعلام النبلاء ١٣/٢٦٣، تذكرة الحفاظ ٣/٨٢٩.

*١ هي مدينة من بلاد الجَبَل، وَثَغْرُ الدَّيْلَم، تقع غربـي الريّ.

تقويم البلدان ٤١٨.

وللحـافظ أبـي يعلى الخليل بن عبـدالله القزويني الخليلي، المتـوفى سنة ٤٤٦، كتاب: «تاريخ قزوين»، وللإمام، العلامة، الفقيه، أبـي القاسم عبدالكريم بن محمد الرافعي، الشافعي، المتوفى سنة ٦٢٣ كتاب: «التدوين في ذكر علماء قزوين».

التقييد لابن نقطة ورقة ٤٤ب، الإعلان بالتوبيخ ٦٣٧ ـ ٦٣٨، مقدمة الوافي ١/٤٨.

(١) في المخطوط (الثانية) بدل (الثالثة). والصواب ما أثبته كما في (ق) و(ع).

(٢) هو الثقة، الجليل، أبو سعيد، وقيل: أبو عبدالله، الرازي الأصل، نـزيل قزوين، توفي سنة ٢١٦.

الإرشاد ورقة ١٣٦ أ، الأنسـاب ١٠/١٣٧، الوافي ٣/٩٥، تهـذيب التهذيب ٩/١٨٧.

(٣) ذُكِرَ قبل هذه الكلمة في (ق) و(ع): (الرازي ثم)، فلا أدري إن كانت من زيادات السخاوي، أو من كلام الذهبـي الساقط من المخطوط، مع أني أميل إلى الأول.

(٤) هو الإمام، الحافظ، الثبت، المتقن، أبو الحسن الكـوفي، نزيـل قزوين ومحدثها وعالمها، توفي سنة ٢٣٣.

سير أعلام النبلاء ١١/٤٥٩، تذكرة الحفاظ ٢/٤٤٥، تهذيب التهذيب ٧/٣٧٨.

(٥) هو الإمام، الحافظ، الثبت، أبو حُجْر البجلي، القزويني، المتوفى سنة ٢٣٧.

سير أعلام النبلاء ١١/٣٨٥، تهذيب التهذيب ٨/٣٢.

«وإسماعيل بن تَوْبة[1]، ويحيى بن عَبْدَك[2][3]»[4]، وكثير بن شهاب[5][6]، وخلق بعدهم، ثم ابن ماجه[7]، وصاحبه أبو الحسن القطّان[8].

---

(1) هو الإمام، الصدوق، أبو سليمان، وقيل: أبو سهل الثقفي الرازي، ثم القزويني، توفي سنة ٢٤٧.
الثقات لابن حبان ٨/١٠٢، الإرشاد ورقة ١٣٧ أ، تهذيب التهذيب ١/٢٨٦، تقريب التهذيب ١/٦٧.

(2) هو الإمام، الحافظ، الثقة، محدث قزوين، أبو زكريا بن عبدالأعظم، ويعرف بيحيى بن عَبْدَك، له تصانيف، وقد توفي سنة ٢٧١.
الإرشاد ورقة ١٤٠ أ، سير أعلام النبلاء ١٢/٥٠٩.

(3) في المخطوط و (ق) و (ع): (عبدل) بدل (عَبْدَك)، وهو تحريف. والكاف في لغة العجم حرف تصغير.
المشتبه ٢/٤٦٩، وتبصير المنتبه ٣/٩٦٦.

(4) وقع في (ق) و (ع) قلب، وتحريف في هذين الاسمين على الصورة التالية: «وإسماعيل بن يحيى، وتوبة بن عبدل».

(5) هو العالم، الصدوق، الفاضل، أبو الحسن المَذْحِجي، القزويني، المتوفى سنة ٢٧٢.
الجرح والتعديل ج ٣ ق ٢ ص ١٥٣، تاريخ بغداد ١٢/٤٨٤، الإرشاد ورقة ١٤١ أ، سير أعلام النبلاء ١٣/١٥٨.

(6) وقع في المخطوط، و (ق) و (ع): (هشام) بدل (شهاب) وهو تحريف.

(7) هو الإمام، الحافظ، المفسر، الحجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، محدث قزوين وعالمها، يعرف بابن ماجه، صنف السنن، والتفسير، والتاريخ، وتوفي سنة ٢٧٣.
سير أعلام النبلاء ١٣/٢٧٧، تذكرة الحفاظ ٢/٦٣٦، تهذيب التهذيب ٩/٥٣٠.

(8) هو الإمام، العلامة، الحافظ، المتفنن، العابد، الفاضل، علي بن إبراهيم بن سلمة القزويني، سمع من ابن ماجه سننه، وصنَّف، توفي سنة ٣٤٥.
سير أعلام النبلاء ١٥/٤٦٣، تذكرة الحفاظ ٣/٨٥٦.

جُرْجان*١:

صار بها حديث كثير في المئة الثالثة، بإسحاق بن إبراهيم(١)

---

*١ هي مدينة عظيمة بين طَبَرِسْتان وخُراسان، فمنهم من عدها من الأولى، ومنهم من عدها من الثانية، ومنهم من جعلها قصْبة بلاد مازَنْدَران إلا أن ياقوتاً يرى أن مازَنْدَران اسم محدَث لولاية طَبَرِسْتان.

انظر معجم البلدان ٥/٤١.

وقد خالفه بعض العلماء، فجعلوا مازَنْدَران إقليماً مستقلاً غير إقليم طَبَرِسْتان، ولو قصدنا الدقة في تحديدها فإنها تقع في أقصى الجَنُوب الشرقي لبحر الخَزَر بميْلة إلى خراسان.

ومن المدن المهمة التي في نواحي جُرجان، مدينة أَسْتَرَاباذ، فقيل هي من مازَنْدَران، وقيل من طَبَرِسْتان، وقد أخرجت طائفة كبيرة من العلماء.

معجم البلدان ١/١٧٤، ٢/١١٩، تقويم البلدان ٤٣٨، المشترِك وضعاً ٢١، صبح الأعشى ٤/٣٨٦.

وقد جمع تاريخ رجالها عدد من العلماء، منهم:

الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني، المتوفى سنة ٤٢٧.

وأبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله الجرجاني، المتوفى سنة ٤٦٨.

وعبدالرحمٰن بن عبدالرزاق السعدي الجرجاني.

مقدمة الوافي ١/٤٨، الإعلان بالتوبيخ ٦٢٦، هدية العارفين ١/٥١٥.

(١) هو الإمام، الثقة، أبو بكر بن إبراهيم بن خالد بن محمد الطلقي، المؤذن، الأَسْتَرَاباذي، روى عن عفان بن سيار، وسعد بن سعيد الجرجانِيَّيْن، وغيرهما، وعنه أبو نعيم عبدالملك بن محمد بن عدي الجرجاني، وغيره. توفي سنة ٢٦٤.

المستدرك على تاريخ جرجان للسهمي ٦٠٣، الجرح والتعديل ١/١/٢١١، الإرشاد ورقة ١٦٨، لسان الميزان ١/٣٦٤.

ويوجد في تاريخ جرجان للسهمي ١٤٧ ترجمة فيها: «أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الطلقي، الأَسْتَرَاباذي، روى عن... وعفان بن سيار =

الـطَّلقي[1]، ومحمـد بن عيسى الـدَّامَغَـاني[2]، ثم بـأبـي نُعيم ابن عدي[3]، وإسحاق بن إبراهيم البَحْري[4][5]، وأبـي أحمـد بن

= الجرجاني، وسعد بن سعيد الجرجاني... روى عنه أبو نعيم عبدالملك بن محمد بن عدي».

فلعل أبا يعقوب هذا، هو نفس أبي بكر الذي ذكره السهمي في المستدرك على تاريخ جرجان، مع أن السهمي صرح في مقدمة المستدرك بأنه يذكر فيه من لم يسبق له ذكر في تاريخ جرجان.

(١) ضبطها السمعاني في الأنساب ٢٤٨/٨، بفتح اللام، وضبطت بالسكون شكلاً في نسخة أيا صوفيا من كتاب الإرشاد للخليلي، وهذه النسخة معتمدة، تداولتها أيدي أئمة.

(٢) لم أظفر بترجمته كما ينبغي، وقد روى عنه جماعة، وقال فيه أبو حاتم الرازي: «رازي، يكتب حديثه».

الجرح والتعديل ق ١ م ٤ ص ٣٩، الارشاد للخليلي ورقة ١٦٨ ب.

(٣) هو الإمام، الحافظ، الفقيه، الحجة، عبدالملك بن محمد بن عدي الجرجاني، الأَسْتَراباذي، قال الخليلي: «له تصانيف في الفقه، وكتاب الضعفاء في عشرة أجزاء، وغير ذلك». توفي سنة ٣٢٣، وقيل غير ذلك.

الإرشاد ورقة ١٦٨ب، تاريخ بغداد ٤٢٨/١٠، سير أعلام النبلاء ٥٤١/١٤، تذكرة الحفاظ ٨١٦/٣.

(٤) هو الإمام، الحافظ، الثبت، محدث جرجان، أبو يعقوب الجرجاني، المتوفى سنة ٣٣٧.

تاريخ جرجان ١٤٥، الأنساب ٩٦/٢ ـ ٩٧، سير أعلام النبلاء ٤٧١/١٥، تذكرة الحفاظ ٨٧٨/٣.

(٥) وقع في المخطوط (الشجري) مع وضع النقط الفوقية على الجيم، وفي (ق) و(ع): (السجزي) وكلاهما تصحيف عن (البَحْري)، قال السمعاني في الأنساب ٩٧/٢ لما ذكر إسحاق: «وظني أنه قيل له البَحْري لأنه كان يسافر إلى البحر».

عدي[1]، وأبـي بكر الإسماعيلي[2]، والغِطْريفي[3]، وأصحابهم، ثم أغلق الباب.

(١) هو الإمام، الحافظ، الناقد، الثقة، عبدالله بن عدي الجرجاني، كان يعرف بـابن القطان، ولـه تصانيف منهـا كتابـه الحافـل المسمى بـ «الكامـل في الضعفاء». وقد أثنى الـذهبي على انصاف ابن عـدي في النقد بقـوله: «هو منصف في الرجال بحسب اجتهاده». توفي سنة ٣٦٥.

سير أعلام النبلاء ١٦/١٥٤، تذكرة الحفاظ ٣/٩٤٠.

(٢) هـو الإمام، الحـافظ، الفقيـه، الثبت، أحمـد بن إبـراهيم بن إسمـاعيـل الجرجاني، شيخ الشافعية، وصاحب التصانيف الكثيرة النافعة، كالمستخرَج على صحيح البخاري، ومسند عمر بن الخطاب، ومعجم الشيوخ، وغيرها. وتوفي سنة ٣٧١.

تاريخ جـرجان ٨٥، سيـر أعلام النبـلاء ١٦/٢٩٢، تذكـرة الحفاظ ٣/٩٤٧.

(٣) هو الإمام، الحافظ، المتقن، الثقة، العابد، مُسْنِد وقته، أبو أحمد محمد بن أحمد بن الحسين الغِطْريفي، الجرجاني، صَنَّف الصحيح المستخرج على كتاب البخاري على المسانيد. توفي سنة ٣٧٧.

تاريخ جرجان ٤٩١، سيـر أعلام النبـلاء ١٦/٣٥٤، تذكـرة الحفاظ ٣/٩٧١.

نَيْسابــور*١ :

دار السنة، والعوالي، صارت بإبراهيم بن طَهْمان(١)، وحفص بن عبـدالله(٢)،

---

*١ هي من أعظم مدن خُراسان، وأَقْرَبِها ـ من ناحية الشرق ـ إلى جُرجان. قال ابن خَلِّكَان: «وكراسي خُراسان أربع مدن: هذه ـ (يعني مَرْو الشَّاهِجَان) ـ ونيسابور وهَرَاة وبَلْخ».

معجم البلدان ٥/٣٣١، تقويم البلدان ٤٥٠، وفيات الأعيان ١/٢٧.

وقد جمع تاريخ علمائها عدد من الأئمة منهم:

الحافظ أبوعبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري الحاكم، الذي كان يعرف بابن البيِّع، المتوفى سنة ٤٠٥ وسمى كتابه «تاريخ نيسابور».

والحافظ أبو الحسن أحمد بن سيّار المروزي، المتوفى سنة ٢٦٨ وسمى كتابه «تاريخ نيسابور» أيضاً.

وللحافظ أبـي الحسن عبدالغافر بن إسماعيل الفارسي ثم النيسابوري، المتوفى سنة ٥٢٩ ذيل على كتاب أبـي عبدالله الحاكم سماه «السياق لتاريخ نيسابور».

الأنساب ١٣/٢٣٥، وفيات الأعيان ٣/٢٢٥، تهذيب التهذيب ٢/٣١٤، الإعلان بالتوبيخ ٦٥٢.

(١) هو الإمام، الحافظ، الثقة، أبوسعيد الهروي، ثم النيسابوري ثم المكي، عالم خراسان، وقد تُكلم فيه لأجل الإرجاء، ويقال إنه رجع عنه. توفي سنة ١٦٣.

تاريخ بغداد ٦/١٠٥، سير أعـلام النبلاء ٧/٣٧٨، تـذكرة الحفـاظ ١/٢١٣، ميزان الاعتدال ١/٣٨، تهذيب التهذيب ١/١٢٩، تقريب التهذيب ١/٣٦.

(٢) هو الإمام، الحافظ، الفقيه، الصدوق، أبوعمرو، ويقال: أبوسهل السُّلمي، عالم نيسابور، وقاضيها، توفي سنة ٢٠٩.

سير أعلام النبلاء ٩/٤٨٥، تذكرة الحفاظ ١/٣٦٨، تهذيب التهذيب ٢/٤٠٣، تقريب التهذيب ١/١٨٦.

ثم يحيى بن يحيى[1]، وابن راهُوْيَهْ[2]، ومحمد بن رافع[3]، وعبدالرحمن بن بشر[4]، وعبدالله بن هاشم[5]، والذُّهْلي[6]

---

(١) هو الإمام، الحافظ، المتقن، الثبت، محدث خُراسان، أبو زكريا التميمي، النيسابوري، توفي سنة ٢٢٦.
سير أعلام النبلاء ١٠/٥١٢، تذكرة الحفاظ ٢/٤١٥، تهذيب التهذيب ١١/٢٩٦.

(٢) هو الإمام، العَلَم، الحافظ، الفقيه، المجتهد، المفسر، الحجة، عالم المشرق، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، المروزي ثم النيسابوري، المعروف بابن رَاهُوْيَهْ، صاحب التصانيف منها: المسند، والتفسير، والسنن في الفقه، وكتاب العلم، وله جزء حديثي مشهور، ولإسحاق الكَوْسج سؤالات عنه توفي سنة ٢٣٨.
تاريخ بغداد ٦/٣٤٥، سير أعلام النبلاء ١١/٣٥٨، تذكرة الحفاظ ٢/٤٣٣، المعجم الكبير للذهبي ورقة ٥٨ ب.، الأنساب للسمعاني ١٠/٤٩٥، المعجم المفهرس لابن حجر ورقة ١٨ أ، تهذيب التهذيب ١/٢١٦ و ٢٥٠، الفهرست لابن النديم ٢٣٠.

(٣) هو الإمام، الحافظ، الثبت، العابد، أبو عبدالله النيسابوري، المتوفى سنة ٢٤٥.
سير أعلام النبلاء ١٢/٢١٤، تذكرة الحفاظ ٢/٥٠٩، تهذيب التهذيب ٩/١٦٠.

(٤) هو الإمام، الحافظ، الثقة، الجواد، أبو محمد ابن الإمام أبي عبدالرحمن بشر بن الحكم العَبْدي، النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦٠.
سير أعلام النبلاء ١٢/٣٤٠، تاريخ بغداد ١٠/٢٧١.

(٥) هو الإمام، الحافظ، المتقن، الثقة، محدث نيسابور، أبو عبدالرحمن، وقيل: أبو محمد، الطُوْسي المولد، النيسابوري الموطن، توفي سنة ٢٥٥ وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء ١٢/٣٢٨، تهذيب التهذيب ٦/٦٠.

(٦) سقطت واو العطف من كلمة (والذُّهلي) في المخطوط، والصواب إثباتها كما في (ق) و(ع). والذُّهلي هو: الإمام الكبير، والحافظ البارع، الحجة، إمام خراسان، أبو عبدالله محمد بن يحيى بن عبدالله بن خالد الذُّهْلي =

وأحمد بن يوسف[1]، ومُسْلم[2]، وإبراهيم بن أبي طالب[3]، وأبي عبدالله البُوْشَنْجي[4]، ثم بابن خُزيمة[5]، وأبي العباس

= مولاهم، النيسابوري، اعتنى بحديث ابن شهاب الزُّهْري، وصنَّفه فأحسن تصنيفه، قال الدارقطني: «من أحب أن ينظر ويعرف قصور علمه عن علم السلف، فلينظر في علل حديث الزهري لمحمد بن يحيى». ويعرف كتاب الذُّهْلي هذا بالزُّهْريات وهو في مجلدين، جمع فيه أحاديث الزُّهْري بعللها. وتوفي سنة ٢٥٨.

تاريخ بغداد ٤١٥/٣، سير أعلام النبلاء ٢٧٣/١٢، تذكرة الحفاظ ٥٣٠/٢، المعجم المفهرس لابن حجر ورقة ١٢٧ أ، الفهرسة لابن خير ٢٠٣، تهذيب التهذيب ٥١١/٩.

(١) هو الإمام، الحافظ، الثبت، محدث خراسان أبو الحسن السُّلمي النيسابوري، الملقب بحمدان، توفي سنة ٢٦٤.

سير أعلام النبلاء ٣٨٤/١٢، تذكرة الحفاظ ٥٦٥/٢، تهذيب التهذيب ٩١/١.

(٢) هو الإمام الكبير، الحافظ البارع، الحجة، أبو الحسين بن الحجاج القُشَيْري، النيسابوري، صاحب التصانيف الفائقة منها المسند الصحيح، وتوفي سنة ٢٦١.

تاريخ بغداد ١٠٠/١٣، سير أعلام النبلاء ٥٥٧/١٢، تذكرة الحفاظ ٥٨٨/٢، تهذيب التهذيب ١٢٦/١٠.

(٣) هو الإمام، الحافظ، المتقن، الثقة، الزاهد، أبو إسحاق بن أبي طالب محمد، عالم نيسابور، ومصنف كتاب العلل، وغيره، توفي سنة ٢٩٥.

سير أعلام النبلاء ٥٤٧/١٣، تذكرة الحفاظ ٦٣٨/٢، شذرات الذهب ٢١٨/٢.

(٤) هو الإمام، الحافظ، العلامة، الفقيه، الأديب، المتفنن، الثقة، عالم نيسابور، ومحدثها، محمد بن إبراهيم بن سعيد المالكي، صاحب التصانيف، توفي في آخر يوم من سنة ٢٩٠.

سير أعلام النبلاء ٥٨١/١٣، تذكرة الحفاظ ٦٥٧/٢، تهذيب التهذيب ٨/٩.

(٥) هو إمام الأئمة، الحافظ البارع، الفقيه المجتهد، الجِهْبِذ الحجة، أبو بكر =

السَّرَّاج[1]، وابن الشَّرْقي[2]، وما زال يُرْحل إليها، وآخر شيوخها المؤيَّد الطُّوسي[3]، إلى أن دخلها التتار[6]، ثم مضت كأن لم تكن.

= محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، الشافعي، صاحب «مختصر المختصر» المعروف بالصحيح، وكتاب فقه حديث بَرِيْرَة، وغيرهما الكثير، قال أبو عبدالله الحاكم: «ومصنفاته تزيد على مئة وأربعين كتاباً سوى المسائل، والمسائل المصنفة أكثر من مئة جزء». توفي سنة ٣١١.

سير أعلام النبلاء ٣٦٥/١٤، تذكرة الحفاظ ٧٢٠/٢، معرفة علوم الحديث للحاكم ٨٣.

(١) هو الإمام، الحافظ، الثقة، محدث خُراسان، محمد بن إسحاق النيسابوري، صاحب التصانيف النافعة كالمسند الكبير ـ على الأبواب ـ والتاريخ، والإخوة والأخوات. توفي سنة ٣١٣.

تاريخ بغداد ٢٤٨/١، سير أعلام النبلاء ٣٨٨/١٤، تذكرة الحفاظ ٧٣١/٢، فتح المغيث ١٦٣/٣.

(٢) هو الإمام، الحافظ، العلامة، الحجة، محدث خُراسان، أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن النيسابوري، المعروف بابن الشَّرْقي، صنَّف الصحيح، وجمع حديث أيوب السَّخْتياني، وتوفي سنة ٣٢٥.

تاريخ بغداد ٤٢٦/٤، سير أعلام النبلاء ٣٧/١٥، تذكرة الحفاظ ٨٢١/٣.

(٣) هو الإمام، المحدث، المقرىء، الثقة، الرُّحْلَة، المُعَمَّر، مُسْنِد خُراسان، رضيّ الدين، أبو الحسن المُـؤَيَّد بن محمد بن علي الطُّوسي، ثم النيسابوري، توفي سنة ٦١٧.

التقييد ورقة ١٥٥ ب، سير أعلام النبلاء ١٠٤/٢٢، العبر في خبر من غبر ٧١/٥، غاية النهاية ٣٢٥/٢.

(٤) استولى عليها التتار سنة ٦١٧. الكامل في التاريخ ٣٩٣/١٢.

طُـوْس*١:

صارت دار علم بعد المئتين، كان بها محمد بن أَسْلم الطُّوسي(١)، وأصحابه، إلى أن كان آخر الأئمة بها الإمام حُجة الإسلام الغَزَالي(٢)، وهي بقدر حماه ظناً.

هَـرَاة*٢:

منها أبو رجاء عبدالله بن واقد(٣)، والفضل بن عبدالله

---

*١ هي بلدة عظيمة بخراسان، تحتوي على مدينتين هما: الطَّابَرَان، قَصْبَة ـ أي مدينة ـ طُوس، ونُوْقان، ويتبعهما قرى كثيرة جداً. وتقع طُوْس شَمال شرقي نيسابور. الأنساب ٨/٢٦٣، تقويم البلدان ٤٥٠.

(١) هو الإمام، الحافظ، الثقة، الصالح، شيخ خُراسان، أبو الحسن، صاحب المسند، والأربعين، وغير ذلك، توفي سنة ٢٤٢.

سير أعلام النبلاء ١٢/١٩٥، تذكرة الحفاظ ٢/٥٣٢.

(٢) هو بَحْرُ العلوم، الفقيه، الأصولي، المتكلم، الواعظ، العابد، الزاهد، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الشافعي، الطُّوْسي، الملقب بحجة الإسلام، صاحب التصانيف الكثيرة، المتعددة الفنون، وتوفي سنة ٥٠٥.

وفيات الأعيان ٤/٢١٦، سير أعلام النبلاء ١٩/٣٢٢.

*٢ هي بلدة عظيمة من أمهات مدن خُراسان. معجم البلدان ٥/٣٩٦.

وقد جمع تاريخها وتاريخ رجالها عدد من العلماء، منهم:

الحافظ، المؤرخ، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن ياسين الهروي الحداد، المتوفى سنة ٣٣٤، في تصنيفين. والإمام الحافظ أبو النصر عبدالرحمن بن عبدالجبار الفامي، المتوفى سنة ٥٤٦.

وشِيرويه الدَّيْلَمي ـ الذي سبقت ترجمته في همذان ـ ص ١٩٦ ـ.

الإعلان بالتوبيخ ٦٥٢ ـ ٦٥٣.

(٣) هو المحدث، الثقة، الخَيِّرُ، الفاضل، الهروي الخُراساني، توفي سنة نيف وستين ومئة.

الإرشاد ورقة ١٩٥ أ، تهذيب التهذيب ٦/٦٤، تقريب التهذيب ١/٤٥٨.

الهروي[1]، وأحمد بن نَجْدة[2]، ومحمد بن عبدالرحمٰن السامي[3]، والحسين ابن إدريس[4]، ومحمد بن المنذر[5]، وما زال بها علم، وحديث، وعالي إسناد إلى أن خُتمت بأبـي رَوْح عبدالمُعِزّ بن محمد[6]، ودَثَرت[7].

---

(١) هو المحدث، الصادق، الفضل بن خُـرَّم، وخُرَّم لقب، تـوفي سنة نيف وخمسين ومئتين. الإرشاد ورقة ١٩٥ ب.

(٢) هو المحدث، الثقة، الفاضل، أبو الفضل بن نَجْدة بن العُرْيان الهروي، توفي سنة ٢٩٦. سير أعلام النبلاء ٥٧١/١٣.

(٣) هو الإمام، الحافظ، الثقة، أبو عبدالله الهروي، جمع وصنف، وتوفي سنة ٣٠١. سير أعلام النبلاء ١١٤/١٤، تذكرة الحفاظ ٦٩٧/٢.

(٤) هو الإمام، الحافظ، الثقة، أبو علي الأنصاري، الهروي، صاحب تصانيف منها التاريخ الكبير الذي عمله على هيئة تاريخ البخاري، وقد روى عن محمـد بن عبدالله بن عمـار الموصلي كتـابه في العلل والـرجـال. تـوفي سنة ٣٠١. سير أعلام النبلاء ١١٣/١٤، تذكرة الحفاظ ٦٩٥/٢، ميزان الاعتدال ٥٩٦/٣.

(٥) هو الإمام، الحافظ، المتقن، الثقة، أبو عبدالرحمن، وأبو جعفر السُّلمي، الهروي، الملقب بـ «شَكَّر»، جمع وصنف، وتوفي سنة ٣٠٣.
سير أعلام النبلاء ٢٢١/١٤، تذكرة الحفاظ ٧٤٨/٢.

(٦) هو الراويـة الجليل، الصـدوق، المُعَمَّر، مُسْنِـد خُراسـان، حافظ الـدين الخراساني، الهروي، البزاز، الصوفي، الذي انتهى إليه علو الإسناد، وله مشيخة في جزء. وقد استشهد عند دخول التتار هَرَاة سنة ٦١٨.
التقييد ورقة ١٣٤ ب، سير أعلام النبلاء ١١٤/٢٢، العبر في خبر من غبر ٧٤/٥.

(٧) دَثَرت هذه المدينة العظيمة، وقُتل أهلها، لما دخل إليها التتار في سنة ٦١٨ قال ياقوت في معجم البلدان ٣٩٦/٥: «لم أر بخراسان عند كوني بها في سنة ٦٠٧ مدينة أجل، ولا أعظم ولا أفخم، ولا أحسن، ولا أكثر أهلاً منها ـ (أي هراة) ـ فيها بساتين كثيرة، ومياه غزيرة، وخيرات كثيرة، محشوة بالعلماء، وَمَمْلُوَّة بأهل الفضل والثراء، وقد أصابهـا عين الزمـان، ونكبتها طـوارق =

مَــرْو*١ :

بلد كبيـر من أقاصي خُـراسـان(١)، خـرج منهـا أئمـة، وكـان

= الحدثان، وجاءها الكفار من التتر فخربوها، حتى أدخلوها في خبر كان، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وذلك في سنة ٦١٨».

*١ هي مَرْو الشَّاهِجَان قَصْبة ـ أي مدينة ـ خُراسان، تقع في شَمالي هذه البلاد، والنسبة إليها مَرْوَزي على غير قياس قال السمعاني في الأنساب: «وكان إلحاق الزاي في هذه النسبة فيما أظن للفرق بين النسبة إلى «مروي» وهي الثياب المشهورة بالعراق، منسوبة إلى قرية بالكوفة».

وفي خُراسان مدينة شهيرة تسمى مَرْو الرُّوْذ، هي غير مَرْو الشَّاهِجان، والنسبة إليها مَرْوَرُّوْذي، وَمَرُّوْذي. وإذا أطلقت مَرْو فالمراد بها مرو الشَّاهِجان.

الأنساب ٢٠٧/١٢، معجم البلدان ١١٢/٥، تقويم البلدان ٤٥٦.

وقد جمع تاريخ علماء مَرْو الشَّاهِجان عدد من الأئمة منهم: الحافظ أبو علي محمد بن علي بن حمزة الفُرَاهِيْناني المروزي، المتوفى سنة ٢٤٧، وسماه «التاريخ في رجال المحدثين بمرو». والحافظ أبو الحسن أحمد بن سيَّار المروزي، المتوفى سنة ٢٦٨، وسماه تاريخ مرو أو أخبار مرو. وأبو رجاء محمد بن حَمْدويه السِّنْجاني الهُوْرقاني، المتوفى سنة ٣٠٦، وسماه تاريخ المراوزة. والحافظ أبو العباس أحمد بن سعيد بن معدان المعداني، المتوفى سنة ٣٧٤، وسماه تاريخ المراوزة. والحافظ أبو صالح أحمد بن عبدالملك النيسابوري، المتوفى سنة ٤٧٠، عمل مسودة لتاريخ مرو. والحافظ أبو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني المروزي، المتوفى سنة ٥٦٢، وسماه تاريخ مرو. وأبو الفضل العباس بن مصعب بن بشر ـ لم أعثر على سنة وفاته ـ وسماه تاريخ مرو.

الإكمال ١٣١/٤ و٣٨٢، الأنساب ٢٥٨/٩، ٤٣٩/١٣، تاريخ بغداد ١٨٨/٤، سير أعلام النبلاء ٦١٠/١٢، تذكرة الحفاظ ١١٦٢/٣، مقدمة الوافي ٤٨/١، الإعلان بالتوبيخ ٦٤٤.

وقد كان يوجد في مرو عدد كبير جداً من العلماء، قال ياقوت في معجم البلدان ١١٤/٥ عند الحديث عن مَرْو الشَّاهِجان: «وقد أخرجت مرو من الأعيان، وعلماء الدين، والأركان، ما لم تُخرج مدينة مثلهم».

(١) سيأتي التعريف بها في ص ٢٣٢ إن شاء الله تعالى.

بها بُـرَيْـدَة بن الحُصَيْب[1]، صـاحب رسـول الله ﷺ، وطـائفـة مـن الـصـحـابـة، ثـم عـبـدالله بـن بُـرَيْـدة[2]، ويـحـيـى بـن يَـعْـمَـر[3]، وعـدة مـن الـتـابـعـين، ثم الـحسـين بـن واقـد[4]،

---

(١) هو أحد علماء الصحابة، ومجاهديهم، أبوعبدالله ــ وقيل في كنيته غير ذلك ــ الأسلمي، قيل: إنه أسلم حين مر به النبـي ﷺ مهاجراً، وقيل أسلم بعد منصرف النبـي ﷺ من بدر، وقدم إلى المدينة بعد أُحد، وشهد خَيبر، والحُدَيْبية، وبيعة الرضوان، وغزا مع النبـي ﷺ الغزوات الكثيرة، واستعمله النبـي ﷺ على صدقات قومه، وتحول بعد ذلك إلى البصرة، ثم خرج غازياً إلى خراسان في زمن عثمان رضي الله عنه، فأقام بمرو، ونشر بها العلم، ثم مات فيها سنة ٦٢ وقيل ٦٣.

الإصابة ١/١٥٠، سير أعلام النبلاء ٢/٤٦٩.

(١) هـو الإمام، الحـافظ، الثقة، أبـوسهل بن بُـرَيْدة بن الحُصَيْب الأسلمي، المَرْوَزي، عالم خُراسان، وقاضي مَرْو، المتوفى سنة ١١٥.

سير أعلام النبلاء ٥/٥٠، تذكرة الحفاظ ١/١٠٢، تهذيب التهذيب ٥/١٥٧.

(٣) هو الإمام، العلامة، الحافظ، الفقيه، المقرىء، النَّحْوي، اللغوي، الأديب المفوَّه، الثقة، أبوسليمان، وقيل: أبوعدي، وقيل: أبوسعيد البصـري، قاضي مَرْو، وغيرها من مدن خُراسان، ويقال: إنه أول من نقط المصحف، توفي سنة ١٢٩، وقيل قبل التسعين، وقيل غير ذلك.

سير أعلام النبلاء ٤/٤٤١، تذكرة الحفاظ ١/٧٥، تهذيب التهذيب ١١/٣٠٥.

(٤) وقع في المخطوط (أحمد) بدل (يَعْمَر)، والصواب ما أثبته كما في (ق) و (ع).

(٥) هو الإمام الكبير، شيخ مرو، أبوعبدالله، وقيل: أبوعلي القاضي، «ثقة له أوهام» كما قال ابن حجر، وقد توفي سنة ١٥٧، وقيل ١٥٩.

سير أعلام النبلاء ٧/١٠٤، تهذيب التهذيب ٢/٣٧٣.

وأبو[1] حمزة السُّكَّري[2]، وعبدالله بن المبارك[3]، والفضل بن موسى[4]، وأبو تُمَيْلَة[5]، وعلي بن الحسن بن شَقيق[6]،

---

(١) هو الإمام، الحافظ، الحجة، الجواد، الخيِّر، محمد بن ميمون المَرْوزي، السُّكَّري ـ وسمي بالسُّكَّري لحلاوة كلامه ـ شيخ خُراسان، توفي سنة ١٦٧، وقيل ١٦٨.

تاريخ بغداد ٣/٢٦٦، سير أعلام النبلاء ٧/٣٨٥، تذكرة الحفاظ ١/٢٣٠، تهذيب التهذيب ٩/٤٨٦.

(٢) في المخطوط (السكوني) بدل (السُّكَّري) وهو تحريف، والصواب ما أثبته كما في (ق) و(ع).

(٣) هو الإمام الكبير، الحافظ، الحَبْر، الحجة، المجاهد، الزاهد، التقي، العابد، الجواد، أبو عبدالرحمٰن الحنظلي، المروزي، الجامع لخصال الخير والبِر، صاحب التصانيف الفائقة كالتاريخ، والمسند، والتفسير، والزهد والرقائق، والجهاد، والسنن ـ في الفقه ـ والبر والصلة، والاستئذان، والأربعين. توفي سنة ١٨١.

تاريخ بغداد ١٠/١٥٢، سير أعلام النبلاء ٨/٣٧٨، تذكرة الحفاظ ١/٢٧٤، تهذيب التهذيب ٥/٣٨٢، الفهرست لابن النديم ٢٢٨، المعجم المفهرس لابن حجر ورقة ٣٢ ب، الرسالة المستطرفة ٧٦.

(٤) هو الإمام، الحافظ، المتقن، الثبْت، أبو عبدالله السِّيناني، المَرْوَزي ـ وسِيْنان من قرى مَرْو ـ توفي سنة ١٩٢.

سير أعلام النبلاء ٩/١٠٣، تذكرة الحفاظ ١/٢٩٦، تهذيب التهذيب ٧/٢٨٦.

(٥) هو الإمام، الحافظ، الثقة، يحيى بن واضح المَرْوَزي، المتوفى سنة نيف وتسعين ومائة.

سير أعلام النبلاء ٩/٢١٠، تهذيب التهذيب ١١/٢٩٣.

(٦) هو الإمام، الحافظ، الثقة، شيخ خُراسان، أبو عبدالرحمٰن المروزي، كان يحفظ ويتقن كتب ابن المبارك، توفي سنة ٢١٥.

تاريخ بغداد ١١/٣٧٠، سير أعلام النبلاء ١٠/٣٤٩، تذكرة الحفاظ ١/٣٧٠، تهذيب التهذيب ٧/٢٩٨.

وعَبْـدان بن عثمـان[1]، وأصحـابهم، ثم نقص في المئة الـرابعـة، ولم ينقطع إلى خروج التتار[2]، وفرغ ذلك.

بَـلْـخ*١:

صـار بهـا علمـاء [في][3] أواخـر المئــة الثـانيــة، كعمـر بن

---

(١) هو الإمام، الحافظ، الثبت، الرُّحْلَة، محدث مرو، أبو عبدالرحمٰن عبدالله بن عثمان بن جَبَلة الأزدي، المروزي، ولُقِّب بعَبْدان لوجود عَبْد في اسمه وكنيته، توفي سنة ٢٢١.

سير أعلام النبلاء ١٠/٢٧٠، تذكرة الحفاظ ١/٤٠١، تهذيب التهذيب ٥/٣١٣.

(٢) دخل التتار إلى مرو في سنة ٦١٧، ووضعوا السيف في رقاب أهلها جميعاً. الكامل في التاريخ ١٢/٣٩١.

*١ هي مدينة عظيمة، من أجل مدن خُراسان. معجم البلدان ١/٤٧٩، تقويم البلدان ٤٦٠.

وقد جمع تاريخ رجالها عدد من العلماء منهم:

أبو الحسن علي بن الفضل بن طاهر البَلْخي، المتوفى سنة ٣٢٣، وسماه «ذكر علماء بَلْخ».

وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم المستملي، البلْخي، المتوفى سنة ٣٧٦، ورتبه على الطبقات.

وناصر الدين أبو القاسم محمد بن يوسف المديني، الحنفي، المتوفى سنة ٥٥٦، ورتبه على الحروف.

الإعلان بالتوبيخ ٦٢٣ ـ ٦٢٤.

وقد كان يوجد في بَلخ جماعة كبيرة من العلماء، قال السمعاني في الأنسـاب ٢/٢٨٣: «خرج منهـا عـالَم لا يحصى من العلمـاء، والأئمـة، والمحدثين، والصلحاء قديماً وحديثاً».

(٣) أضفت ما بين القوسين من (ق) و (ع)، وهو غير موجود في المخطوط، فلا أدري إن كان ساقطاً من المخطوط، أو لم يذكره الذهبي أصلاً.

هارون(١)، ومكيّ بن إبراهيم(٢)، وخَلَف بن أيوب(٣)، وقُتَيْبة بن سعيد(٤)،

---

(١) في المخطوط (كَعَمْرو) بدل (كعُمَر)، وهو تحريف، والصواب ما أثبته من (ق) و (ع).

وعُمر بن هارون، هو: الإمام، الحافظ، المقرىء، شيخ خُراسان، أبو حفص البَلْخي، له تصانيف، وهو متروك الحديث. توفي سنة ١٩٤.

تاريخ بغداد ١١/١٨٧، سير أعلام النبلاء ٩/٢٦٧، تذكرة الحفاظ ١/٣٤٠، ميزان الاعتدال ١/١٣٢، تهذيب التهذيب ٧/٥٠١، تقريب التهذيب ٢/٦٤.

(٢) هو الإمام، الحافظ، الثبْت، المعمَّر، أبو السكن التميمي، الحنظلي، البَلْخي، مُسْنِد خُراسان، توفي سنة ٢١٥.

تاريخ بغداد ١٣/١١٥، سير أعلام النبلاء ٩/٥٤٩، تذكرة الحفاظ ١/٣٦٥، تهذيب التهذيب ١٠/٢٩٣.

(٣) هو الإمام، الفقيه الكبير، المحدث، الزاهد، الفاضل، مفتي المشرق، وشيخ بَلْخ، أبو سعيد العامري، البلْخي، الحنفي، ثقة، وقد ضُعِّف، ورُمي بالإرجاء، وتوفي سنة ٢٠٥ على الصحيح.

الجواهر المُضِيَّة ١/٢٣١، سير أعلام النبلاء ٩/٥٤١، ميزان الاعتدال ١/٦٥٩، الكاشف ١/٢٨١، تهذيب التهذيب ٣/١٤٧، تقريب التهذيب ١/٢٢٥.

(٤) هو الإمام، الحافظ، الثبت، محدث خراسان، أبو رجاء البَلْخي، البَغْلاني ـ وبَغْلان من قرى بَلْخ ـ ويقال إن قتيبة لقبه، وأن اسمه يحيى أو علي، توفي سنة ٢٤٠.

تاريخ بغداد ١٢/٤٦٤، سير أعلام النبلاء ١١/١٣، تذكرة الحفاظ ٢/٤٤٦، تهذيب التهذيب ٨/٣٥٨.

ومحمد بن أَبان[1]، وعيسى بن أحمد العَسْقلاني[2]، ومحمد بن علي بن طَرْخان[3]، ثم نقص ذلك، وتلاشى.

---

(١) هو الإمام، الحافظ، الثقة، أبو بكر البَلْخي، مستملي وكيع بن الجَرَّاح، الملقب بحمدُوْيَهْ، له تصانيف، وتوفي سنة ٢٤٤.

تاريخ بغداد ٧٨/٢، سير أعلام النبلاء ١١٥/١١، تذكرة الحفاظ ٤٩٨/٢، تهذيب التهذيب ٣/٩.

(٢) هو الإمام، المحدث، الثقة، مُسْنِد بَلْخ، أبو يحيى البغدادي ثم البَلْخي، العَسْقلاني ـ وعَسْقلان المنسوب إليها عيسى محلة ببلْخ ـ توفي سنة ٢٦٨.

تاريخ بغداد ١٦٣/١١، سير أعلام النبلاء ٣٨١/١٢، تهذيب التهذيب ٢٠٥/٨.

(٣) هو الإمام، الحافظ، الرَّحَّال، أبو بكر، وأبو عبدالله البَلْخي ثم البِيْكندي كما ذكر الذهبي، وياقوت، وفي الإكمال لابن ماكولا: «البِيْكندي سكن بَلْخ»، وفي الوافي للصفدي «البيْكندي البلْخي»، فكلام ابن ماكولا، والصفدي يشعر بأن محمداً بِيْكندي ثم بلْخي، عكس ما اعتمده الذهبي وياقوت. ولمحمد تصانيف، وتوفي سنة ٢٩٨.

الإكمال ٣٤٨/٢، تذكرة الحفاظ ٦٩٤/٢، معجم البلدان ٤٨٠/١، الوافي ١٠٧/٤.

بُخـــارى*[1] :

نزلها عيسى بن موسى(1) غُنْجَار(2)، وأحمد بن حفص الفقيه(3)،

---

*1 هي من أعظم مدن ما وراء النهر ــ أي نهر جَيْحون. معجم البلـدان 1/353.

وقد صنف في رجالها الحافظ أبوعبدالله محمـد بن أحمد بن محمـد الغُنْجار البخاري، المتوفى سنة 412، وللحافظ أبـي حامد أحمد بن محمد بن أَحْيَد بن ماما الأصبهاني، المتوفى سنة 436، ذيل على كتاب غُنجار المذكور. كما ذكر البغدادي في هدية العارفين أن للعلامة أبـي حفص النسفي ــ ستأتي ترجمته قريباً ــ كتاب تاريخ بُخارى، فلا أدري ما صحة كلام البغدادي هذا، لأن كتب التراجم لم تذكر هذا الكتاب لأبـي حفص.

الإعلان بالتوبيخ 620، تذكرة الحفاظ 3/1118، سير أعلام النبلاء 17/58، هدية العارفين 1/783.

وقد كان يوجد في بُخارى عدد وافر من الأئمة والعلماء، قال السمعاني في الأنساب 2/100: «خرج منها ــ (أي بخارى) ــ جماعة من العلماء في كل فن يجاوزون الحد».

(1) هو الإمام، المحدث، أبوأحمد البخاري، الأزرق، الملقب بغُنْجَار لحُمْرة وَجْنَتَيه، وهو في الحديث صدوق ربما أخطأ ودلَّس، وقد أضرَّ به كثرة رواياته عن الهلكى والمجاهيل، لكن ابن حبان، والحاكم اعتبرا رواياته التي صرح فيها بالسماع من الثقات فوجداها مستقيمة، فيكون الحمل فيما وُهِّم فيه على شيوخه الضعفاء والمجاهيل، وقد وثقه جماعة، وتوفي سنة 186 وقيل 187.

سير أعلام النبلاء 8/487، تهذيب التهذيب 8/232، الأنساب 9/176.

(2) سبق قريباً ذِكْرُ صاحب كتاب تاريخ بُخارى أبـي عبدالله محمد بن أحمد البخاري الملقب بغُنْجَار، وسبب تلقيبه بهذا هو أنه كان يتتبع، ويجمع حديث عيسى بن موسى غُنجار المترجم هنا.

الأنساب للسمعاني 9/177.

(3) هو الإمام، العلامة، فقيه المشرق، وعالم ما وراء النهر، أبوحفص البخاري، الحنفي، توفي سنة 217.

الجواهر المضية 1/67، سير أعلام النبلاء 10/157.

ومحمد بن سَلَام البِيْكَنْدي[١]، وعبدالله بن محمد المُسْنَدي[٢]، وأبو عبدالله البُخاري[٣]، وصالح بن محمد[٤] جَزَرَة[٥]، وأصحابهم، وما زال بها صُبَابة[٦] حتى دخلها[٧] العدو بالسيف.

---

(١) هو الإمام، الحافظ، الثقة، الرَّحال، أبو عبدالله بن سَلَام ـ بتخفيف اللام ـ البخاري، البِيْكَنْدي ـ وبِيْكند من مدن بُخارى ـ محدث ما وراء النهر، وصاحب التصانيف، توفي سنة ٢٢٥.
سير أعلام النبلاء ٦٢٨/١٠، تذكرة الحفاظ ٤٢٢/٢، تهذيب التهذيب ٢١٢/٩.

(٢) هو الإمام، الحافظ، الحجة، عالم ما وراء النهر، أبو جعفر الجُعْفي مولاهم البُخاري، المعروف بالمُسْنَدي لاعتنائه بالأحاديث المُسْنَدة دون المقاطيع، والمراسيل، وقد جمع مُسْنَد الصحابة، وتوفي سنة ٢٢٩.
تاريخ بغداد ٦٤/١٠، سير أعلام النبلاء ٦٥٨/١٠، تذكرة الحفاظ ٤٩٢/٢، تهذيب التهذيب ٩/٦.

(٣) هو الإمام الكبير، سيد الحفاظ، ورأس النقاد، الجِهْبذ، الفقيه، الحجة، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَهْ الجعفي مولاهم، صاحب الصحيح، والتواريخ وغيرها من الكتب الفائقة النافعة، وتوفي سنة ٢٥٦.
تاريخ بغداد ٤/٢، سير أعلام النبلاء ٣٩١/١٢، تذكرة الحفاظ ٥٥٥/٢، تهذيب التهذيب ٤٧/٩.

(٤) هو الإمام، الحافظ، المتقن، الثبت، شيخ ما وراء النهر، أبو علي الأسدي البغدادي، نزيل بخارى، الملقب بِجَزَرَة لأنه صحف كلمة «خَرَزَة» في حديث لعبدالله بن بُسْر أنه كان له خَرَزَة للمريض، فأبقاها عليه أهل الحديث، والمُجَّان ـ وهم الذين يخلطون الجدَّ بالهَزْل ـ وتوفي سنة ٢٩٣.
تاريخ بغداد ٣٢٢/٩، سير أعلام النبلاء ٢٣/١٤، تذكرة الحفاظ ٦٤١/٢.

(٥) وقع في المخطوط (جرارة) بدل (جَزَرة)، وهو تصحيف واضح، وما أثبته هو الصواب كما في (ق) و (ع).

(٦) أي بقية يسيرة.

(٧) دخلها التتار في آخر سنة ٦١٦. الكامل في التاريخ ٣٦٥/١٢.

سَمَرْقَنْد*١ :

بها أبو عبدالله(١) عبدالله بن عبدالرحمٰن الدَّارِمي(٢)، ثم محمد بن نصر المرْوَزي(٣).

---

*١ هي مدينة عظيمة في بلاد ما وراء النهر، وهي قَصْبة الصُّغْد ـ والصُّغْد قرى متصلة من سَمَرْقَنْد إلى قريب من بُخارى ـ.

معجم البلدان ٢٤٦/٣ و ٤٠٩، تقويم البلدان ٤٩٢.

وقد جمع تاريخ علماء سمرقند عدد من العلماء منهم:

الحافظ أبو سعد عبدالرحمن بن محمد الإدريسي الأَسْتَراباذي، المتوفى سنة ٤٠٥، وسماه تاريخ سمرقند.

والحافظ أبو العباس جعفر بن محمد المستغفري، المتوفى سنة ٤٣٢، وسماه تاريخ سمرقند.

والعلامة أبو حفص عمر بن محمد النسفي الحنفي المتوفى سنة ٥٣٧ وسماه «القَنْد في ذكر علماء سَمَرْقَنْد» وهو ذيل على كتاب الإدريسي.

التحبير في المعجم الكبير ١٨٢/٢، تاريخ بغداد ٣٠٢/١٠، ـ٣٠٣، الإعلان بالتوبيخ ٦٣٣، مقدمة الوافي ٤٨/١.

(١) كذا في المخطوط و (ق) و (ع)، وهو وَهَـم، صوابه أبو محمد.

(٢) هو الإمام، الحافظ، المفسر، الثبت، الزاهد، العابد، الرَّحال أبو محمد السمرقَنْدي، صنف المسند، والتفسير، والجامع. توفي سنة ٢٥٥.

تاريخ بغداد ٢٩/١٠، سير أعلام النبلاء ٢٢٤/١٢، تذكرة الحفـاظ ٥٣٤/٢، تهذيب التهذيب ٢٩٤/٥.

(٣) هو الإمام، الحافظ، الفقيه البارع، المجتهد، الثبت، الفاضل، الرَّحال، أبو عبدالله المروزي الأصل، البغدادي المولد، النيسابوري المنشأ، السمرقندي الموطن، صاحب التصانيف الحافلة، والتآليف البارعة، كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة، والتابعين، فمن بعدهم، توفي سنة ٢٩٤.

تاريخ بغداد ٣١٥/٣، سير أعـلام النبلاء ٣٣/١٤، تـذكرة الحفـاظ ٦٥٠/٢، تهذيب التهذيب ٤٨٩/٩.

وعمر بن محمد بن بُجَيْر(١)، وآخرون.

الشَّـاش*١:

وهي آخر بلاد الإسلام التي بها الحديث، منها الحسن بن صاحِب الشـاشي(٢)، والهيثم بن كُلَيْب(٣)، ومحمد بن علي أبـو بكـر القَفَّـال الشاشي(٤)، ثم فرغ ذلك، وعَدِم.

---

(١) هو الإمام، الحافظ، الثبت، الرَّحال، محدث ما وراءء النهر، أبـو حفص البُجَيْري، الهَمْداني، السَّمَرْقَنْدي، مصنف المسنـد، والجامـع الصحيح، والتفسير، وغير ذلك. توفي سنة ٣١١.

الأنساب ٢/٨٩، سير أعلام النبلاء ١٤/٤٠٢، تذكرة الحفاظ ٢/٧١٩.

*١ هي مدينة عظيمة وراء نهر سَيْحون، وإقليم تتبعه مدن كثيرة، وهو متاخِم لبلاد التُّرك أو «تُرْكُسْتَان»، وأكبر الثُّغُور الإسلامية في وجههم.

الأنساب ٧/٢٤٤، معجم البلدان ٣/٣٠٨ ـ ٣٠٩، تقويم البلدان ٤٩٤.

(٢) هو الإمام، الحافظ، الثقة، الجوَّال، أبو علي بن صاحِب بن حُميد، توفي سنة ٣١٤.

تاريخ بغداد ٧/٣٣٣، سير أعلام النبلاء ١٤/٤٣١، تذكرة الحفـاظ ٣/٧٨٠.

(٣) هو الإمام، الحافظ، الثقة، الرحَّال، محدث ما وراء النهر، أبو سعيد المَرْوزي الأصل، الشاشي، مصنف المسند الكبير ـ وقد بقي من هذا المسند قطعة في المكتبة الظاهرية بدمشق تحتوي على ١٩٣ ورقة ـ توفي بسَمَرْقَنْد سنة ٣٣٥.

سير أعلام النبلاء ١٥/٣٥٩، تذكرة الحفاظ ٣/٨٤٨.

(٤) هو الإمام الكبير، الفقيه، الأصولي، اللغوي، المحدث، المفسر، عالم وفقيه خُراسان، وما وراء النهر الشافعي، القفَّال الكبير، وعنه انتشر فقه الشافعي في تلك الناحية، له تصانيف كثيرة وجليلة، ونفيسة في الأصول وغيره. توفي سنة ٣٦٥.

وفيات الأعيان ٤/٢٠٠، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٢٨٢، الأنساب ٧/٢٤٤، سير أعلام النبلاء ١٦/٢٨٣.

فِـرْيَـاب*١ :

خـرج منهـا جمـاعـة من العلمـاء، أقـدمهم محمـد بن يـوسف الفِـرْيـابـي(١)، صـاحب الثـوري، ومنهم القـاضي جعفـر بن محمـد الفِرْيابـي(٢)، صاحب التصانيف(٣)، سمع بفِرْياب سنة ٢٢٦.

---

*١ فِرْياب: مخففة من فَارِياب، وربما أميلت فقيل لها فِيْـرِيَاب؛ وهي بلدة بخُراسان، قرب بلْخ غربـي نهر جَيْحون، من أعمال جُوْزْجَان ـ وجُوْزْجَان من نواحي بَلْخ بخُراسان، تقع بين مَرْو الرُّوذ وبلْخ ـ والنسبة إليها الفِرْيابـي، والفارِيابـي، والفِيْرِيابـي.

الأنساب ٩/٢٩٠، معجم البلدان ٤/٢٢٩ و٢٥٩، ٢/١٨٢، تقويم البلدان ٤٦٠.

(١) هو الإمام، الحافظ، الثبت، العابد، الفاضل، أبو عبدالله الفِرْيابـي التركي، نزيل قَيْسَارِيَّة إحدى مدن فلسطين، توفي سنة ٢١٢.

سير أعلام النبلاء ١٠/١١٤، تذكرة الحفاظ ١/٣٧٦، تهذيب التهذيب ٩/٥٣٥.

(٢) هو الإمام، الحـافظ، العلامـة، الحجة، الـرَّحال، أبـو بكر بن محمـد بن الحسن بن المُسْتَفَاض الفِرْيابـي، التُّركي، قاضي الدِّيْنَوَر، استوطن بغداد، وله تصانيف كثيرة نافعة، وتوفي سنة ٣٠١.

تاريخ بغداد ٧/١٩٩، سير أعـلام النبلاء ١٤/٩٦، تـذكرة الحفـاظ ٢/٦٩٢.

(٣) بحثت كثيراً عن أسماء تصانيفه، فوقفت على عدد منها، وهي:

كتاب دلائل النبوة أو المعجزات وتكثير الطعام والشراب، وكتاب الجنائز، وكتاب زكاة الفطر، وكتاب الرؤيا، وكتاب تحريم الذهب والحرير، وكتاب الصور والتماثيل، وكتاب صفة المنافق، وكتاب اللباس، وكتاب فضائل مالك ومناقبه، وكتاب في المدينة المنورة، وكتاب الكنى، وكتاب آداب الإسلام، وكتاب فضائل القرآن، وكتاب الصيام، وكتاب أحكام العيدين، وكتاب القدر، وكتاب الذكر، وكتاب النكاح، وكتاب البكاء، وله أيضاً كتاب في السنن يحتوي على نحو خمسين كتاباً، ولعل غالب الكتب المذكورة، أو بعضها داخل في هذا الكتاب. =

خُـــوارَزْم*١:

بلد كبير، رأيت المجلد الأول(١) من تاريخها(٢) لرجل(٣) معاصر

= ترتيب المدارك ١/٨ ــ ٩، المعجم المفهرس لابن حجر الأوراق ٢٧ ب، ٤٩ ب، ٢٥ أ، ٣٦ أ، الفِهْرِسْت لابن خير الإشبيلي ٢٩١، التحبير في المعجم الكبير للسمعاني ١/١٦٥، معجم الشيوخ لعمر بن فهد ١١٨ و ٣١٠، الفِهْرِسْت لابن النديم ٢٣٢، الإصابة في تمييز الصحابة ٢/٣٥٤، الإعلان بالتوبيخ ٥٣٨ و ٦٤١، تسمية ما ورد به الخطيب دمشق للمالكي ٢٩٨، تاريخ التراث العربي لسزكين ١/٢٦٤.

*١ قال ياقوت: «أوله بين الضمة والفتحة، والألف مُسْتَرَقَة مُخْتَلَسَة ليست بألف صحيحة، هكذا يتلفظون به». وهو اسم لاقليم منقطع عن خُراسان، وعن ما وراء النهر، تحيط به من الشَّمال بلاد التُّرْك، ومن الغرب بعض بلادهم، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر، ومن الجَنُوب خُراسان، وهو على جانِبَيْ نهر جَيْحون، وقَصْبَتُه يقال لها «الجُرْجانِيَّة» وهي على الجانب الغربي لجَيْحون.

معجم البلدان ٢/١٢٢ و ٣٩٥، تقويم البلدان ٤٧٧ ــ ٤٧٨.

وقد جمع تاريخ خُوارَزم وعلمائها الحافظ ابن أرسلان ــ كما سيأتي ــ ومُظْهِرالدين الحسن بن المظفر الكاساني النيسابوري ثم الخُوارَزْمي المتوفى سنة ٤٤٢ وسمي بزيادات أخبار خَوارَزْم.

معجم الأدباء ٩/١٩٣، الإعلان بالتوبيخ ٦٣٠.

(١) قام الذهبي بانتقاء هذا المجلد، وقد فُقد الأصل والمنتقى.

(٢) أثنى التاج السبكي في كتابه طبقات الشافعية الكبرى ٧/٢٨٩، على هذا التاريخ وصاحبه فقال: «فيه دلالة على أن الرجل كان متبحراً في صناعة الحديث، يطلق عليه الحافظ المطلق ولا حرج، وقد أكثر فيه من الأسانيد، والفوائد، والكلام على الحديث، وابتدأ بعد ما ذكر أخبار خُوارَزْم وهي التي وسمها في كتابه «منصورة» بالمحمدين» انتهى.

وقد وقف السبكي على المجلد الأول فقط من هذا التاريخ.

(٣) هو الإمام، الحافظ، الفقيه، المؤرخ، مُظْهِرالدين أبو محمد محمود بن محمد بن العباس بن أَرْسلان العباسي، الخُوارَزمي، صاحب تاريخ خُوارَزم المذكور، وكتاب الكافي في الفقه. توفي سنة ٥٦٨. =

لأبـي القاسم بن عساكر[1]، من ثمان مجلدات، خرج منها جماعة من العلماء، من أقدمهم الحافظ عبدالله بن أُبَـيّ[2].

شِيْـراز*¹:

خرج منها جماعة من الفقهاء، وحديثها قليل، وقل من ارتحل إليها.

كَـرْمـان*²:

= طبقات الشافعية الكبرى ٧/٢٨٩، طبقات الشافعية لابن قاضي شُهْبة ٢/٢١.

(١) تقدمت ترجمته عند الحديث عن دمشق، ص ٩.

(٢) هو الحافظ، الرَّحال، قاضي خُوارَزْم، ويقال إن البخاري روى عنه في الصحيح، ورجح الذهبـي هذا، توفي ابن أُبَـيّ سنة نيف وتسعين ومئتين.
سير أعلام النبلاء ١٣/٥٠٣، تذكرة الحفاظ ٢/٦٥٦، تهذيب التهذيب ٥/١٣٩.

*١ هي أم إقليم فارس، وقَصْبَتُه، ودار ملكه، وقد سلمت من فساد جند جنكيزخان الذين خربوا البلاد، فلم يصلوا إليها.
سير أعلام النبلاء ٢٣/٦٠، الأنساب ٧/٤٤٩، معجم البلدان ٣/٣٨٠.
وللحافظ أبـي عبدالله محمد بن عبدالعزيز الشِّيرازي القصَّار كتاب طبقات أهلِ شِيْراز، وللإمام الحـافظ أبـي القاسم هبـة الله بن عبدالـوارث بن علي الشِّيرازي، المتوفى سنة ٤٨٦ كتاب تاريخ شيراز.
الأنساب ٧/٤٤٩، تذكرة الحفاظ ٤/١٢١٥، الإعلان بالتوبيخ ٦٣٣ ـ ٦٣٤، مقدمة الوافي ١/٤٨، مقدمة الإحاطة ١/٨٢.

*٢ بفتح الكاف وهو الصحيح، وقيل بكسرها وهو المشهور.
وهي ناحية كبيرة ذات مدن واسعة، وقرى كثيرة، يحدها من الغرب أرض فارس، ومن الشرق أرض مُكران، ومن الشمال المفـازة التي بين فارس وخُراسان وسِجِسْتان، ومن الجنوب بحر فارس.
وقصْبتها هي السِّيْرَجَان.
الأنساب ١٠/٤٠١، معجم البلدان ٤/٤٥٤، تقويم البلدان ٣٣٤.

سِجِسْتـــان[*1] :

الأَهْــواز[*2] :

تُسْتَـــر[*3] :

قُـــوْمِس[*4] :

إقليم واسع، خرج منه محدثون، [منه **الدَّامَغَان**[*5]][(1)] مدينة كبيرة،

---

*1 هي اسم لصُقْع ــ أي ناحية ــ كبير، يقع بين خراسان، وكَرْمان، ومُكْران، والسِّنْد، وقصْبته «زَرَنْج» جَنوبـي هَرَاة، ومن ثم غلب اسم الصُّقع على قَصْبته.
والنسبة إلى سِجِسْتان: سِجْزي على غير القيـاس، وسِجِسْتاني على الأصل.
معجم البلدان ٣/١٩٠، تقويم البلدان ٣٤٠ ــ ٣٤١.

*2 هي الاسم العربـي لكُوْرَة ــ أي صُقْع ــ خُوْزُسْتان، وتقع بين البصرة، وفارس، والجبال؛ ثم غلب اسم الكُوْرَة (الأَهْواز) على إحدى مدنه وقَصْبته وهي سوق الأَهْواز، فهي المرادة في كلام المتأخرين.
معجم البلدان ١/٢٨٤ ــ ٢٨٥، الأنسـاب ١/٣٩١، تقويم البلدان ٣١٦.

*3 هي من أعظم مدن خُوْزُسْتَان، تتبع أعمال مدينة «سوق الأهواز»، التي غلب عليها اسم «الأهواز».
الأنساب ٣/٥٤، معجم البلدان ٢/٢٩، تقويم البلدان ٣١٤.

*4 هي إقليم واسع في ذيل جبال طَبَرِسْتان، يقع بين بِسْطام وسِمْنان وهما منه، وقصْبتها المشهورة هي الدَّامَغَان، وتعد بلاد قُوْمِس من أعمال خُراسان.
الأنساب ١٠/٢٦١، معجم البلدان ٤/٤١٤، تقويم البلدان ٤٣٢.

*5 هي مدينة كبيرة بين الرِّيّ ونَيْسَابور، وهي قَصْبة إقليم قُوْمِس.
معجم البلدان ٢/٤٣٣، تقويم البلدان ٤٣٦.

(1) سقط من المخطوط في هذا المكان كلمة (الدَّامَغَان)، وألحقت سهواً في مكان لاحق منه ــ سأنبّه عليه في محله إن شاء الله تعالى ــ كما سقط من (ق) و (ع) لفظة (منه) وزِيْد قبل (الدَّامَغَان) واو العطف. وكلا الأمرين مخل بالمعنى، =

وسِمْنان*[١] مدينة صغيرة، وبِسْطام*[٢] مدينة متوسطة، وهذه المدائن[(١)] أوائل مدن **خُراسان**[(٢)] من الجهة الغربية.

قُهِسْتان*[٣]:

= والصواب أن يجمع بين الساقطين، وتحذف واو العطف، فيستقيم حينئذ المعنى، والله أعلم.

*١ هي مدينة من إقليم قُوْمِس، تقع بين الرَّيّ والدَّامَغَان، وقد عدها بعضهم من بلاد الري.

معجم البلدان ٣/٢٥١، تقويم البلدان ٤٣٦، الأنساب ٧/١٤٨، اللباب ٢/١٤١.

وقد نقل الملك المؤيَّد في كتابه تقويم البلدان ٤٣٧ أن سِمْنان أكبر من بِسْطام، وهذا خلاف ما ذكره الذهبي.

*٢ هي مدينة من إقليم قُوْمِس، تقع بين الدَّامَغَان ونيسابور.

معجم البلدان ١/٤٢١، تقويم البلدان ٤٣٦.

(١) زِيْد في المخطوط بين كلمتي «المدائن» و«أوائل»، كلمة «الدَّامَغَان»، وهذه الزيادة وَهَم بَيِّن.

(٢) سيأتي التعريف بها في ص ٢٣٢، إن شاء الله تعالى.

*٣ بضم الهاء، وقيل بكسرها، وهي مخففة من قُوْهُِسْتان، وقُوْهِسْتان معربة عن الكلمة الفارسية كوهستان، ومعناها موضع أو ناحية الجبال.

معجم البلدان ٤/٤١٦، المشترِك وضعاً ٣٦٢، الأنساب ١٠ /٢٦٤ و ٢٦٩.

وقال ياقوت في المشترِك وضعاً ٣٦٢ ـ ٣٦٣: «وقلَّ أن يخلو صُقع من أصقاع بلاد العجم من موضع يقال له كوهستان». وذكر مثل ذلك في معجم البلدان ٤/٤١٦.

وأشهر النواحي المعروفة بهذا الاسم، هي الناحية الكبيرة الواقعة بين نيسابور، وهراة، وأصبهان، ويزْد، وهي تشتمل على مدن وقرى كثيرة، وقصْبتها قاين.

وذكر بعضهم أن بلاد الجبال عرفت بذلك أيضاً، قال ياقوت في المشترِك =

[1]أكبر مدائن هذا الإقليم الريّ[2]، ثم زَنْجَان*١، وأَبْهَر*٢، وإقليم قُهُِسْتان ملاصق لإقليم قُوْمِس، وهو غربي قُوْمِس، وهو شرقيٌّ[3]، متشاملٌ عن العراق[4] متاخِم[5] لقزوين[6].

فالأقاليم التي لا حديث بها يُروى، ولا عُرفت بذلك، الصِّين*٣،

= وضعاً ٣٦٣: «وقُوْهُسْتان اسم لناحية الجبال التي منها هَمَذَان، وقزوين، وأَصْبهان، ولم أر من سماها بهذا الاسم إلا الحازمي، فإما يكون نقله عن ثقة، فهو أهل ذاك، وإما أن يكون لما رأى اسمها بالعربية الجبال، وبالفارسية معناها كذلك، توهّم أنها تسمى بذلك، فقاله والله أعلم».

لكن الذي أراده الذهبي هنا، مختلف عن الناحيتين المذكورتين، ولم أجد ما يعزز قوله.

(١) يوجد في (ق) و (ع) بين (قُهُِسْتان) و (أكبر)، كلمة (مدينة)، والصواب عدم ذكرها كما في المخطوط.

(٢) سقطت هذه الكلمة من المخطوط، وهي مُثبتة في (ق) و(ع). وقد سبق التعريف بهذه المدينة في ص ١٩٨.

*١ هي أقصى مدن الجبال في الشِّمال، على حد بلاد أَذْرِبِيْجان، وهي قريبة من قَزْوين، وأَبْهَر.

معجم البلدان ١٥٢/٣، تقويم البلدان ٤١٧، صبح الأعشى ٣٦٨/٤.

*٢ هي مدينة من بلاد الجبال، تقع بين قزوين، وزَنْجان، وهَمَذَان.

معجم البلدان ٨٢/١، تقويم البلدان ٤١٨.

(٣) كذا في (ق) و (ع)، وفي المخطوط (شرق) بدون ياء النسبة.

(٤) سيأتي التعريف بها، في ص ٢٣٠.

(٥) أي ملاصق.

(٦) سبق التعريف بها، في ص ٢٠٠.

*٣ هي بلاد في أقصى المشرق، مائلة إلى الجَنوب، يحيط بها بحر الهند من الجَنوب، والبحر المحيط من الشرق، ويحدها من الغرب المفاوز التي بينها وبين الهند، ومن الشِّمال التُّرك.

معجم البلدان ٤٤٠/٣، تقويم البلدان ٣٦٣.

أغلق الباب، **والهِنْد*١، والسِّند*٢، والخِطا*٣، وبُلْغار*٤، وصحراء القَفْجَاق*٥، وسَرَاي*٦** (١)،

---

*١ هي بلاد مشهورة واسعة، يحيط بها بحرُ فارس والسندُ من الغرب، وبحر الهند من الجَنوب، ويحدها من الشرق المفاوز الفاصلة بينها وبين الصين، ومن الشَّمال بلاد التُّرك.

تقويم البلدان ٣٥٣، صبح الأعشى ١٧/٥.

وللعلامة عبدالحي اللكنوي المتوفى سنة ١٣٤١ كتاب في رجال الهند سماه: «نزهة الخواطر، وبهجة المسامع والنواظر».

*٢ هي إقليم كبير، يقع بين بلاد الهند، وكَرْمان، وسِجِسْتان، وبحر فارس.

معجم البلدان ٢٦٧/٣، تقويم البلدان ٣٤٦.

وقد جمع القاضي أبو المعالي أطهر المباركفوري كتاب «رجال السند والهند».

*٣ بكسر الخاء قال القَلْقَشَنْدي: في صبح الأعشى ٤٨٣/٤: «هم جنس من التُّرك بلادهم في متاخَمة بلاد الصين».

*٤ هي مدينة الصَّقالبة، ضاربة في الشَّمال، قرب نهر إِتِل (الڤلجا حالياً) من الجهة الشَّمالية الشرقية، وهي الآن في بلاد روسيا، وكان البُلْغار قد أسلموا في أيام الخليفة العباسي المقتدر بالله.

معجم البلدان ٤٨٥/١ ـ ٤٨٦، تقويم البلدان ٢١٦، صبح الأعشى ٤٦٢/٤.

*٥ هي صحارى في الشَّمال، تقع شمالي بحر الخَزَر، يسكنها بشر كثير، أخرجهم التتار من أرضهم في عهد جنكيز خان.

تقويم البلدان ٢٠٦، صبح الأعشى ٤٥٦/٤.

*٦ هي مدينة عظيمة في الشَّمال، عند نهر إِتِل (الڤلجا حالياً) وهي وبُلْغَار في بر واحد، وفيها كرسي مملكة التتار الشَّماليين.

تقويم البلدان ٢١٦.

(١) وقد وقع في (ق) و (ع): (سراة) بدل (سراي)، وهو وَهَم.

وقِرِم*[1]، وبلاد التَّكْرُوْر*[2]،

---

*1 جزيرة القِرِم مشهورة وواسعة، وهي بين بحر الأَزَق (أو ما يسمى اليوم ببحر أزوف)، وبحر نِيْطِش (المعروف اليوم بالبحر الأسود).

والقِرِم اسم للاقليم، وقد أطلقه الناس على صُلْغَات ـ وهي مدينة القِرِم ـ.

وإقليم القِرِم واسع لا ينحصر في الجزيرة.

تقويم البلدان ٢١٥، صبح الأعشى ٤/٤٥٩.

*2 بلاد التَّكْرُوْر إقليم من بلاد السُّودان، وبلاد السُّودان كما قال القَلْقَشَندي في صبح الأعشى ٥/٢٧٣: «بلاد متسعة الأرجاء، رَحْبة الجوانب، حدُّها من الغرب البحر المحيط الغربي، ومن الجَنوب الخراب مما يلي خط الاستواء، ومن الشرق بحر القُلْزُم مما يقابل بلاد اليمن.... ومن الشَّمال البراري الممتدة فيما بين الديار المصرية، وأرض بَرْقة، وبلاد البربر، من جَنوبي المغرب إلى البحر المحيط».

وبلاد التَّكْرُوْر هي إحدى أقاليم مملكة مَالِّي، التي هي إحدى ممالك بلاد السُّودان، ويحد مملكة مالّي من الغرب البحر المحيط، ومن الشرق مملكة البَرْنُو السُّودانية، ومن الشَّمال جبال البربر، ومن الجنوب الهَمَج. وبلاد التَّكْرُور تقع في الجزء الشرقي من مملكة مالّي.

وقَصْبة بلاد التَّكْرُوْر هي مدينة التَّكْرُوْر.

وقد حدد أبو عبدالله البرتَلي إقليم التَّكْرُوْر تحديداً يعتبر دقيقاً لمن استطاع معرفة البلدان التي ذكرها، فقال في كتابه فتح الشكور: «والتكرور إقليم واسع ممتد شرقاً إلى أدغاغ، ومغرباً إلى بحر بني زناقية، وجَنوباً إلى بيط، وشَمالاً إلى أدرار».

وقد جمع تاريخ علماء وفقهاء هذا الاقليم أبو عبدالله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتَلي، المتوفى سنة ١٢١٩، وسماه «فتح الشَّكُور في معرفة أعيان علماء التَّكْرُوْر».

وللمؤرخ عبدالرحمٰن بن عبدالله السعدي المتوفى سنة ١٠٦٦ كتاب تاريخ السُّودان، وهو في الرجال، نقل عنه البرتلي في كتابه المذكور.

معجم البلدان ٢/٣٨، صبح الأعشى ٥/٢٧٩ و٢٨٢ و٢٨٦، فتح الشكور ٢٦، معجم المؤلفين ٥/١٥٠. وانظر وفيات الأعيان ٧/١٥.

والحبشـة*[1]، والنُّوْبَـة*[2]، والبُجَاه*[3]، والـزَّنْج*[4]، وإلى أُسْـوان*[5]،

---

*١ هي بلاد واسعة جداً، تتصل بالبحر من الجهة الشرقية، وساحلها مقابل لبلاد اليمن، ويقال: إن أول بلادهم من الجهة الغربية بلاد التَّكْرُور.

ومملكة الحبشة قسمان: بلاد النصرانية، وبلاد المسلمين، والقسم الثاني يقع على ساحل بحر القُلْزُم (المعروف اليوم بالبحر الأحمر) وما يتصل به من بحر الهند، ويقال له بلاد الزَّيْلَع، مع أن الزَّيْلَع إحدى مدنه الكثيرة.

تقويم البلدان **١٥٣**، صبح الأعشى **٥/٣٠٢ و ٣٢٤**.

*٢ هي بلاد واسعة على ضَفتي النيل، أولها من الجهة الشَّمالية أقصى جَنوب مصر، بعد أُسْوان، وقصْبة بلادهم مدينة دُمْقُلَة.

معجم البلدان **٥/٣٠٩**، تقويم البلدان **١٥٣**، صبح الأعشى **٥/٢٧٥**.

*٣ هم أهل بُجَاوَة، وهم أمم كثيرة تقع بلادهم بين العرب والحبش والنُّوْبة، وذلك في جَنوبـي صعيد مصر مما يلي الشرق، بين بحر القُلْزُم ونهر النيل، وبينهم وبين بلاد النُّوبة جبال منيعة، وقصْبة بلادهم هي سَوَاكِن.

والنسبة إلى البُجَاه، بجاوي.

معجم البلدان **١/٣٣٩**، تقويم البلدان **١٥٣**، صبح الأعشى **٥/٢٧٣**.

*٤ هم أمم من بلاد السُّودان، تقع بلادهم شرقي الخليج البربري، وهي تقابل بلاد الحبشة من البر الآخر.

صبح الأعشى **٥/٣٣٧**، البيان المغرب **١/٦**.

*٥ قال ياقوت في معجم البلدان **١/١٩١**: «هي مدينة كبيرة، وكُوْرَة في آخر صعيد مصر، وأول بلاد النُّوْبة على النيل في شرقيه».

وللقاضي المؤرخ ذي الفنون أبـي الحسين أحمد بن علي بن الزبيـر الغساني، المعروف بالرشيد الأُسْواني، المتوفى سنة **٥٦٣** كتاب تاريخ أُسْوان.

مقدمة الوافي **١/٤٩**.

ولأبـي الفضل جعفر بن ثعلب الأُدْفُوي، المتوفى سنة **٧٤٨** كتاب «الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد» ــ وقد ترجم فيه لجماعة من علماء أُسْوان ــ.

وحَضْـرَمَوْت*[1]، والبَحْرَيْن*[2]، وغير ذلك.

وأما اليوم فقد كاد يَعْدَم علم الأثر من العِـراق*[3]، وفارس*[4]،

---

*1 هي ناحية واسعة قرب البحر من نُجود اليمن، تقع شرقي عَدَن، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحْـقـاب؛ والنسبة إليها حَضْرَمي، وقَصْبتها مدينةشِبَام.
معجم البلدان ٢/٢٧٠، صبح الأعشى ٥/٤٢ ــ ٤٣.

*2 هي بلاد على ساحل بحر فارس بين البصرة وعُمان، ويقال لها هَجَر، وقيل إن هَجَـر قصْبة البَحْـرَيْن، وقيل العكس. ومن أهم مـدن البَحْرَيْن الأحْسـاء والقَطِيْف. وكان أهل البَحْرَيْن روافض سبائيون.
والنسبة إلى البَحْرَيْن بَحْرَانِيّ.
معجم البلدان١/٣٤٧، ٤/١٥٠، صبح الأعشى ٥/٥٤ ــ ٥٦.

*3 هي من أعظم البلاد، تقع على ضَفتي نهر دِجلة، ويجري هذا النهر من شماليها الغربـي إلى جَنوبيها الشرقي. ويحدها من الشَّمال الحـديثة ومن الجَنوب عَبَّادان، ومن الشرق حُلْوان، ومن الغرب القادِسية؛ وهذه الحدود من العراق.
تقويم البلدان ٢٩١.

*4 هي بلاد واسعة يحدها من الغرب بلاد خُوْزُسْتان والجبال، ومن الشرق بلاد كَرْمان، ومن الجَنوب بحر فارس، ومن الشَّمال المفازة التي بينها وبين خُراسان والجبال.
ومن أراد تحديداً أكثر دقة فليذهب إلى ما ذكره ياقوت في معجمه وهو: «أول حدودها من جهة العراق أَرَّجان، ومن جهة كَرْمان السِّيْرجان، ومن جهة ساحل بحر الهند سِيْرَاف، ومن جهة السِّند مُكْران»، وهذه الحدود التي ذكرها ياقوت ليست من فارس إلا سِيْراف، وقيل أَرَّجـان أيضاً. وقصْبة بلاد فارس مدينة شِيراز كما سبق.
معجم البلدان ٤/٢٢٦، تقويم البلدان ٣٢١.

وأَذْرَبِيْجان*[1]، بل لا يوجد بأَرَّان*[2]، وجِيْلان*[3]، وإِرْمِيْنِيَة*[4]،

---

*1 هي بلاد تغلب عليها الجبال، تقع بين أَرَّان، وإِرْمِيْنِيَة، والجزيرة، والعراق ـ من ناحيته الشرقية الشَّمالية ـ، والجبال، وجِيْلان، والدَّيْلَم. ومدن الجبال التي تقع على حدودها هي زَنْجان، والدِّيْنَور، وشَهْرَزُور، وحد العراق معها خارج مدينة حُلْوان.

وقصْبة هذه البلاد مدينة تِبْريز، ومن مدنها أيضاً مَرَاغَة. وكانت هذه البلاد كرسي مملكة التتار الشرقيين في عهد هولاكو وخلفائه.

معجم البلدان ١/١٢٨، تقويم البلدان ٣٨٦ ـ ٣٨٧، صبح الأعشى ٤/٣٥٦.

والنسبة إلى أَذْرَبِيْجان أَذَري، وقيل: أَذْري، وقيل: أَذَربي.

وقد جمع تاريخ أَذْرَبِيْجان ابن أبي الهيجاء الروّاد الذي عاش في أواسط القرن الرابع.

مقدمة الوافي ١/٤٨، الإعلان بالتوبيخ ٦١٤.

*2 هي بلاد واسعة، تقع بين أَذْرَبِيْجان، وإِرْمِيْنِيَة، والكُرْج، وجبال القَبْتَق ـ القوقاز ـ وبحر الخَزَر، ونهاية حدها الشَّمالي باب الأبواب (الدَّرْبَنْد)، ويفصل بينها وبين أَذْرَبِيْجان نهر الكُرّ الذي يلتقي مع نهر الرَّسّ قبل أن يصبا في بحر الخَزَر.

ومن أهم مدن أَرَّان: جَنْزَة (كَنْجَة)، وبَرْدَعَة.

معجم البلدان ١/١٣٦، تقويم البلدان ٣٨٦ ـ ٣٨٧، صبح الأعشى ٤/٤٠٢.

وقد جمع البَرْدَعي تاريخ أَرَّان.

مقدمة الوافي ١/٤٨، الإعلان بالتوبيخ ٦١٤.

*3 وتسمى أيضاً بالجِيْل، وهما تعريب كِيْلان وكِيْل، وهي بلاد سهلية، تقع بين طَبَرِسْتان والدَّيْلَم، وأَذْرَبِيجْان وأَرَّان، وهي على الساحل الجنوبي لبحر الخَزَر. والنسبة إليها جِيْلاني، وجِيْلي.

معجم البلدان ٢/٢٠١، تقويم البلدان ٤٢٦، صبح الأعشى ٤/٣٨٠.

*4 بكسر الهمزة وقيل بفتحها، وهي بلاد واسعة تقع بين أَرَّان وبلاد الكُرْج والروم، والجزيرة، وأَذْرَبِيْجان. ومن أهم وأشهر مدنها خِلاط. =

والجبال*[1]، وخُراسان*[2] التي كانت دار الآثار، وأَصْبَهان*[3] التي كانت

= والنسبة إليها أَرْمِنِيّ، وقيل أَرْمَنِيّ وهما على غير قياس.

معجم البلدان ١/١٦٠، تقويم البلدان ٣٨٦ ـ ٣٨٧، صبح الأعشى ٤/٣٥٣ ـ ٣٥٦.

*١ وتسمى أيضاً بلاد الجَبَل، وكانت العامة تسميها عِراق العجم، وهي من أعظم البلاد الإسلامية، يحدها من الغرب أَذْرَبِيْجان، ومن الشرق مفازة خُراسان وفارس، ومن الجنوب بلاد العراق وخُوْزُسْتان، ومن الشَّمال بلاد الدَّيْلَم وبعض بلاد أَذْرَبِيْجان. وأقصى مدن الجبال في الشَّمال مدينة زَنْجان، وفي الجنوب أَصْبهان.

ومن أعظم مدن الجبال أَصْبهان، وهَمَذان، والدِّيْنَوَر، وقِرْمِيْسِين، وقَزْوين، والرَيّ، وقيل إن الأخيرتين من بلاد الدَّيْلَم. وقد خرج من هذه البلاد علماء لا يحصون. معجم البلدان ٢/٩٩، تقويم البلدان ٤٠٨ ـ ٤٠٩.

*٢ حدد ياقوت في معجم البلدان ٢/٣٥٠ بلاد خراسان، فقال: «بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أَزَاذْوَار قصْبة جُوَيْن وبَيْهَق، وآخر حدودها مما يلي الهند طَخَارُسْتان، وغَزْنَة، وسِجِسْتان، وكَرْمان، وليس ذلك منها، إنما هو أطراف حدودها؛ وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور، وهَرَاة، ومَرْو ـ وهي كانت قصْبتها ـ وبلْخ، وطَالَقَان، ونَسَا، وأَبِيْوَرْد، وسَرْخَس. وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جَيْحون».

وكانت بلاد خُراسان مملوءة بالعلماء والأئمة قال السمعاني في الأنساب ٥/٦٧: «والعلماء في كل فن منها بحيث لا يدخل تحت الحصر».

*٣ بفتح الألف، وقيل بكسرها. وهي مدينة عظيمة، ومركز إقليم يسمى باسمها، وهي من بلاد الجبال في جَنوبيها.

معجم البلدان ١/٢٠٦، تقويم البلدان ٤٢٣.

وقد جمع تاريخ علمائها عدد من الحفاظ والمؤرخين منهم: أبو عبدالله حمزة بن الحسين المؤدب الأصبهاني، المتوفى قبل سنة ٣٦٠. والحافظ أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيَّان الأنصاري، الأصبهاني، المعروف بأبي الشيخ، المتوفى سنة ٣٦٩، وسمى كتابه «طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها». =

تُضاهي[1] بغداد في علوّ[2] الإسناد، وكثرة[3] الحديث، والأثر. والباقي من ذلك ففي[4] مصر، ودمشق حرسها[5] الله تعالى، وما تاخمها[6][7]،

= والحافظ أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن مَنْده الأصبهاني، المتوفى سنة ٣٩٥.

والحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مَرْدُوَيْـهَ الأصبهاني، المتوفى سنة ٤١٠.

والحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠، وسمى كتابه ذكر أخبار أصبهان.

والحافظ أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد بن إسحاق بن مَنْده الأصبهاني ـ ابن أبي عبدالله ـ المتوفى سنة ٤٧٠.

والحافظ أبو زكريا يحيى بن عبدالوهاب بن مَنْده الأصبهاني ـ حفيد أبي عبدالله ـ المتوفى سنة ٥١١. وغيرهم.

وقد ذكرت المصادر كتب بني مَنْده، وابن مَرْدُوْيَه باسم تاريخ أَصْبهان.

الإعلان بالتوبيخ ٦١٧، التقييد لابن نقطة ورقة ٦٣ أ، وفيات الأعيان ٦/١٦٩، المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٣، الأنساب ١/٢٨٩، مقدمة الوافي ١/٤٨، مقدمة الإحاطة ١/٨١، وانظر الإعلان بالتوبيخ ٦١٦ ـ ٦١٧.

(١) أي تشابه.

(٢) ذكر ياقوت في معجم البلدان ١/٢٠٩ السبب في علو الإسناد بأَصْبهان فقال: «خرج من أصبهان من العلماء والأئمة في كل فن ما لم يخرج من مدينة من المدن، وعلى الخصوص علو الإسناد، فإن أعمار أهلها تطول، ولهم مع ذلك عناية وافرة بسماع الحديث، وبها من الحفاظ خلق لا يحصون».

(٣) وقع في المخطوط (كثرت) بتاء ممدودة.

(٤) وقع في المخطوط (في) بدل (ففي)، والمثبت هو من (ق) و(ع)، ولعله من زيادات السخاوي.

(٥) كذا في المخطوط، وفي (ق) و(ع): حرسهما ـ بالتثنية ـ، ولعل الذهبي أراد المثبت كما سيأتي.

(٦) أي جاورها.

(٧) كذا في المخطوط، وفي (ق) و(ع): تاخمهما ـ بالتثنية ـ، ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن الذهبي أراد الإفراد فيها وفي كلمة (حرسها)، وذلك لأن بعض =

وشيء يسير بمكة، وشيء بغَرْنَاطة(1)، ومالَقَة*1، وشي بسَبْتَة*2، وشيء بتُونُس*3، نسأل الله حُسْن الخاتمة.

= المدن الشامية التي كانت تتاخم دمشق، كان فيها ـ حينئذ ـ بقية صالحة من علم الأثر، خلاف البلاد المتاخمة لمصر.

(1) سبق التعريف بها في ص ١٨٥.

*١ بفتح اللام، وقيل بكسرها، وهي مدينة في جَنوب الأندلس على ساحل البحر بين الجزيرة الخضراء، والمَرِيَّة، ولها أعمال واسعة.

معجم البلدان ٤٣/٥، تقويم البلدان ١٧٤، الأنساب ٤٦/١٢.

وقد جمع تاريخ أهل مالَقَة عدد من العلماء، منهم:

الأديب أبو العباس أَصْبَغ بن علي بن هشام، المتوفى سنة ٥٩٢، وسمى كتابه «الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالَقَة».

والقاضي العلامة أبو عبدالله محمد بن علي بن خضر الغساني المالقي، العروف بابن عَسْكَر، المتوفى سنة ٦٣٦ ولم يكمله، فأتمه بعد وفاته ابن أخته أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس، وسمى كتابه «مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مالَقَة من الأعلام والرؤساء الأخيار، وتقييد ما لهم من المناقب والآثار». ولأبي زيد عبدالرحمن بن محمد القيسي الأنصاري الفقيه المتوفى سنة ٧٣٧ كتاب في المشهورين من علماء مالَقَة رتبه على الطبقات.

الإعلان بالتوبيخ ٦٤٠ ـ ٦٤١، مقدمة الإحاطة ٨٣/١.

*٢ هي مدينة عظيمة مشهورة، في أقصى شَمال المغرب الأقصى، على ساحل البحر، ويقابلها من الأندلس الجزيرة الخضراء، وتقع بين بحرين: البحر المحيط، وبحر الروم.

وهي الآن بيد الأسبان النصارى. والنسبة إليها سِبتي بكسر السين وفتحها.

معجم البلدان ١٨٢/٣، تويم البلدان ١٣٢، صبح الأعشى ١٥٧/٥.

وللحافظ القاضي، أبي الفضل عياض بن موسى اليَحْصَبي، السَّبْتي، المتوفى سنة ٥٤٤ كتاب في تاريخ سَبْتَة سماه: الفُنُون السِّتَّة.

مقدمة الإحاطة ٨٣/١، الإعلان بالتوبيخ ٦٣٣.

*٣ بضم النون، وقيل بفتحها، وكسرها، وهي كما قال ياقوت في معجم البلدان =

لكن القرآن[1]، وفروع الفقه، موجود كثير شرقاً وغرباً، لكن ذلك مُكَدَّر في المشرق، وغيره بعلوم الأوائل، وآراء المتكلمين، والمعتزلة؛ فالأمر لله تعالى.

وهذا تصديق لقول الصادِق المَصْدُوق ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقل العلم، ويكثر الجهل»[2]، فنسأل الله تعالى العظيم، علماً نافعاً

= ٢/٦٠: «مدينة كبيرة محدثة بإِفْرِيقِيَّة على ساحل بحر الروم، عُمِّرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها قَرْطَاجَنَّة، وكان اسم تونس في القديم ترشيش... وهي الآن قصْبة بلاد إِفْرِيْقِيَّة».

(١) أي علومه.

(٢) لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ.

وقد أخرجه بمعناه البخاري في صحيحه، عن أنس، وعن أبـي هريرة.

فأما حديث أنس فهو في كتاب العلم، باب ٢١ بلفظ: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل...». ولفظ: «من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل...». وفي كتاب النكاح، باب ١١٠ بلفظ: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل...». وفي كتاب الأشربة، باب ١ بلفظ: «من أشراط الساعة أن يظهر الجهل، ويقل العلم...». وفي كتاب الحدود، باب ٢٠ بلفظ: «لا تقوم الساعة، وإما قال ـ أي شك من الراوي ـ: من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل...».

وأما حديث أبـي هريرة، فهو في كتاب العلم، باب ٢٤ بلفظ: «يقبض العلم، ويظهر الجهل...». وفي كتاب الاستسقاء، باب ٢٧: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم...»، ولم يذكر فيه الجهل.

وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه عن أنس، وعن أبـي هريرة، وعن ابن مسعود وأبـي موسى الأشعري. فأما حديث أنس، فهو في كتاب العلم، باب ٥ بلفظ: «من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل...». ولفظ: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل...». وقد أخرجه أيضاً بهذا اللفظ الأخير عن أنس ابنُ ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب ٢٥. =

«وعملاً متقبلاً، ورزقاً حلالاً واسعاً طيباً، وحسن الخاتمة لنا، ولجميع المسلمين أجمعين[1]، آمين، وصلى الله وسلم على سيدنا[2] محمد الأمين، وآله وصحبه أجمعين»[3].

انتهى الكتاب

= وأما حديث أبي هريرة، فهو في كتاب العلم أيضاً، باب ٥ بلفظ: «يتقارب الزمان، ويقبض العلم...». ولفظ: «يتقارب الزمان، وينقص العلم...». ولم يذكر فيهما الجهل.

وأما حديث ابن مسعود، وأبي موسى الأشعري فهو في نفس الكتاب والباب، بلفظ: «إن بين يدي الساعة أياماً، يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل...».

وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده ٢/٤٢٨ عن أبي هريرة، بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، ويظهر الجهل...».

(١) كذا في المخطوط.

(٢) أدخلت الحروف الثلاث الأُول من هذه الكلمة، في (على)، كما في المخطوط.

(٣) ما بين الشَّولتين المزدوجتين هو من المخطوط فقط.

الفهــارس

تنبيه : فهارس الأعلام، والأماكن والبلدان، والكتب ومؤلفيها تقتصر على النص المحقق.



فِهْرِس الأعلام

* * *



فِهْرِس الأماكن والبلدان

* * *

فِهْرس الكتب ومؤلفيها

* * *



فِهْرِس المصادر والمراجع

١ ــ الإحاطة في أخبار غَرْناطة للسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٣.

٢ ــ الإرشاد في معرفة علماء البلاد للخليلي ــ انتخاب السِّلفي ــ نسخة أيا صوفيا بتُرْكية.

٣ ــ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، المكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٥٨.

٤ ــ الإعجاز والإيجاز لأبـي منصور الثعالبـي، المطبعة العمومية بمصر، الطبعة الأولى ١٨٩٧.

٥ ــ الإعلام بمن حل مَرَّاكُش وأَغْمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم السملالي، المطبعة الملكية بالرباط ١٩٧٤.

٦ ــ أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام لعمر رضا كحالة، المطبعة الهاشمية بدمشق، الطبعة الثانية ١٣٧٨.

٧ ــ الإعلان بالتوبيخ لمن ذَمَّ أهل التَّوْريخ للسَّخاوي ــ ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣.

٨ ــ الإكمال في رفع الارتيـاب عن المؤتلِف والمختلِف في الأسماء والكنى والأنساب لابن ماكولا، تحقيق عبدالرحمٰن المعلمي، دائرة المعارف العثمانية بالهند، الطبعة الأولى ١٣٨١.

٩ ــ إنباء الغُمْر بأَبناء العُمْر لابن حجر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، الطبعة الأولى ١٣٨٧.

١٠ ــ الأنساب للسمعاني، تحقيق جماعة من أهل العلم، وقد اعتمدت في الأجزاء العشرة الأولى منه على نشرة محمد دمج ببيروت بطبعتيها الأولى

والثانية ١٣٩٦ ـ ١٤٠١، وفي الأجزاء الثلاثة الأخيرة على نشرة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، الطبعة الأولى ١٤٠٠.

١١ ـ أهل المئة فصاعداً للذهبي، تحقيق بشار عَوَّاد ـ ضمن مجلة المَوْرد العراقية المجلد الثاني، العدد الرابع، بغداد ١٩٧٣.

١٢ ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي المصري، المطبعة الأميرية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣١١.

١٣ ـ البداية والنهاية لابن كثير، مكتبة المعارف ببيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤.

١٤ ـ بذل المجهود في خِزانة محمود للسيوطي ـ نشرت ضمن مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مجلد (٤) جزء (١) ص ١٣٤ ـ ١٣٦ ـ مطبعة مصر ١٣٧٧.

١٥ ـ البيان المُغْرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عِذَاري المَرَّاكُشي، تحقيق كولان، وبروڤنسال، وإحسان عباس، دار الثقافة ببيروت.

١٦ ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي لحسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٧ والطبعة الثامنة ١٩٧٤.

١٧ ـ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبي، مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٦٧.

١٨ ـ التاريخ الباهر في الدولة الأتابِكية بالمَوْصل لعزالدين بن الأثير، تحقيق عبدالقادر طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

١٩ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٤٩.

٢٠ ـ تاريخ التراث العربي لسِزْكين، نقله إلى العربية حجازي وأبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧.

٢١ ـ تاريخ جرجان للسهمي، مطبعة المعارف العثمانية بالهند، الطبعة الأولى ١٣٦٩.

٢٢ ـ تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، ١٣٩١.

٢٣ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي، المطبعة المنيرية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٥١.

٢٤ ـ تاريخ داريا لعبدالجبار الخَوْلاني، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٩.

٢٥ ـ تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي، نشرة عزت العطار ١٣٧٣.

٢٦ ـ تاريخ المَوْصل لأبي زكريا الأزدي، تحقيق علي حبيبة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٨٧.

٢٧ ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبِه لابن حجر، تحقيق علي البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢٨ ـ تتمة المختصر في أخبار البشر لابن الوردي، تحقيق أحمد البدراوي، دار المعرفة ببيروت الطبعة الأولى ١٣٨٩.

٢٩ ـ التحبير في المعجم الكبير للسمعاني، تحقيق منيرة سالم، مطبعة الإرشاد ببغداد ١٣٩٥.

٣٠ ـ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي، نشرة أسعد طرابزوني ١٣٩٩.

٣١ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

٣٢ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض، تحقيق جماعة من العلماء، وزارة الأوقاف المغربية، الطبعة الأولى ١٣٨٣.

٣٣ ـ تسمية ما ورد به الخطيب دمشق من الكتب للمالكي ـ ضمن كتاب الحافظ الخطيب البغدادي للطحان، دار القرآن الكريم ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١.

٣٤ ـ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن) لأبي جعفر الطبري، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف بمصر.

٣٥ ـ تفسير القُرْطبي (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبدالله القرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٢.

٣٦ ـ تقريب التهذيب لابن حجر، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٣٨٠.

٣٧ ـ تقويم البلدان للملك المؤيَّد عمادالدين صاحب حماه، بعناية رينود والبارون ديسلان، دار الطباعة السلطانية بباريس ١٨٤٠.

٣٨ ـ التقييد في معرفة رواة السنن والمسانيد لابن نُقْطة، نسخة المتحف البريطاني.

٣٩ ـ تهذيب الأسماء واللغات للنووي، المطبعة المنيرية بالقاهرة.
٤٠ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر، دار صادر ببيروت.
٤١ ـ الثقات لابن حِبان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، الطبعة الأولى ١٣٩٣.
٤٢ ـ الجامع الصحيح (السنن) للترمذي، تحقيق إبراهيم عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٥.
٤٣ ـ جَذْوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس للحميدي، تصحيح محمد بن تاويت، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٧٢.
٤٤ ـ الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، الطبعة الأولى ١٣٧١.
٤٥ ـ الجواهر المُضِيَّة في طبقات الحنفية لعبدالقادر القرشي، دائرة المعارف النظامية بالهند، الطبعة الأولى ١٣٣٢.
٤٦ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٥١.
٤٧ ـ خَزائن الكتب القديمة في العراق لكوركيس عواد، مطبعة المعارف ببغداد ١٩٤٨.
٤٨ ـ الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي، تحقيق جعفر الحسني، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٧.
٤٩ ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر، تحقيق محمد سيدجاد الحق، مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٥.
٥٠ ـ الديباج المُذْهب في معرفة أعيان علماء المَذهب لابن فرحون، تحقيق الدكتور محمد أبو النور، دار التراث بالقاهرة.
٥١ ـ ديوان الإمام الشافعي، جمع محمد الزعبي، مؤسسة الزعبي ودار الجيل ببيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٢.
٥٢ ـ ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل للذهبي، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة ـ ضمن كتاب أربع رسائل في علوم الحديث، دار القرآن الكريم ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠.
٥٣ ـ ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي، تصحيح الفقي، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٢.

٥٤ ـ الذيل على الروضتين لأبي شامة، دار الجيل ببيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤.
٥٥ ـ الذيل والتكملة لكتابَيْ الموصول والصلة للمَرَّاكُشي، تحقيق محمد بن شريفة، وإحسان عباس، دار الثقافة ببيروت، الطبعة الرابعة ١٩٦٤.
٥٦ ـ الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٣.
٥٧ ـ كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة، تحقيق محمد حلمي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٢.
٥٨ ـ رَوْنق الألفاظ بمعجم الحفاظ لسبط ابن حجر، نسخة الخالدية بالقدس.
٥٩ ـ سنن الدارمي، تحقيق السيد عبدالله هاشم، نشرة حديث أكاديمي بالباكستان ١٤٠٤.
٦٠ ـ سنن أبي داود، بعناية عزت الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث بحمص، الطبعة الأولى ١٣٨٨.
٦١ ـ السنن لابن ماجه، بعناية محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي ببيروت ١٣٩٥.
٦٢ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق جماعة من أهل العلم، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١.
٦٣ ـ سيرة السلطان جلال الدين منكُبِرتي لمحمد بن أحمد النسوي، تحقيق حافظ حمدي، مطبعة الاعتماد بمصر ١٩٥٣.
٦٤ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، المكتب التجاري ببيروت.
٦٥ ـ شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي، تحقيق نورالدين عتر، دار الملاح بدمشق، الطبعة الأولى ١٣٩٨.
٦٦ ـ شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي، تحقيق محمد أوغلي، دار إحياء السنة النبوية ١٩٧١.
٦٧ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقَلْقَشَنْدي، مطابع كوستاتسوماس بالقاهرة.
٦٨ ـ صحيح البخاري، نشر المكتبة الإسلامية باستنبول ١٩٧٩.

٦٩ ـ صحيح مسلم، بعناية محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٧٤.

٧٠ ـ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم لابن بشكوال، نشرة عزت العطار بالقاهرة ١٣٧٤.

٧١ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، دار مكتبة الحياة ببيروت.

٧٢ ـ طبقات الحفاظ للسيوطي، تحقيق علي عمر، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٣.

٧٣ ـ طبقات الشافعية لابن قاضي شُهْبة، تحقيق عبدالعليم خان، مطبعة المعارف العثمانية بالهند، الطبعة الأولى ١٣٩٨.

٧٤ ـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، تحقيق الطناحي وحلو، مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٣.

٧٥ ـ العِبر في خبر من غَبَر للذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد، الكويت ١٩٦٠.

٧٦ ـ علماء النِّظاميات ومدارس المشرق الإسلامي لناجي معروف، مطبعة الإرشاد ببغداد، الطبعة الأولى ١٣٩٣.

٧٧ ـ علوم الحديث لابن الصلاح، تحقيق نورالدين عتر، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٨٦.

٧٨ ـ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، بعناية برجستراز، مكتبة المثنى ببغداد.

٧٩ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٨٠.

٨٠ ـ فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التَّكْرُور لأبي عبدالله الطالب محمد بن أبي بكر البرتَلي، تحقيق محمد الكتاني، ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١.

٨١ ـ فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي، تحقيق عبدالرحمٰن عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٣٨٨.

٨٢ ـ فِهْرس الفهارس ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبدالحي الكتاني، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب ببيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢.

٨٣ ـ الفِهرِسْت لابن خير الإشبيلي، تحقيق فرنسشكة وخليان، الطبعة الثانية ١٣٨٢.

٨٤ ـ الفِهرِسْت لابن النديم، مكتبة خياط ببيروت.
٨٥ ـ فوات الوفيات للكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ببيروت.
٨٦ ـ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، لابن طولون، تحقيق محمد دهمان ١٣٦٨.
٨٧ ـ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي، تحقيق عزت عطية، وموسى الموشى، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٢.
٨٨ ـ الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير، دار صادر ودار بيروت ١٣٨٥.
٨٩ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، مكتبة المثنى ببغداد.
٩٠ ـ اللباب في تهذيب الأنساب لعزالدين بن الأثير، دار صادر ببيروت ١٤٠٠.
٩١ ـ لسان الميزان لابن حجر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ببيروت، الطبعة الثانية ١٩٧١.
٩٢ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وابنه.
٩٣ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامَهُرْمُزي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر ببيروت الطبعة الأولى ١٣٩١.
٩٤ ـ المختصر في أخبار البشر للملك المؤيَّد أبي الفداء، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى.
٩٥ ـ مراصِد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين البغدادي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة ببيروت، الطبعة الأولى ١٣٧٣.
٩٦ ـ المستدرَك على تاريخ جرجان للسهمي ـ طبع مع تاريخ جرجان للسهمي.
٩٧ ـ مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨.
٩٨ ـ المشتبِه للذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى ١٩٦٢.
٩٩ ـ المشترِك وضعاً والمفترِق صُقْعاً لياقوت الحموي، مكتبة المثنى ببغداد.
١٠٠ ـ معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) لياقوت الحموي، بعناية أحمد الرفاعي، مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة، الطبعة الأخيرة.
١٠١ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر ببيروت ١٣٩٩.

١٠٢ ــ معجم الشيوخ لعمر بن فهد، تحقيق الزاهي، دار اليمامة بالرياض.
١٠٣ ــ المعجم الكبير للذهبي، نسخة دار الكتب المصرية.
١٠٤ ــ معجم المؤلفين لعمر كحالة، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٦.
١٠٥ ــ المعجم المختص للذهبي، نسخة الناصرية بلكنو في الهند.
١٠٦ ــ المعجم المفهرس لابن حجر، نسخة دار الكتب المصرية.
١٠٧ ــ معرفة علوم الحديث لأبي عبدالله الحاكم، تحقيق السيد معظم حسين، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٣٩٧.
١٠٨ ــ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي، تحقيق محمد سيد جادالحق.
١٠٩ ــ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعراقي ــ طبع بذيل إحياء علوم الدين للغزالي، دار الندوة الجديدة ببيروت.
١١٠ ــ مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، الطبعة الأولى.
١١١ ــ المنتظَم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، دائرة المعارف العثمانية بالهند، الطبعة الأولى ١٣٥٧.
١١٢ ــ المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، نسخة عارف حكمت.
١١٣ ــ المواعظ والاعتبار بذكر الخِطط والآثار (الخِطط) للمقريزي، دار صادر ببيروت.
١١٤ ــ ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة ببيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٢.
١١٥ ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تَغْري بَرْدي، مطابع كوستاتسوماس بالقاهرة.
١١٦ ــ نُزهة النظر شرح نُخْبة الفِكَر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
١١٧ ــ نَكْت الهِمْيان في نُكَت العُمْيان لصلاح الدين الصفدي، تحقيق أحمد زكي، المطبعة الجمالية بالقاهرة ١٣٢٩.
١١٨ ــ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٢.

١١٩ ـ هدية العارفين للبغدادي، بيروت.
١٢٠ ـ الوافي بالوَفَيَات للصفدي، تحقيق جماعة من أهل العلم، وطبع في عدة أماكن ١٣٨١.
١٢١ ـ وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خَلِّكَان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ببيروت.

فِهْرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

* * *

٠٦/ ١٢/ ١٨/ ٣٠